# رحلة حياة

# حياة الشيخ الشعراوي

إعداد

هاشم بكري ياسين

الناشر
دار الروضة
للنشر والتوزيع

توزيع
مكتبة الصفا للنشر والتوزيع
تليفون ٢٥١٤٧٣٢٠ - تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤






الناشر

دار الروضة

للنشر والتوزيع

2 درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

سوق الكتاب الجديد - الأزبكية تليفون : 25913424

توزيع




١٢٧ ميدان الأزهر / أمام الجامع الأزهر / القاهرة ت ٢٥١٤٧٣٢٠

١ درب الأتراك / خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣١١١٤ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

رقم الإيداع : ١٧٩٧٤ / ٢٠١٥

الترقيم الدولي : 0 ـ 115 ـ 458 ـ 977 ـ 978

# المقدمة

علم بارز من أعلام الدعوة الإسلامية، وإمام فرض نفسه، وحفر لها في ذاكرة التاريخ مكاناً بارزاً كواحد من كبار المفسرين، وكصاحب أول تفسير شفوي كامل للقرآن الكريم، وأول من قدم علم الرازي والطبري والقرطبي وابن كثير وغيرهم سهلاً ميسوراً تتسابق إلى سماعه العوام قبل العلماء، والعلماء قبل العوام.

يُعد أعظم من فسر القرآن الكريم في العصر الحديث، واتفق الكثيرين على كونه إمام هذا العصر حيث لُقب بإمام الدعاة لقدرته على تفسير أي مسألة دينية بمنتهى السهولة والبساطة، علاوة على مجهوداته في مجال الدعوة الإسلامية، وقد كان تركيزه على النقاط الإيمانية في تفسيره ما جعله يقترب من قلوب الناس، وبخاصة وأن أسلوبه يناسب جميع المستويات والثقافات.. فكان أشهر من فسر القرآن في عصرنا.

ولد محمد متولي الشعراوي في ٥ أبريل عام ١٩١١م بقرية دقادوس مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية بمصر، وهو من أسرة يمتد نسبها إلى الإمام علي زين العابدين بن الحسين. وحفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره. في عام ١٩٢٢م التحق بمعهد الزقازيق الابتدائي الأزهري، وأظهر نبوغاً منذ الصغر في حفظه للشعر والمأثور من القول والحكم، ثم حصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية سنة ١٩٢٣م، ودخل المعهد الثانوي، وزاد اهتمامه بالشعر والأدب، وحظي بمكانة خاصة بين زملائه، فاختاروه رئيسًا لاتحاد الطلبة، ورئيسًا لجمعية الأدباء بالزقازيق، وكان معه في ذلك الوقت الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، والشاعر طاهر أبو فاشا، والأستاذ خالد محمد خالد والدكتور أحمد هيكل والدكتور حسن جاد، وكانوا يعرضون عليه

ما يكتبون. كانت نقطة تحول في حياة الشيخ الشعراوي، عندما أراد والده إلحاقه بالأزهر الشريف بالقاهرة، وكان الشيخ الشعراوي يود أن يبقى مع إخوته لزراعة الأرض، ولكن إصرار الوالد دفعه لاصطحابه إلى القاهرة، ودفع المصروفات وتجهيز المكان للسكن.

فما كان منه إلا أن اشترط على والده أن يشتري له كميات من أمهات الكتب في التراث واللغة وعلوم القرآن والتفاسير وكتب الحديث النبوي الشريف، كنوع من التعجيز حتى يرضى والده بعودته إلى القرية. لكن والده فطن إلى تلك الحيلة، واشترى له كل ما طلب قائلاً له: أنا أعلم يا بني أن جميع هذه الكتب ليست مقررة عليك، ولكني آثرت شراءها لتزويدك بها كي تنهل من العلم.

التحق الشعراوي بكلية اللغة العربية سنة ١٩٣٧م، وانشغل بالحركة الوطنية والحركة الأزهرية، فثورة سنة ١٩١٩م اندلعت من الأزهر الشريف، ومن الأزهر خرجت المنشورات التي تعبر عن سخط المصريين ضد الإنجليز المحتلين. ولم يكن معهد الزقازيق بعيدًا عن قلعة الأزهر في القاهرة، فكان يتوجه وزملائه إلى ساحات الأزهر وأروقته، ويلقى بالخطب مما عرضه للاعتقال أكثر من مرة، وكان وقتها رئيسًا لاتحاد الطلبة سنة ١٩٣٤م.

تخرج عام ١٩٤٠ م، وحصل على العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣م. بعد تخرجه عين الشعراوي في المعهد الديني بطنطا، ثم انتقل بعد ذلك إلى المعهد الديني بالزقازيق ثم المعهد الديني بالإسكندرية وبعد فترة خبرة طويلة انتقل الشيخ الشعراوي إلى العمل في السعودية عام ١٩٥٠ ليعمل أستاذاً للشريعة في جامعة أم القرى.

وفي نوفمبر ١٩٧٦م اختار السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء آنذاك

أعضاء وزارته، وأسند إلى الشيخ الشعراوي وزارة الأوقاف وشئون الأزهر. فظل الشعراوي في الوزارة حتى أكتوبر عام ١٩٧٨م.

اعتبر أول من أصدر قراراً وزارياً بإنشاء أول بنك إسلامي في مصر وهو بنك فيصل حيث إن هذا من اختصاصات وزير الاقتصاد أو المالية (١)، الذي فوضه، ووافقه مجلس الشعب على ذلك.

وفي سنة ١٩٨٧م اختير عضواً بمجمع اللغة العربية(مجمع الخالدين).

بدأ حياته العملية مدرساً بمعهد (طنطا) الأزهري، ثم انتقل إلى التدريس بمعهد (الإسكندرية) الأزهري، ثم معهد (الزقازيق) وبعدها سافر إلى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٥١م، وعمل بكلية الشريعة بمكة المكرمة مدرِّساً للتفسير والحديث، ثم عاد إلى مصر وعمل وكيلاً بمعهد «طنطا» الثانوي سنة ١٩٦٠م، ثم تولى منصب مدير الدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية سنة ١٩٦١م، ثم مفتشاً للعلوم العربية، سنة ١٩٦٢م، وقد اختاره شيخ الأزهر حسن مأمون مديراً لمكتبه سنة ١٩٦٤م.

ثم تولى رئاسة البعثة الأزهرية بالجزائر سنة ١٩٦٦م، عقب حصولها على الاستقلال، وهناك ساعد الحكومة الجزائرية في التخلص من آثار الاستعمار الفرنسي، بإشرافه على وضع مناهج دراسية جديدة باللغة العربية، وفي سنة ١٩٧٠م عين أستاذاً زائراً بكلية الشريعة بجامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة ثم رئيساً للدراسات العليا فيها.

برز الشيخ الشعراوي كداعية إسلامي سنة ١٩٧٣م، عندما قدَّمه الإذاعي أحمد فراج في برنامجه الإذاعي (نور على نور) الذي استمر عشر

---

(١) د. حامد السايح في هذه الفترة

سنوات، كان الضيف الدائم فيه هو الشيخ الشعراوي مفسراً للقرآن الكريم.

وقد اختير وزيراً للأوقاف سنة ١٩٧٦م، ثم أعيد اختياره سنة ١٩٧٧م، وفي يوم ١٥/ ١٠/ ١٩٧٨م، قدم استقالته من الوزارة.

وقد حصل على وسام الجمهورية سنة ١٩٧٦م، ثم سافر إلى لندن سنة ١٩٧٧م لحضور مؤتمر الاقتصاد الدولي بالمركز الإسلامي الأوروبي، وفي سنة ١٩٨٠م عين عضواً في مجمع البحوث الإسلامية، وفي سنة ١٩٨٣م منح وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى في الاحتفال بالعيد الألفي للأزهر الشريف، وقد سافر إلى نيويورك وحاضر بمقر الجمعية العامة للأمم المتحدة وألقى خطبة الجمعة بالمسجد الملحق بمبنى الأمم المتحدة، كما أجرى مقابلات إذاعية وتلفازية مع شبكات التلفاز الأمريكية، عن وجود الله تعالى والأدلة القائمة على ذلك، وبعدها سافر إلى كندا وألقى محاضرة ناقش فيها مزاعم المستشرقين وافتراءاتهم ضد الإسلام، وفندها وأبطل مقولاتهم ودعاواهم، كما زار المركز الإسلامي في «لوس أنجلوس» بالولايات المتحدة الأمريكية، وألقى محاضرة عن قضايا المسلمين والمجتمعات الإسلامية، وبعدها في سنة ١٩٨٤م قام بجولة في أوروبا، واستمرت نحو أربعة أسابيع، شملت فرنسا وسويسرا وألمانيا وبريطانيا والنمسا وغيرها، وألقى سلسلة من المحاضرات وأجاب على استفتاءات أبناء المسلمين، ووضع حجر الأساس للمركز الإسلامي في روما والمسجد الكبير في حي (باري لولي) بحضور رئيس جمهورية إيطاليا وعمدة روما ومندوب عن الفاتيكان، وفي سنة ١٩٨٥م شارك في أعمال مؤتمر السنة النبوية الثاني في (لوس أنجلوس) بالولايات المتحدة الأمريكية، وفي ديسمبر ١٩٨٦م، اختير رئيساً لمؤتمر السنَّة النبوية المنعقد بلوس أنجلوس وألقى محاضرات عدة في

أماكن شتى بالمراكز الإسلامية، ثم سافر إلى النمسا بمناسبة إنشاء مصرف إسلامي في العاصمة النمساوية (فيينا) وتكلم عن الفكر الاقتصادي الإسلامي، وفي سنة ١٩٨٧م اختير عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة،وبعد أن ترك بصمة طيبة على جبين الحياة الاقتصادية في مصر، فهو أول من أصدر قرارًا وزاريًا بإنشاء أول بنك إسلامي في مصر وهو (بنك فيصل) حيث إن هذا من اختصاصات وزير الاقتصاد أو المالية (د. حامد السايح في هذه الفترة)، الذي فوضه، ووافقه مجلس الشعب على ذلك.

وفي سنة ١٩٨٧م اختير فضيلته عضواً بمجمع اللغة العربية (مجمع الخالدين). وقرَّظه زملاؤه بما يليق به من كلمات، وجاء انضمامه بعد حصوله على أغلبية الأصوات (٤٠ عضوًا). وقال يومها: ما أسعدني بهذا اللقاء، الذي فرحت به فرحًا على حلقات: فرحت به ترشيحًا لي، وفرحت به ترجيحًا لي، وفرحت به استقبالاً لي، لأنه تكريم نشأ عن إلحاق لا عن لحوق، والإلحاق استدعاء، أدعو الله بدعاء نبيه محمد ﷺ: اللهم إني أستعيذك من كل عمل أردت به وجهك مخالطاً فيه غيرك. فحين رشحت من هذا المجمع آمنت بعد ذلك أننا في خير دائم، وأننا لن نخلو من الخير ما دام فينا كتاب الله، سألني البعض: هل قبلت الانضمام إلى مجمع الخالدين، وهل كتب الخلود لأحد؟ وكان ردي: إن الخلود نسبي، وهذا المجمع مكلف بالعربية، واللغة العربية للقرآن، فالمجمع للقرآن، وسيخلد المجمع بخلود القرآن

*****

## البداية

في قرية دقادوس حيث مسقط رأس الشيخ. كانت البداية. وفي حوار تلفزيوني له يقول الشيخ " لقاء الإيمان":

نعم ، لم أكن أرغب في دخول الأزهر. لأنني لم أكن أريد أن أبتعد عن بلدتي الصغيرة. عن دقادوس الجميلة. عن الأرض التي أحببتها ، المزارع والحقول ، عن حدائق الليمون والعنب ، عن النيل والريّاح والجزر التي تغمرها مياه الفيضان ثم تنحسر عنها فتكسوها الخضرة و كنت أحب أن أكون مزارعا ، وأن أبقى في دقادوس.

دقادوس الجميلة التي لم أكن أطيق البعاد عنها ، هي القرية التي فيها ولدت ، وعشت طفولتي وصباي وشطرا من شبابي ، ورغم تغريبتي الطويلة ، وتجوالي هنا وهناك ، فهي ما زالت في القلب وعلى اللسان.

**في دقادوس كانت البدايات:**

وتعد دقادوس هي إحدى قرى مصر العتيقة. وهي على مسافة أمتار من مدينة ميت غمر محافظة الدقهلية. وقد من الله عليها بالموقع وإن ضيق عليها في المساحة ، فكان تعدادها حوالي ١٥ ألف نسمة ، وزمامها يربو على الـ ٨٠٠ فدان ، وبينها وبين ميت غمر شريط السكة الحديد ، وقد أفاء الله على أهلها وأعطاهم خيرات كثيرة.

فهي شبه جزيرة ، من الناحية الغربية تجد نهر النيل ، فرع دمياط ومن الناحيتين الشرقية والشمالية تجد الرياح التوفيقي.

وقد كنا نسمع أن اسم " دقادوس " هو تحريف لاسم " دقلديانوس" وكان حاكما من حكام الرومان ، وكان له قصر في بلدنا على النيل ، وكان

القصر عبارة عن استراحة من الاستراحات العديدة التي كان يبنيها على امتداد النيل.

والمؤرخ الجبرتي تكلم عنها ، وقال: إن منها الشيخ أحمد القدوسي الذي كان ماهرا في صناعة تجليد الكتب وتذهيبها. وقبل أن تتوسع دقادوس. كانت تحتوي على أربع حارات كبيرة.

!- حارة الباز ، والاسم لشيخ من شيوخ الصوفية.

٢- حارة الجامع الكبير ، نسبة إلى أكبر جوامع القرية.

٣- حارة أبو بكر السطوحي. نسبة إلى اسم الجامع الملحق به ضريح ومقام أبي بكر ألسطوحي. ٤- حارة الشيخ عبدالله الأنصاري وهي الحارة التي ولدت فيها في ١٥ أبريل ١٩١١.

والآن دقادوس لم تعد هي تلك القرية الصغيرة التي كانت قبيل ٨٤ سنة يوم ولدت فيها فقد توسع وكبرت وانتشر العمران فيها ومن حولها وأصبحت جزءا من ميت غمر. صارت " قسم ثان " ميت غمر.

ورغم بعد الفاصل الزمني. إلا أنها لاتزال في كياني وذكرياتي هي نفسها القرية التي رأيتها. وجريت في شوارعها وحواريها. وسبحت في ترعها ونيلها. وتعلمت في كتابها القراءة والكتابة وحفظت القرآن الكريم على شيوخها و ولم أكن أريد البعاد عنها أو فراقها ،

***

**وفي حوار للشيخ تكلم فيه عن تنشئته الدينية. قال:**

ما زلت أذكر وقائع أيام طفولتي. لقد تعلمنا في " الكتاتيب". تعلمنا القراءة والكتابة والنطق السليم. وكانا نستخدم الألواح". ألواح الأرداوز.

وكانت المرحلة الأولى في تعلم القراءة والكتابة هي مرحلة النقط. والتنقيط. كان " عريف الكتاب " يمسك " اللوح " ويقوم بوضع " النقط " التي تصور كل الكلمة. أي أنه كان يكتب الكلمة " بالنقط" مثل " قل هو الله أحد ".

ويقوم الطفل بتوصيل " النقط " بعضها ببعض ، وبهذه الطريقة يجد الطفل نفسه قد صور الكلمة بالكتابة. ثم تأتي مرحلة الحفظ الجماعي.

العريف يقول: والأطفال يرددون وراءه: " قل هو الله أحد ".. ومن ثم نحفظها.وتشرع أيديهم على كتابتها في اللوح. وبطريقة التنقيط يتعلمون شكل وهندسة الكلمة.ويتعلمون قراءتها.

"والعريف " الذي كان يقوم بهذه المه٨مة فلي الكتاتيب أيام زمان ، كان مبصرا بطبيعة الحال. أما الشيخ فليس ضروريا أن يكون كذلك.، وإذا كانت مهمة العريف هي التنقيط والقراءة فمهمة " الشيخ هي التحفيظ وتصحيح النطق.

وفي أيامنا كان شيخ الكتاب يتقاضى أجرا قدره " قرش تعريفة " في الأسبوع. وكان الأجر يقدم له كل يوم خميس.

أما أطفال الموظفين فكانوا يدفعون للشيخ " شهرية " " قرشين صاغ".

والذين ليس عندهم فلوس كانوا يقدمون للشيخ " رغيفين عيش " أو عدد من " كيزان الذرة ".

وبالنسبة لي كان الشيخ الذي تعلمت القراءة والكتابة وحفظت القرآن الكريم علي يديه هو " الشيخ عبد المجيد باشا ". علي يد شيخي هذا حفظت القرآن وأنا في العاشرة. وعلى الرغم من كبر هذا الشيخ شيخوخته فقد كنا

جميعا نهابه ونخشى عكازه و " الفلكة " التي كان يعلقنا فيها إذا نحن لم نحفظ حفظا جيدا ، أو لم ننطق نطقا سليما.

وكان والدي يقول له ": اضربه واكسر له ضلعا إذا هو أهمل في شيء.

وكثيرا ما أخذت نصيبي من هذه " الفلكة ".

وما زلت أذكر " العلقة " الساخنة التي أخذتها بسبب النطق الخطأ للآية التي تقول " " حم عسق " ولهذه الجملة في القرآن نطق خاص غير كتابتها. فهي تنطق كل حرف مفردا هكذا: " حا ميم. عين. سين. قاف ". ولكنني أخطأت ونطقتها كما كتبتها في اللوح هكذا: " حم عسق ". فأدرك الشيخ عبد المجيد أنني لم أصغ إليه جيدا وهو ينطقها ، فوضعني في " الفلكة " وكانت العلقة ساخنة. ولم ينفع الصراخ ولا الاستغاثة!

وقد عرفت بعد ذلك لماذا نزل القرآن على سيدنا محمد ﷺ "مسموعا وليس مكتوبا " وهذا إعجاز من إعجاز القرآن.وإعجاز من إعجاز رسول الله ﷺ بعد أن سمعه، وهو الأمي من جبريل عليه السلام.

*****

كانت دقادوس مشحونة " بالهبات الدينية الروحية " ومشغولة بها على مدار السنة ، ثم يأتي رمضان كتتويج لهذه الهبات الدينية الروحية.

فإلى جانب المناسبات الدينية كالميلاد النبوي والإسراء والمعراج أو العيد الكبير أو العيد الصغير أو فترة الحج وما يصاحبها من احتفالات. إلى جانب كل ذلك. كان عندنا خمسة مشايخ طرق.

طريقة سيدي أبو خليل

طريقة أبو الحسن الشاذلي

طريقة سيدي أحمد الرفاعي

طريقة سيدي عبد القادر

طريقة سيدي أحمد البدوي

ولكل طريقة مريدون وبالطبع كل أتباع طريقة قد يدعون شيخ الطريقة إلى البلدة في بعض المناسبات و وكان عندما يأتي شيخ من هؤلاء المشايخ تكون البلدة كلها في حالة احتفال ، وتجد مميع المساجد عامرة والخير منتشر فقد كان كل بيت يجود بما لديه "يطلع صينية أكل".

وإذا كان عندنا خمسة مشايخ طريق. وكل شيخ يأتي ويقيم في القرية لمدة ١٥ يوم. فمعنى هذا أن جميع شهور السنة كانت لا تخلو من مناسبة لتأجيج المشاعر الدينية لدى الناس.

ومع الاحتفالات الدينية كانوا يوزعون علينا كتيبات مثل " دلائل الخيرات " فكنا نقرأها ونحفظها عن ظهر قلب. ولكل ذلك كانت النشأة هي نشأة دينية منذ الصغر.

كانت هذه بعضاً من قبسات من ذكريات الشيخ. في عالمه الأول " دقادوس "

*****

## الشعراوي الذي لا يعرفه أحد

في حوار للشيخ حول ذكرياته عن هذه الفترة يقول:

تشكيل وعمل التماثيل والمجسمات من " الطين " كان معروفا عني ذلك في القرية فقد كنت آخذ قطعة من الطين وأشكل منها " حمارا أو جاموسة أو جملا. كنت شغوفا بهذه الهواية. وكنت أطلي التماثيل بسائل لزج يشبه اللبن كنت أستخرجه من أشجار الجميز ومن ثماره. فكانت المجسمات والتماثيل تبدو لامعة جميلة كأنها مدهونة بمادة الجملكة " مادة تستخدم في طلاء الموبيليا " فقد تملكتني هذه الهواية.

وكنت أحب الزراعة حبا كبيرا. وكانت لدي رغبة في أن أكون مزارعا مثل أبي. وكان عندنا خيل وعربات وبساتين ولكن ليس لنا " ملكية خاصة " فيها. فقد مسأجرين. وكنت مستريحا ، " فرحا " بهذه الحياة. ولم أكن أفكر في الخروج من بلدتي الصغيرة هذه فقد كانت هي كل عالمي الذي أعيشه..

" كان الشيخ رحمة الله عليه مرتبطا ارتباطا وثيقا بقريته دقادوس ولم يكن يرغب في الخروج منها أو كأمثاله ممن هم في مثل عمره يحلم بأن يخرج إلى العالم الخارجي ويرى " الدنيا " ولكن والد الشيخ كان يريد له أن يدخل الأزهر ويصبح من علماء الدين. فالناس في ريف مصر متدينين بطبيعتهم ولديهم توقير كبير ولا يوصف لعلماء الدين والمشايخ مهما كانت أعمارهم. وعن هذا الأمر يقول الشيخ " كان أبي محبا للعلم. ومصاحبا للعلماء وكان يخدم كل واحد متصل بالعلم. وكان إصراره على دخولي الأزهر بسبب "رؤيا" رآها خاله ليلة مولدي.

المجالس المخصصة لذلك، بأن الله يفتح عليه وهو يتحدث، ويلهمه معاني وأفكاراً جديدة. فكان تفسير الشيخ الشعراوي للقرآن جديداً ومعاصراً، يفهمه العوام، ويلبي حاجات الخواص، وكانت موهبته في الشرح لآيات القرآن، وبيان معانيه قادرة على نقل أعمق الأفكار، بأسلوب سلس مشوق جذاب، يكاد يأخذ بلباب العقول، ويدخل القلوب بغير استئذان.

واللافت للانتباه، أن الشيخ الشعراوي لم يعتبر جهده الذي بذله في توضيح وبيان آيات القرآن الكريم تفسيراً له، بل - بحسب رأي الشعراوي نفسه - جملة خواطر ليس إلا، يقول في بيان هذا المعنى: "خواطري حول القرآن لا تعني تفسيراً للقرآن، وإنما هي هبات صفائية، تخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات، ولو كان القرآن من الممكن أن يفسر لكان الرسول ﷺ أولى الناس بتفسيره".

وشيء آخر يستوقف المتابع لتفسير الشيخ الشعراوي وهو تعريفه للقرآن الكريم، حيث إن للشيخ تعريفاً للقرآن، يغاير بعض الشيء التعريف المشهور للعلماء، فهو يعرف القرآن بأنه: "ابتداء من قوله تعالى: { بسم الله الرحمن الرحيم }، إلى أن نصل إلى قوله: { من الجنة والناس }، على أن نستعين بالله من الشيطان الرجيم، قبل أن نقرأ أي آية من القرآن".

قالوا عن الشيخ:

لقد قيل عن الشيخ الشعراوي في أثناء حياته وبعد مماته الكثير، نقتبس غيضاً من فيض:

فالأستاذ أحمد بهجت، يصف الشيخ الشعراوي، بأنه "كان واحداً من أعظم الدعاة إلى الإسلام في العصر الذي نعيش فيه...والمَلَكة غير العادية التي جعلته يُطلع جمهوره على أسرار جديدة وكثيرة في القرآن. وكان ثمرة

لثقافته البلاغية التي جعلته يدرك من أسرار الإعجاز البياني للقرآن الكريم ما لم يدركه الكثيرون. وكان له حضور في أسلوب الدعوة، يُشرك فيه جمهوره، ويوقظ فيه ملكات التلقي".

أما الدكتور محمد عمارة فيقول: " الشعراوي قدَّم لدينه ولأمته الإسلامية والإنسانية كلها أعمالاً طيبة، تجعله قدوة لغيره في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة".

وقال الشيخ سيد طنطاوي: "كان له أثر كبير في نشر الوعي الإسلامي الصحيح، وبصمات واضحة في تفسير القرآن بأسلوب فريد، جذب إليه الناس من مختلف المستويات الثقافية".

وقال الشيخ القرضاوي: "لا شك أن وفاة الإمام الراحل - طيب الذكر - الشعراوي تمثل خسارة فادحة للفكر الإسلامي، والدعوة الإسلامية، والعالم الإسلامي بأسره. فقد كان رحمه الله رمزاً عظيماً من رموز ذلك كله، وخاصة في معرفته الشاملة للإسلام، وعلمه المتعمق، وصفاء روحه، وشفافية نفسه، واعتباره قدوة تحتذى في مجال العلم والفكر والدعوة الإسلامية".



# رياح الثورة

اندلعت ثورة سنة ١٩ وانطلقت من الأزهر الشريف.. ومن الأزهر خرجت المنشورات التي تعبر عن سخط المصريين ضد الإنجليز المحتلين.

كان الأزهر هو منطلق الثورة. وهو مركز التجمع الثوري. كانوا يأتون إليه من مختلف أنحاء البلاد. وكان شيوخ الأزهر وطلابه في مقدمة صفوف المتظاهرين وأكثرهم جرأة وحماس وتضحية، وقد عمل علماء الأزهر وطلبته ورجاله على بث الروح الثورية في الأحزاب وفي مختلف طبقات المجتمع. وكانت ساحاته وأروقته مراكز لتنظيم المظاهرات الثورية الكبرى وكان يموج كل مساء بالآلاف من البشر لسماع الخطب الحماسية النارية والتي تشعل فيهم قوة الغضب الثوري. ولم الشعر عن المشهد فقد كانوا يستمعون أيضا إلى القصائد الحماسية التي تلقي ضد المستعمرين.

وكان يتصدى للإلقاء هذه الخطب والقصائد طائفة كبيرة من قادة الثورة وخطبائها من العلماء. حتى المسيحيون كانوا ينضمون لأمواج المسلمين في الأزهر الشريف ويخطبون أيضاً في الأزهر.

وكان سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ من رجال الأزهر. فبعد أن تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن في مكتب القرية. انتقل إلى الجامع الدسوقي حيث أتم تجويد القرآن الكريم وتلقى دروسا في النحو والفقه ثم دخل الأزهر عام ١٨٧١ ليتم دراسته ويتعلم على يد شيوخ هذا الصرح الرائع.

لم يكن دور الأزهر ورجاله في ثورة ١٩ إلا استمراراً لدوره الجبار في الحركة الوطنية على طول تاريخه إلى جانب أدواره الروحية الخالدة التي قاوم فيها شتى تيارات الإلحاد والانحرافات والمذاهب الهدامة والحملات

التبشيرية ودعاة التغريب والانسحاق الحضاري.

**وبعد الثورة فكروا في أن يفرقوا جموع الأزهر! وقالوا فيما قالوا:**

" أفضل طريقة أن ننشئ معهد أزهرية إقليمية " حتى لا يتجمع ويتكتل الأزهريون في موقع واحد. في قلعة الأزهر الشريف في القاهرة.

فأقاموا معهدا في أسيوط وبعده قنا ثم معهد طنطا ثم معهد الزقازيق في سنة ١٩٢٤.

وكان معهد الزقازيق هو الذي التحقت به سنة ١٩٢٦. وهو الذي تربينا فيه. لم يكن معهد الزقازيق على نظام الأزهر القديم. بل كان على نظام المدارس. كان " حاجة فخمة " " حسب تعبير الشيخ ". مبنى كبير وفخم وكان لنا سكن " تحت المبنى ".

وكل طالب له سرير. وكان نظام الدراسة ٩ سنوات. القسم الابتدائي ٤ سنوات ونحصل بعدها على شهادة الابتدائية الأزهرية التي كانت تمنحنا لقب " شيخ " فيقال " " يستحق هذه الشهادة الشيخ محمد متولي الشعراوي ".

ويكمل الشيخ ذكرياته. " هذا النظام الجديد الذي علموه في الأزهر بعد ثورة ١٩ والذي تضمن إقامة معاهد أزهرية في الأقاليم. وكان من بينها معهدنا في الزقازيق. هذا النظام صدر به قانون سنة ١٩٢٤ وهو القانون الذي أصدره الملك فؤاد. وقال فيه " أحمد شوقي – أ/ ير الشعراء. أجمل ما قيل في الأزهر الشريف. وهي قصيدته الرائعة وكان مطلعها:

قم في فم الدنيا وحي الأزهرا

وانثر على سمع الزمان الجوهرا

واجعل مكان الدر إن فضلته

في مدحه خرز السماء النيرا

واذكره بعد المسجدين معظما

في هذه المرحلة: مرحلة الانهماك في الحركة الوطنية والحركة الأزهرية الثورية. والاعتقال ومحاولات الكر والفر والتخفي بعيدا عن المباحث " والذي كان يسمى القلم السياسي "

يقول الشيخ: العودة إلى تلك الأيام البعيدة هي عودة إلى أيامنا الجميلة أيام الشباب والنضال والجهاد أيام الثورات والانتفاضات. من أجل الأزهر الشريف. ومن أجل الوطن ، ومن أجل رسالة الإسلام والنهوض بعد طول ركود ورقود. ولا ننسى أن البلاد وقتها كانت تحت الاحتلال البريطاني. وقال الشيخ: " لقد قبضوا علينا أكثر من مرة. وفصلونا من الأزهر أكثر من مرة فصلوني أنا والشيخ الباقوري وفهمي عبد اللطيف رحمة الله عليهما وهذه حكايات كثيرة.

ومن الحكايات التي رواها الشيخ أثناء سرده لذكرياته عن هذه الفترة يقول:

" كنا في عام ١٩٣٤ . وكنت في هذا الوقت طالبا في الأزهر. في المعهد الثانوي الأزهري ، بالزقازيق.

وكنت رئيسا لاتحاد الطلبة. وكنا في ذلك الوقت نأخذ بمبادئ الوفد في الحركة الوطنية. ونأخذ بمبادئ أساتذتنا في الأزهر إذا كان الأمر يتعلق بالحركة الأزهرية وشئون الأزهر. وكان النحاس باشا في الحكم ثم أقيل. أقاله الملك. وغضبنا لذلك. وجاءت ذكرى سعد باشا زغلول. وكنا قد تعودنا أن نحييها في بلدنا " دقادوس ". وكانت قرية كبيرة في ذلك الوقت.

وفي الاحتفال بهذه الذكرى وقفت وقلت غاضبا مما جرى للنحاس باشا ومن الملك الذي أقاله "

وفي هذا السياق يسرد الشيخ قصيدته التي قالها في هذه المناسبة:

ما منطقي لك والحقيقة تخجل

قد جدت الدنيا وشعبك يهزل

في كل عام تشتكي أوصابنا

ونؤمل الآتي فيقسو المقبل

مصر الأسيفة بح منها صوتها

فضراعة محمومة وتوسل

وارحمتاه للمستجير بجائر

قال الشيخ " لقد اعتبروا هذه القصيدة عيبا في الذات الملكية "

وأخذوا يترصدونني للقبض على. لكنني كنت أهرب منهم في الزقازيق وفي دقادوس.

كانوا يعتبرون الزقازيق هي مهد الثورة والغضب لإقالة النحاس باشا ومنعوا الدراسة بها.

لكننا كنا مستمرين في التحريض على التظاهر والإضراب والاحتجاج بالطلبة وتبليغهم بما اتفقنا عليه.

كنت أتخفي في صورة " بائع العيش " وأحمل على كتفي طاولة مملوءة بالخبز. وأركب " عجلة " وأدخل إلى القسم الداخلي والتقى بزملائي. ونعقد اجتماعا نتدارس فيه الخطوات التي سنقوم بها ، وكان زميلي فهمي عبد

اللطيف يتخفي في صورة " سمكري " ويحمل " البوري " في يده ويدخل ونلتقى معا في القسم الداخلي.

وقد احتار بوليس الزقازيق في القبض علينا. أنا وزميلي فهمي عبد اللطيف.

لكنهم تمكنوا من فهمي عبد اللطيف فوقع في الخدعة التي استطاعوا بها القبض على الكثيرين من زعماء الطلبة "

وعن هذه الخدعة وكيفيتها وكيف أنه من خلالها استطاع " البوليس السياسي وقتذاك من الإمساك بالكثير من زعامات الطلبة يقول الشيخ:

" كانت خدعة المخبرين هي أنهم يندسون في المظاهرات. ثم ينادون على الطالب الذي يريدون القبض عليه بصوت مرتفع وكأنهم زملائه ، فيلتفت إليهم أو يرد عليهم بما يفيد أنه موجود هنا. فيقبضون عليه!

وقد أدركت أنا هذه الخدعة. فلم أكن ألتفت أو أرد على أي شخص يناديني! بل إن هذا النداء كان ينبهني إلى الخطر فكنت أحتاط أكثر وأبتعد وأزوغ منهم!

ولما تعبوا ويئسوا من مطاردتي هنا وهناك. لجأوا إلى الطريقة التي تمكنهم من القبض عليّ بسهولة.

ذهبوا إلى بلدتنا " دقادوس ". وألقوا القبض على والدي. وعلى شقيقي الأصغر. واعتقلوهما. وعرفت البلدة كلها أن والدي وشقيقي قد اعتقلا بسببي. وأودعا السجن في الزقازيق.

وعرفت بذلك فطار صوابي. وركبت القطار إلى الزقازيق لكي أسلم

نفسي للمباحث وأقول لهم: افرجوا عن والدي وعن أخي الصغير واقبضوا علي أنا وافعلوا ما تشاءون.

ويكمل الشيخ. عندما وقفت أمام المحقق دخل علينا المأمور وكان اسمه رشدي ماهر. وقال لي وهو يتشفي:

والله ووقعت يا شعراوي!

فقلت له:

بيدي. لا بيد عمرو!

فقال لوكيل النيابة:

آفة البوليس أنه يعمل في أمة جاهلة:

فقلت له: لا. آفة الأمة أن البوليس الذي يعمل بها جاهل. لأنك جهلت مهمتك. مهمتك أن تأتي بي إلى هنا. وتقدمني لوكيل النيابة. ثم تخرج. ولذلك فأنا سأمتنع عن أي كلام إلى أن تخرج من هنا وبالفعل خرج.

ومضى الشيخ يقول: كان القاضي الذي تولى قضيتنا فيه وطنية تحكمه. فكان يمد حبسنا ويجدده كل أربعة أيام بدلا من أن يفرج عنا وكان ذلك يضايقنا كثيرا.وقد ذهب إليه بعض الناس يقولون له: إن هؤلاء طلبة. فكان لا يسمع له.ويقول: ابتعدوا أنتم. واتركوهم لشأنهم

فلما جاءت الجلسة. حكم علينا بشهر حبس!

وكنا قد قضينا الشهر في الاعتقال تحت التحقيق قبل أن يصدر الحكم علينا في القضية.ولذلك أفرجوا عنا فور صدور الحكم. وفهمنا ساعتها لماذا كان القاضي يجدد حبسنا طوال شهر كامل. فهو لم يكن يريد لنا أن نقضي يوما

من الحكم في السجن بكل ما فيه من أهوال ومعاناة. وحرص على أن نبقى في تجديد الحبس حيث نلتقى بأهلنا ويأتينا طعامنا وننام حيث لا نخالط المجرمين في قضايا السرقة والقتل.

وبعد هذا الحكم علينا. صدر القرار بفصلنا من الأزهر. ثم جاء النحاس باشا إلى الحكم فأتى بكل الملفات والدوسيهات الخاصة بالقضايا السياسية وقام بحرقها في مجلس الوزراء. وأعادنا إلى الأزهر.

ماذا كان موقف الوالد من هذه المحنة. وعن هذا الموقف يتذكر الشيخ قائلا في حوار له:

" كان والدي رجلا طيبا وحكيما ، ولم يقل لي يومها سوى تلك العبارة التي لا أزال أذكرها.. قال: " ما دمت عامل من نفسك راجل سياسي. يبقى ما تهربش أبدا. ولازم تتحمل نتيجة عملك"!

كانت هذه إطلالة على جزء من ذاكرة هذا الرجل العظيم وإزاحة لبعض الغموض عن تلك الفترة التي تزخر فيها مصر بالنشاط الثوري والسياسي وهكذا كان الشيخ شعراوي نموذجا رائعاً لـــ " العالم العامل " ذلك النوع من العلماء الربّانيين والذين يطبقون ما علموا وتعلموا في حياتهم العملية فيصبح بذلك لهم دورا فعالاً في مجتمعاتهم ولهم تأثير عظيم في كل المخالطين لهم المريدين لعلمهم. وهكذا نرى أن الشيخ كان فعالا ومتفاعلاً مع قضايا وطنه ودينه ومشاركاً في هموم جيله. نسأل له الله العفو والمغفرة والرحمة.

*****

# ذكريات لا مذكرات

من هو الدكتور محمود جامع:

من مواليد ١٩٣٢ كفر السادات بالمنوفية

كان من أصدقاء الرئيس أنور السادات منذ الصغر بحكم قرابة البلدة

كان عضوا بالجهاز السرى لجماعة الإخوان المسلمين

ترك الجماعة منذ عام ١٩٥٤م

تخرج من كلية الطب ويعمل طبيب أمراض جلدية بطنطا

صاحب الرئيس السادات في كثير من المواقف الحرجة وكان همزة الوصل بين السادات وقيادات الإخوان

عين عضوا بمجلس الشورى

الدكتور محمود جامع كان شخصا ذو علاقات متفرعة وثقافة عميقة وقد اختلط مع الشيخ الشعراوي في مرحلة هامة جدا من مراحل التاريخ المصري وهي الفترة الساداتية وهي فترة حكم السادات لمصر وهي ذاتها الفترة التي ارتقى فيها الشيخ الشعراوي منصب "وزير الأوقاف" لفترة من الزمن وعن الشيخ الشعراوي وعن ذكريات هذا الزمن كتب الدكتور جامع قبسات من ذكرياته عن الشيخ الشعراوي والذي ظل صديقا له وعلى اتصال به حتى وفاة الشيخ رحمة الله عليه. وقد دون هذه القبسات في كتابه " عرفت الأخوان ".

كتب الدكتور جامع في كتابه قائلاً:

"كان الإمام محمد متولي الشعراوى عالماً جليلاً متمكناً غاية التمكن من قواعد اللغة العربية الأصيلة التي كان يطوعها في دروس تفسير القرآن

ودكتور مهندس فائق هويدى، وسعد شمس الدين، وسعيد عمارة، وحسين مرسى ، والمستشار سمير جعفر، وإبراهيم والى، ومصطفي مؤمن، وعمر مرعى ؛ وصدر قرار سيادي بحل مجلس الإدارة وعين الشيخ الشعراوى رئيساً لمجلس إدارة المصر ف يعاونه الأستاذ الفاضل إ سماعيل حسن محافظ البنك المركز ى سابقاً، وقاد الشعراوى سفينة إنقاذ المصر ف من كبوته، ثم ترك الموقع باختياره بعد أن أدى مهمته خير أداء، وقد كنت من مؤسسى المصر ف وعضواً بمجلس إ دارته حوالى ثمانى سنوات.

وكان للشيخ لمحات تنم عن معدنه الأصيل، وإسلامه العميق ؛ فقد قرأت في الصحف في وقت من الأوقات أن الفنان ( عماد حمدى ) أصيب باكتئاب شديد في آخر أيام حياته وأنه اعتكف في منز له الذي أغلقه عليه ورفض مقابلة أي شخص.

فما كان من الشيخ الشعراوى إلا أن ذهب إليه بنفسه وجلس معه جلسة طويلة طيب فيها خاطره وأخرجه من عز لته واكتئابه وتكررت زيارات الشيخ له مما كان لها أجمل الأثر.

كما أنه عندما علم بمرض الأديب توفيق الحكيم في آخر أيامه زاره في مستشفي المقاولون العرب رغم الخلاف الشديد الذي بينهما ؛ عندما كتب توفيق الحكيم مقالاً بالأهرام عنوانه ( حديث مع الله )، فثار الشيخ الشعراوى وخطأه و طلب منه تصحيح العنوان إلى ( حديث إلى الله. )

وخلافات أخرى، واعتذر توفيق الحكيم للشعراوى، وذهب إ ليه بنفسه في محل أبوشقرة الكبابجى بشارع قصر العينى ؛ ولكن الشيخ الشعراوى ارتفع فوق ذلك كله بشعوره الطيب وزاره في المستشفي وطيب خاطره مما أسعد توفيق الحكيم سعادة غامرة وفرح بزيارته فرحاً كبيراً حتى أن الشيخ

أحضر له حجراً وعلمه كيف تكون صلاة المريض على فراشه وكيف يكون التيمم. ونشر ذلك في الصحف في حينه.

وكلنا يعلم جيداً زيارة الفنانات التائبات له وهن محجبات ليست ز يدن من علمه

ويستمعن لنصائحه وإرشاداته وكان لهن نعم العون ونعم الناصح الأمين. مثل شادية وسهير البابلى وسحر حمدى. وغيرهن.

ونذكر جيداً أنه قرأ عن جريمة قتل سيدة وأبنائها وبناتها في مدينة نصر فسأل عن عنوانهم وذهب إلى أسرتهم معزياً ومواسياً في زيارة طويلة كان لها أجمل الأثر.

رحم الله الشعراوى الذي كان فلتة من الزمان لا تتكرر. وأثابه على كل ما فعل.."

*****

# الحياة الزوجية

" من هي أم فتحية " وما هو دورها في زواج الشيخ وهو ما زال في الابتدائية"

عن هذا القصة الطريفة والتي يرويها الشيخ في سياق ذكرياته فيقول:

" كنت طالبا بالمعهد الابتدائي الأزهري بالزقازيق. كنت في السنة الرابعة. وكنت أسكن مع زميل لي من بلدنا اسمه حسني إمام في غرفة واحدة. وكنا نستأجر هذه الغرفة في بيت واحدة اسمها " أم فتحية ". وكان عندها بنت تلميذة اسمها " صفاء". وجاءت أم فتحية وقالت لنا: إن ابنتها صفاء عندها " واجب في الحساب " لكنها " موش عارفة تحله ". وطلبت منا – أنا وزميلي – أن نساعدها في حل الواجب لأنها ضعيفة في الحساب. وقلنا لها " طيب ".

وجاءت صفاء وجلست معنا في غرفتنا. وأخذنا في مساعدتها وعمل الواجب. وفوجئت بوالدي يدخل علينا الغرفة ونحن نقوم بعمل الواجب لصفاء. وتطلع إلينا نحن الثلاثة. ثم سألني:

مين البنت اللي قاعدة دي؟

قلت: دي صفاء.

قال: وصفاء دي تبقى مين؟

قلت: بنت أم فتحية.

قال: وأم فتحية تطلع مين؟

قلت: صاحبة البيت

قال: طيب!

وتركنا وانصرف.

وعاد إلى قريتنا دقادوس.

وكان قد جاء إلى الزقازيق لشراء " جمل ". واشترى الجمل. وفكر في أن يمر علينا أنا وزميلي ، في السكن ليسألنا إن كنا في حاجة إلى شيء. لكنه فوجئ بوجود البنت صفاء بنت أم فتحية. ولم يعجبه هذا الأمر. ولم يسألنا كعادته إن كنا في حاجة إلى شيء.

وفي نهاية لأسبوع. في يوم الخميس سافرت ومعي زميلي إلى بلدنا دقادوس لنتزود كعادتنا كل أسبوع بما تيسر من الخبز والجبن والبيض والقروش القليلة. ونعود في نهاية اليوم التالي.

وبمجرد أن دخلت البيت. نادي والدي على أمي وطلب خالتي وخالي عبده. وقال لهم في حضوري:

أنا بأقول لكم. الولد ده لازم يتجوز. عايزه يتجوز. وبسرعة.

فقلت في دهشة: أتجوز؟ وليه يابا؟! بلاش الحكاية دي دلوقتي.

وردت أمي: ما دام الولد موش عايز. ليه بقى تفتح عينيه على الموضوع ده؟ إنت ناسي أنه عايش في غربة. ولسه صغير؟

فرد عليها: ما هو علشان كده أنا عايزه يتجوز. علشان عايش في غربة. ولسه صغير. فهمتي. فهمتي بقى ليه؟

وردت خالتي ومعها خالي:

يعني لازم الموضوع ده؟!

فقال والدي في إصرار:

أيوه لازم الموضوع ده. وأنا قلت يتجوز. يبقى لازم يتجوز.

ووجه كلامه لي وقال:

قدامك أسبوع. تشوف بنات البلد. وتختار واحدة. وتقولي بنت مين؟

فقلت له: ما دام أنا حاتجوز غصب عني. يبقى تجوزوني أنتم. اللي على كيفكم!

واختار لي والدي بنت خاله.

وكان اختياره طيبا. ولم تتعبني في حياتي. وهكذا تزوجت. وأنجبت لي ثلاثة أولاد وبنتين. الأولاد. سامي وعبد الرحيم وأحمد والبنتان فاطمة وصالحة.

لما سأل المحاور الشيخ هذا السؤال " تزوج فضيلة الشيخ الشعراوي على غير اختيار منه ، لكنه كان اختيارا طيبا بحمد الله عليه. "فكيف يرى الشيخ الآن ". عن هذا الاختيار " الجبري " والذي كان له عواقب طيبة على الشيخ وحياته وكان اختياراً مباركاً.

قال الشيخ:

" سئلت هذا السؤال كثيرا وقلت: إن أول عوامل نجاح الزواج هو الاختيار والقبول من الطرفين. وقد حثنا الإسلام على التكافؤ بين الزوجين وليس معنى التكافؤ أن يكون التكافؤ في المال ، وإنما التكافؤ بين جواهر الأشياء لا في أعراضها. التكافؤ الصحي ، والتكافؤ الخلقي ، والتكافؤ القيم. والإسلام وضع هذه المسألة نصب عينيه قبل أن يبدأ ظهور الأبناء. لأنه يرى أن يضمن للوليد وعاء صالحا. وهذا الوعاء الصالح سيحمل- بقانون الوراثة – صفات أبويه ، وهذه الصفات هي التي ستكون محور التربية فيما بعد. ولذلك يقول رسول الله ﷺ: " تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس".

وكذلك أرشدتنا السنة النبوية إلى أن نتجنب القريبات حيث نريد الزواج كي لا يؤول أمر النسل إلى ضعف.. فإذا اغترب فإنه يؤول إلى قوة. ولذلك يقول رسول الله ﷺ: " اغتربوا لا تضووا " أي لا تضعفوا وتهزلوا.

والإسلام وضع للزوج مقاييس لاختيار زوجته، واحترم هذه المقاييس. والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: " تنكح المرأة لمالها ولجمالها ولحسبها ولنسبها ولدينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك " أي أنه قد أشار إلى كل المقاييس ثم ذكر لك بعد ذلك المقياس الصحيح وهو المرأة ذات " الدين " أي المرأة المتدينة. لأن الجمال أمر طارئ. فالجمال يذبل والجاه يتغير. والمال زائل. أما القاعدة الدينية التي يبدأ منها الإسلام فهي الباقية على مر الزمان لأنها تنمو وتزدهر وتزداد كل يوم عمقا.

ويأتي الإسلام بعد ذلك للمرأة ولولي أمرها ويقول: " إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ".

وعندما سأل رجل رسول الله صلى عليه وسلم عمن يزوجه ابنته؟ قال: " أعطها لذي دين أن أحبها أكرمها. وإن كرها لم يظلمها ".

سؤال: وكيف يعامل الشيخ أحفاده؟

قال الشيخ: الطفل يجب أن يربى جيدا.. وهناك فرق بين أن يتعلم الطفل وأن تربي فيه مقومات الحياة. فالطفل إذا ما تحركت ملكاته وتهيأت للاستقبال والوعي بما حوله. أي إذا ما تهيأت أذنه للسمع وعيناه للرؤية، وأنفه للشم، وأنامله للمس، فيجب أن نراعي كل ملكاته بسلوكنا المؤدب معه وأمامه، فنصون أذنه عن كل لفظ قبيح. ونصون عينه عن كل مشهد قبيح.

# عن فترة الشباب

في إطار كلام الشيخ وذكرياته عن قصة زواجه وعن كيفية التعامل مع موضوع الزواج وتربية الأبناء نقرأ هنا حوارا مع الشيخ عن " الفطام المتأخر " وكيف أن الكثير من الشباب يعتمد على أهله حتى سن متأخرة وبالتالي يكون إنساناً سلبياً وقد ينسحب ذلك على حياته كلها ألا وهو سلوك " الاعتمادية " و" الاتكالية " على الأهل في كل شيء في إطعامه وتوظيفه أو تشغيله وحتى في زواجه.

فلنتابع هذا الحوار الممتع:

" انتقد الشيخ محمد متولي الشعراوي بمرارة، ظاهرة اجتماعية باتت اليوم عرفاً راسخاً في مجتمعاتنا. الظاهرة تحدث عنها الشعراوي في مقابلة صحيفة بجريدة "الوطن" الكويتية، وتتمثل في الاعتماد شبه الكامل على الوالدين لسنوات طويلة حيث باتت "الطفولة" تصل إلى سن الثلاثين!

وقد وصل الشباب إلى هذه المرحلة، يقول الشعراوي، لأننا أطلنا عمر الطفولة، وصار الشاب يحلم بالقمة دون بذل جهد، لقد ترك "الأسانسير" إلى ما هو أسرع.

"الطفولة عندنا وصلت إلى سن الخامسة والعشرين بل والثلاثين عاماً، فالشاب في هذا السن يمد يده إلى أمه وأبيه كي يعطياه نقوداً. في الخارج لا توجد مثل هذه الأمور، فالطفل بمجرد بلوغه سن الرشد تنتهي مسؤولية أبيه. إنني أعجب من الرجل الذي يقول إنني أعلم أولادي تعليماً جامعياً، وربما "استعطى" من أجلهم.. وهو يعطل طاقة أبنائه وتصير طاقة الشباب معطلة من سن الرابعة عشرة إلى سن الخامسة والثلاثين".

مثل هذا السلوك، أضاف، يضيع إنتاجنا، "فالشباب مهدور القوى لا. يصنع شيئاً سوى الأكل والشرب والذهاب إلى الجامعة في صورة "دون جوان"، وفوق هذا وذاك نجد الشاب يريد أن يبدأ حياته بشقة على أحدث طراز وأدوات كثيرة".

تصرفُ الغربيين مع أولادهم، يقول الشعراوي، صحيح. "لكنهم أخطأوا بسحبهم الحكم على البنات أيضاً". فمجتمعاتنا تختلف عن مجتمعاتهم، ولابد أن "تظل البنت في حضانتنا إلى أن يأتيها عريس".

روى الشعراوي بعد سنوات لصحيفة "الهدف" الكويتية جوانب من حياته الوظيفية وبدايات صعوده، وذلك بمناسبة حلول شهر رمضان. وقال إن الناس "زمان"، كانوا يهتمون بعمل الكعك والبسكويت، خاصة في الريف، وكان الأطفال بعد مدفع الإفطار يتذوقون كعك بعضهم البعض.

يقول الشعراوي: "لاحظت يوماً أن صبياً من أصحابي أتى ومعه كمية من الكعك الذي له مذاق خاص أفضل بكثير مما كان معنا، وعند عودتي للبيت سألت أمي: لماذا كعك صاحبي فلان أحسن من الذي عندنا؟ فقالت لي: إن أبيه "موظف"، أما نحن "فعلى قد حالنا". ويضيف: "واستوقفتني كلمة "موظف"، فسألتها ويبقى إيه الموظف؟ فقالت: يبقى شغال عند الحكومة، ويأخذ أجراً شهرياً مثل المدرسين عندكم". وسألها: من يعيِّن هؤلاء موظفين في الحكومة؟ فأجابت: الشهادة التي معهم، "شهادة الكفاءة". يقول الشعراوي: وظلت هذه الكلمة في ذهني، "شهادة الكفاءة" التي يتوظف بها الناس في الحكومة ويأخذون أجراً كل شهر.. ولكن!

"عندما أخذت شهادة الكفاءة أردت أن أكون موظفاً في الحكومة. ولما سمع والدي ذلك غضب مني، وفشلت كل المحاولات لإقناعه، وأصر على

أن استمر في دراستي بالأزهر حتى أحصل على العالمية. وبطريقته الخاصة في الإقناع سألني والدي: كم يأخذ الموظف الذي يعمل بشهادة الكفاءة شهرياً؟ قلت: يأخذ ثلاثة جنيهات. فقال: إذن اعتبر نفسك من هذه اللحظة موظفاً عندي بالكفاءة بأجر شهري ثلاثة جنيهات، وشغلتك هي أن تستمر طالباً في الأزهر إلى أن تحصل على شهادة العالمية. وأضاف والدي رحمه الله، وهو يربت على كتفي: طبعاً ستأخذ العلاوة التي يحصل عليها موظف الحكومة. وقبلني والدي وضمني إلى صدره. ودعوت له يومها، كثيراً".

ولا ندري كم من السنوات استمر هذا الإنفاق الأبوي على طالب العلم النجيب، وكم زاد الراتب بعلاواته.. فالشيخ من مواليد ١٩١١، وقد حصل على درجة العالمية من الأزهر، مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣، أي عندما كان في الثانية والثلاثين!

في ١٠ نوفمبر ١٩٧٦، نفس العام، تم تعيينه وزيراً للأوقاف ووزير دولة لشؤون الأزهر في الوزارة التي رأسها ممدوح سالم. وفي العالم التالي، في ٢٦ أكتوبر ١٩٧٧، استمر تعيينه وزيراً وكانت مرحلة حكم السادات (١٩٧٠ - ١٩٨١) لمصر فترة صاخبة، فقد شهدت انفتاحاً اقتصادياً وتحولاً اجتماعياً وسياسياً. ولكن هذه التحولات لم تكن من ناحية التأثير القومي والديني في حجم قرارات السادات بزيارة إسرائيل وإلقاء خطابه الشهير في الكنيست وتوقيع اتفاقية "كامب ديفيد" مع إسرائيل، والتي أقامت عليه وعلى مصر العالم العربي وأقعدته.

في مقابلة صحفية مع الشعراوي، سألته "الوطن": "هل ندمت على قبولك لمنصب وزير الأوقاف"؟ فأجاب: "لم أندم، ولكنني لا أحب أن يتكرر".

وكانت صحيفة "القبس" قد أجرت معه قبل أكثر من عام مقابلة مطولة سألته فيها عن تولي الوزارة وعن الفتوى التي تبيح للنظام السياسي القائم بالجنوح نحو السلم، وهل ما زال الشعراوي يعتقد أن السلام مع إسرائيل على طريقة "كامب ديفيد" قرار سليم؟ فأجاب جواباً قوياً خال من التردد: "نعم ما زلت أقرُّ، لأننا لم ندخل مسألة فلسطين على أساس من الدين فكيف تطلبون أن أخرج منها على أساس من الدين. الأساس الذي دخلنا به فكر بشر لبشر، والأساس الذي خرجنا منه فكر بشر لبشر. فمن جعل فكر البشر في الدول الرافضة أولى من فكر الدول القابلة"؟ أي الرافضة أو القابلة للسلام مع إسرائيل. ثم أضاف: "أنا الذي أدفع الثمن، أنا الذي لا يوجد عندي بيت إلا وفيه ضحايا وفيه دم، لما هؤلاء -يقصد بقية العرب- لم يعملوا أي شيء، فالذي عليه العتب هو الذي يعمل هكذا حتى يحمي نفسه! ثم إنها مسألة سياسية، والدولة التي ندافع عنها، أول منهج فيها يقول إنها دولة علمانية، وما دمتم دخلتم بمنهج البشر دعوا كل بشر يفكر في أن يخرج.. والناس التي تهول المسألة ماذا صنعوا؟ ماذا صنع الرافضون من يقوم توقيع الاتفاقية إلى يومنا هذا؟.. لا يمكن أن ينجحوا بعمل إلا إذا كانت مصر فيه...".

أما بالنسبة للشعراوي، فقد بدا في التسعينات أقل حماساً لتوليه الوزارة في تلك الفترة العصيبة. وفي مقابلة له مع "القبس" قال مصارحاً الجمهور: "إن فترة وجودي كوزير للأوقاف تعتبر أسوأ فترة في حياتي.. رفضت بشدة أن يكتب أمام أو خلف اسمي وزير الأوقاف السابق أو الأسبق...).

عرض الإعلامي المعروف محمود فوزي مقابلاته مع الشعراوي في كتاب صدر عام ٢٠٠٨. وقد طرح فوزي تساؤلاً على الشعراوي ذات مرة: "لقد باركت الصلح مع اليهود. فما هي الأسباب التي استندت عليها في

هذا"؟ فأجاب: "السبب الرئيسي في ذلك أننا منذ عام ١٩٤٨ غرقى، وهناك من يتفرج علينا فقط، فلم نتقدم خطوة واحدة إلى الأمام، بل على العكس، كل عام الأمور تتدهور أكثر"! والشعراوي في جوابه هذا يؤكد مرة أخرى على تأثيرات التعبئة والمجهود الحربي في حياة الشعب المصري، بينما الآخرون يتفرجون. وكان لابد من حسم الوضع.

سأله الأستاذ فوزي: "عندما سافر السادات إلى القدس، ناديت موجهاً كلامك بأعلى صوتك: "من يصنع مبادرة مع اليهود، فعليه أن يبادر بصنع مبادرة مع الله..". وكان جواب الشيخ: "كنت أقول: أنتم تصنعون مبادرة من أجل أن تتصالحوا مع البشر، فلماذا لم تصنعوا مبادرة وتتصالحوا مع الله رب البشر"؟

وسأل فوزي الشيخ عن رأيه في اغتيال السادات. فأجاب: "من العجيب أن اغتيال السادات قد فرح به الأغبياء من خصومه، وأنا قلت لهم: فرحكم باغتياله حمقٌ، السادات كانت له حسناته، كما كانت له سيئاته أيضاً قبل ذلك. فأراد الله أن يغفر سيئاته الماضية بحسناته التي فعلها الآن. فقال له: مت شهيداً، لكي تصبح كما ولدتك أمك مطهراً من ذنوبك"!

وأضاف الشعراوي: "هؤلاء أغبياء إذا فرحوا.. وكان ينبغي على خصومه أن يحزنوا.. أنور السادات فعل في أيامه أشياء لا يمكن لأحد غيره أن يفعلها.. استطاع أن يفاجئ الأميركيين والروس بإعلان الحرب".

*****

## ذكريات الشيخ مع سعد زغلول

لم يكن الشيخ بعيدا عن السياسة والاشتغال بها على مدار عمره المديد. ومن عجائب الأقدار أن قريته " دقادوس" كانت بجوار قرية " مسجد وصيف " وهي نفسها قرية زعيم ثورة ١٩ سعد زغلول والذي كان يقيم فيها فترات طويلة. ترسخت خلالها علاقات الصداقة مع جيرانه ، ومن بينهم الشيخ الشعراوي.

وعن هذه الفترة يروي الشيخ الشعراوي فاصلاً من تاريخ مصر السياسي وكفاحها الوطني قائلاً:

" كانت قريتنا تمتاز بسمتين. أولاهما أنها تشترك مع كل بقعة على أرض مصر في تلك الحمى الوطنية التي فجرتها ثورة ١٩ . والثانية. أنها كانت تجاور قرية " مسجد وصيف" بلد زعيم الثورة سعد زغلول. والذي كان لا يمر علينا اليوم إلا ونذهب إليه لزيارته.

وأضيف إلى ذلك واقعة أخرى خاصة ، فقد حدث أن وقع سعد زغلول من فوق الحمار ، وهو يحمله متجولا في القرية.وكسرت ساقه. وفي الحال. استدعوا له الأطباء. من القاهرة طبعا. وتصادف أن كان في قريتنا أسرة تعرف باسم " المجبراتية " وكانت شهرتها واسعة – حتى النساء منها – في أعمال تجبير الكسور.وشارك كبيرها الشيخ سيدي أحمد أطباء القاهرة في علاج الزعيم.وسجلت لنا هذه المكرمة في علاقتنا معه.وأصبحت عادة متبعة للآباء أن يصحبوا أبناءهم معهم ليروا سعد باشا في قريته. فكنت أواظب على زيارته في صحبة والدي وعمي طوال فترة علاجه.

وأذكر من هذه الأيام. أنه حدث أن حضر أحد الشعراء. وكان اسمه

الجيهاري، وأراد أن يرى الحمار الذي أسقط من فوق ظهره سعد باشا.. فأحضروا له الحمار.. وكنت يومها في قرية الزعيم. وتساءلنا: ما الذي سوف يفعله هذا الشاعر بالحمار؟! هل سيركبه أم سيضربه؟

وفوجئنا عندما أوقفوا الحمار أمامه ينشد فيه شعرا قائلاً:

حمار الزعيم. زعيم الحمير

على عرش ملك الحمير أمير

أقام الحمير له حفلة وأعطوه قفة من شعير

فإذا كان للتاكسي صفارة فإن النهيق مكان الصفير

وبالطبع. انطلقنا جميعا نحن الصغار في الضحك.

والحق أنه من مزيج هذا الواقف ، ومن الحكمة الفطرية الصافية التي أخذناها من أبناء القرية. مع ما أفدناه من دراستنا بالأزهر فيما بعد. تكونت لدينا من ذلك كله خميرة عجنت في عقولنا. وأنضجت لنا ثقافات واسعة خدمتنا كثيرا في حياتنا.

ولأنني كنت أشتهر بصداقتي مع الأكبر مني سنا. بل ومن هم في عمر أبي وأكبر. كان أقراني الصغار يغضبون مني. لأنني أتركهم. وكنت أقول لهم: لماذا أجلس معكم؟

فيتساءلون: مال الذي تفيده من الكبار؟

وأذكر أنني رويت لهم واقعة تعبر بجلاء عن مدى الإفادة من صحبة الكبار. قلت لأقراني: إنني ذهبت يوما مع والدي لزيارة عمدة قرية كفر أبو لقمان ، لأنه كان مريضا. ولما دخلنا عليه. قال لأبي: أهلا أبا عبد الحافظ ،

لقد حضرت في وقتك. أرجو أن تنادي على ابني محمود.

فنادى أبي عليه. وقال له العمدة: يا بني أنا في مرض الموت.وبكى ابنه. فقال له أبوه العمدة: اسمع يا بني كلامي ، واترك البكاء الآن. العمدية في بيتنا من مائتي سنة. وأنا أمنيتي قبل أن أموت التأكد من أنك لن تتخلى عنها. لابد أن تصبح عمدة ، لكني أريد أن أعرف أولا. هل ستصلح عمدة أم لا؟ افرض أنك جالس على المصطبة اللي بأجلس عليها قدام الدار. وجالك اتنين مختلفين.واحد منهم طيب ، والثاني نجس ، تعمل إيه؟! فرد عليه ابنه: والله يا أبي. أحط الحق على الطيب ، لحد ما أطوي النجس!

وضحك أبوه ، وقال له: كويس. طيب أفرض أن الاثنين كانوا نجس؟!

فرد ابنه: أحط الحق علّي أنا وأشيله لحد ما أطويهم الاثنين.

فقال له أبوه: والله كويس. طيب افرض اُلاثنين طيبين؟

فقال له " يا أبي لو الاثنين كده ما يجوليش.

بعد أن انتهيت من هذه الرواية لأقراني. قلت لهم: لم يكن ممكنا لو لم أصحب والدي في هذه الزيارة أن أتعلم هذه الحكمة الفطرية من العمدة وابنه.

ونصيحتي هنا للشباب أن يحرصوا دائما على الإفادة من تجارب من هم أكبر منهم سنا. من خلال صداقتهم التي يعرض بها الشباب من أعمارهم. لأن العمر لا يملكه أحد طولا ولا قصرا. هذا لله وحده. وإنما يستطيع ألإنسان أن يعرضه. وربما يكون عرضه أكبر من طوله. وتعريض العمر يكون بتطبيق تجارب الآخرين. وأيضا يمكن أن يوسع عمره بأن ينشر على مدى واسع علاقاته مع الآخرين. وهناك بعد ثالث للعمر. بأن تعطيه عمقا. فبعد أن

كان مسطحا يصبح له حجم. بمعنى أن يترك العمر بعد أن ينتهي دروسا للآخرين.

وهذه بصفات العمر للعقلاء الذين نقر لهم ونفيد منهم.و لهذا كان أبي يسر للغاية لمصاحبتي للكبار. لأنه كان يجد شبابي محروسا بشيخوخة الكبار. فقد كنت أخجل وأنا جالس معهم أن أقدم على تصرف صغير أو كلمة سيئة. وهذا جعلني أستقبل الحياة بمنتهى الجدية. إلى حد أن فترة المراهقة مرت بي ولم أدر بها. لأنني كنت دائما كبيرا مع الكبار. وحتى عندما كنت أتعرف على الشباب في مختلف المهن والحرف. كان يهمني أن أكتسب منهم لنفسي أكبر حصيلة من المعلومات. ولا أجاريهم بعد ذلك في أي تصرف من تصرفات الشباب في سن المراهقة.

ومن أطرف ما أذكره من هذه الأيام. أنني كنت أتعامل مع حائك ملابس كان من قبل صبيا لحائك ملابس أبي. ولكن كان مقصه كويس جدا.. وكان أكبر مني.ويتمتع بذكاء فطري.وحدث أن طلبت منه تفصيل ست جلاليب.وعندما جاء بها. وارتديت إحداها ، وجدت أنه أخطأ في التفصيل. واختصر من الطول حوالي عشرة سنتيمترات. ولما لمح في نظرتي أنني على وشك الانفجار من الضيق.وأراد أن ينهي المسألة. قال لي: أجلس أنت وسوف أشرح لك كل شيء. فجلست فوق الكنبة.وبدأ يعدل من وضع الجلباب على جسمي إلى أن غطى تماما الساقين وقال لي: أرأيت؟! أنا فصلت الجلباب للجلوس.

وهكذا ، أنهى بذكاء شديد المسألة وانتزع مني الابتسامة والضحك.

وقلت له: خلاص المسألة انتهت. أرجو أن تأخذ الجلاليب لمن تكون على مقاسه؟

ويذكر الشيخ ما أفاده من هذه الواقعة قائلاً: " ومن هذه الواقعة، تعلمت أنني عندما أخطئ عن غير قصد. يمكنني أن أفلت من المأزق لو فكرت واستخدمت الذكاء وروح المرح.

*****

## الشعراوي و تجربته مع الربا

بداية لم يمكن بأي حال من الأحوال تخيل الشيخ الشعراوي وهي يتعاطى الربا سواء بالأخذ أو بالعطاء.. فهو الذي كان له رأي صريح وواضح وحاسم بتحريم القرض الربوي من البنوك.. ولكن دعونا وقبل أن نكون رأياً مسبقا ولنطلع على هذه الحكاية من دفتر ذاكرة الشيخ:

وهنا يرجع الشيخ بالذاكرة للعام ١٩٣٠ قائلاً:

" حدث في هذا العام أن طلبت من والدي كعادتي قبل بدء الدراسة قفطانين وكاكولتين وحذائين وعمامتين وشنطة. ولأن البلد سنتها كانت في أزمة.ولم يكن والدي يملك وقتها المبلغ الذي يشتري به. قال لي: يا بني. أليس لديك ستة قفاطين. وست كواكيل وأحذية كثيرة؟

فقلت له: لكني أريدها جديدة.

وخرج والدي وعاد بعد وقت قصير. ومعه كل ما طلبت. ولم أكن أعرف من أين جاء بالمبلغ المطلوب.لكني عرفت فيما بعد حين تعرضت لموقف عصيب. وأذكر أنه بعث يومها وأحضر لي أيضا عشرة جنيهات... وأخذ يعدها ورقة ورقة. فسألته: إيه الحكاية؟ عمرك ما عديت الفلوس بالشكل ده. ورد والدي: لكي تتذكر ، وترد المبلغ بعد أن تتوظف..

فقلت له: ربنا لا يحوجك لي.

وحدث أن مرضت خلال الدراسة.وبقيت مريضا ستة أشهر. ولم أدخل الامتحان.وحزنت كثيرا. وقلت لوالدي: لابد أن أدخل الدور الثاني. وفوجئت به يقول لي: لا تزعل. أنا عارف أنها مش نافعة.

وسألته: ليه؟!

فقال: الفلوس التي أخذتها أول السنة كانت بالربا. والسنة ضاعت وخلاص لكني اخدت درس يا بني. وبإذن الله، ربنا يبارك فيك السنة الجاية.

وكان أبي أكثر تأثيرا في حياتي من أمي. والشاهد على ذلك أنني كنت جالسا معه، وقلت له: أريد أن تكلمني بصراحة. لماذا كان حرصك على دخولي الأزهر؟

فلقال: هل أنت مصر؟

فقلت له: نعم.

فحكى أننا كنا في الشتاء، وفي إحدى الليالي، بعد صلاة العشاء. وجد شخصا ينام إلى جوار المنبر، فعرف انه غريب، فسأله: يا عم أنت لك حد هنا؟ فرد على والدي:

أنا غريب.

فاصطحبه والدي ليبيت عندنا في القاعة. لأن الدنيا كانت بردا. ولاحظ أن الغريب كان يحك جلده كثيرا، وهو يتناول العشاء. فعرف أن ملابسه غير نظيفة. فأحضر له قميصا وجلباب من ملابسه، وقال له: ألبس دول.

ولم يتردد الرجل. لكنه لم يكد يرتدي القميص حتى نام على الفور إلى الصباح. والجلباب في يده. فعرف والدي أنه مجهد. فطلب من أمي غسل ملابسه. ولما رأت أن تقوم بذلك في الصباح. قال لا. أريد غسلها ألآن.

وبالفعل، احضر بنفسه حلة. وقام بتسخين الماء. واشترك أبي مع أمي في غسل ملابس الغريب. وقاما بنشرها على أسياخ حديد في القاعة لأنها دافئة.

وفي صباح اليوم التالي. قال والدي للضيف الغريب: تناول إفطارك وخذ ملابسك في لفة ومعها الملابس التي عليك.

وقال إن الغريب سأله: من الذي غسل الملابس؟

قال له والدي إن والدتي هي التي غسلتها.

فقال الغريب: إن شاء الله ترزق بعالم.

ولم يكن يعرف أنها حامل. وأخذها أبي على أنها مجرد دعوة رجل طيب.. ولو أنها لصقت بذهنه لأنه كان يحب العلماء..

*****

## الشيخ يتحدث عن أمه الطيبة

" أما أمي ، فكانت فطرية إلى حد يقرب من السذاجة. ولكنك لا تراها إلا وهي تعمل أي شيء في البيت. وكانت لي عمة اسمها جوهرة. جميلة جدا. إلى حد أنني في يوم من الأيام ذهبت إليها وهي نائمة. ومعي مسطرة. وقست سعة عينيها فوجدت أنها أوسع من فمها. وحدث أن مات زوجها. وبعد شهور تقدم إليها عريس. ووافق أبي فورا. وسألته أمي: وأولادها الثلاثة تتركهم لي.وأتعب وأشقى؟

فقال لها: دي جميلة قوي وهتخيلني. يبقى لازم تتجوز. ولو خدمت أولادها. ربنا سوف يرسل إليك من يخدم أولادك.

وتزوجت عمتي.وتركت أولادها الثلاثة. بنت عمياء.والثانية جحظاء العينين. ومحمد. وقال والدي: سبحان الله. المكفوفة تعلمت.والجاحظة بقيت في البيت تخدم الجميع. الثالث محمد ، وكان أكبر مني بسنتين.

وكان والدي عندما يعطي ابن عمتي منابا. كان يتعمد أن يكون أكبر نم منابي. فقالت له أمي. وهي غاضبة: بقى أنا أطبخ وأسوي وأعمل ، وبعدين تدي لمحمد أكبر من مناب أبني أمين " الذي هو أنا "؟!

فقال لها أنا عندي حل.

وأصبح يضع مناب محمد مع منابي في طبق واحد. ويطلب منا أن نأكل معا.

وبعد أن ذهبت إلي الأزهر في الزقازيق. وجدت محمد تحت أمري يعد لي كتبي. ويقوم بكي ملابسي. وترتيب كل ما يخصني.. فقال أبي لأمي: أرأيت؟! ألآن بعث الله ابنها – يقصد عمتي – عند ابنك خادما. لأنك خدمت أولادها.

وبعدها. أراد أبي تزويجي. وأصر على أن نتزوج أنا وابن عمتي في ليلة واحدة. لكيلا يبقى ابن عمتي معي وهو أعزب وأنا متزوج. وبالفعل تزوجنا معا. وأنجب بعدها ابن عمتي ولده عبد المنعم ، ومات.

ولأن والدي كان يعشق تربية الأيتام. أصر على أن الولد يتربى عنده وقال لأمي: أرى أن يتزوج أبني السيد – أي شقيقي – شريفة أرملة محمد. أي أبن عمتي الذي كان يخدمني.وتوفي.

وهدد أبي والدتي بأنها إن لم تنفذ ذلك. فسوف يتزوجها هو وردت والدتي على أبي وهي تتحداه: تزوجها يا متولي.

وفعلا تزوجها. وكان والدي إلى هذا الحد يحافظ على الصلة الرحم ويرعاها. وقد تعلمت منه هذا وعملت به طوال حياتي.

وأذكر أيضا من هذه الأيام أننا كنا نقيم موسما سياسيا في ذكرى سعد. ونحيي الذكرى بحفل كبير. وبعد أن انتهى الحفل الذي ألقيت فيه كلمة كأحد شباب القرية... وعدت إلى بيتنا الذي كان قريبا من الجرن الواسع المقام فيه الصوان. وجدت أمي تجلس على باب البيت. فقلت لها: مسا الخير يا أمي

لكنها لم ترد. فسألتها: ماذا حدث؟

فقالت لي: هس ما تتكلمش.

وسألتها متعجبا: أنا زعلتك في حاجة؟!

فردت أمي في ضيق: كل الناس قالت كلامها في أمان الله. وأنت كل ما تيجي تتكلم. الناس تقول لك: عيد عيد. مش تبقى تحفظ كويس يا بني؟!

وأخذني أبي على جانب ، وقال لي: اصبر يا بني. ألم أقل لك إن والدتك فهمها على قدر حالها؟!. ففي حين كان الناس يقولون لك أعد لاستحسانهم

كلامك. فهمت هي أنهم يقولون لك عيد أي راجع نفسك وصحح كلامك.

والغريب أن مصطفي النحاس كان قد سمع هذه الواقعة فقال لقريب لي اسمه مصطفي نصرت: أنا عايز أشوف أم الشعراوي.

وعندما ذهبت إليه ، سألها الواد لسه ما بيحفظش يا حاجة؟ فردت عليه قائلة: لا. أنا فهمتها ، فهمتها!!.

وعن علاقة الشيخ الشعراوي بالسياسة كتب الأستاذ رجب البنا رحمه الله يقول: كان الشيخ الشعراوى في البداية منغمسا في الحياة السياسية، وقد عاش صباه وشبابه في جو مليء بالأحداث والتوترات.. الاحتلال البريطاني هو العدو الأول، وكل الشباب كانوا في طليعة الثورة الرافضة للاحتلال والمطالبة بالاستقلال وكان الشيخ الشعراوى في طليعة هؤلاء الشباب الثائرين، يشارك في المظاهرات، ويلقى الخطب الحماسية وقصائد الشعر الوطنية.. ويدعو إلى مقاومة الاحتلال.

وحين كان الشيخ الشعراوى صغير السن، كان يبدى الحب للملك فؤاد، وكان ذلك تعبيرا عن حب شباب الأزهر للملك فؤاد حين أبدى اهتمامه بالأزهر، كما كان يبدى الحب للملك فاروق في بداية عهده، لأنه كان شابا نقيا وكانت آمال المصريين معلقة به على أنه الملك الوطني الذي يتحدى الاستعمار ويطالب مع الشعب بالجلاء والاستقلال.

وكان ظهور فاروق في هذه المرحلة بمظهر الملك المؤمن، وأطلق لحيته، وحرص على الإمساك بالمسبحة وارتياد المساجد وحضور المناسبات الدينية والحرص على الحضور في السرادق الذي كان يقيمه أمام قصر عابدين لإحياء ليالي شهر رمضان بقراءة القرآن من مشاهير القراء.. كانت حماسة الشيخ الشعراوى في هذه المرحلة متسقة مع الشعور العام. ولذلك نظم

القصائد في مدح فؤاد وفاروق.. ولكن الأمر اختلف عندما تغير الملك المؤمن وأصبح الملك الفاسد فلم يعد الشيخ الشعراوى يكتب شعرا يمدحه أو يرجو على يديه خيرا للبلاد كما كان يفعل.

وكان الشيخ الشعراوى متحمسا لسعد زغلول الزعيم الوطني الذي التفت حوله جميع طوائف الشعب لمساندته في الوقوف أمام الاحتلال والمطالبة بالجلاء، وسار الشيخ الشعراوى في المسيرات والمظاهرات التي تؤيد سعد زغلول وكان يحضر الاجتماعات التي يخطب فيها زعيم الأمة ويزور مع إخوانه «بيت الأمة» للقاء سعد، وامتد ولاؤه للوفد إلى عهد زعامة مصطفي النحاس.. لكنه في الخمسينيات من القرن الماضي اكتشف أن هذه الأحزاب تحولت إلى هدف آخر.. كان الهدف في البداية هو المصالح العليا للوطن.. الجلاء.. تحسين أحوال الفقراء.. النهوض بالاقتصاد وبالتعليم وتحسين المعيشة.. وصار الهدف هو الوصول إلى الحكم واستغلال السلطة لمصالح الفئة المسيطرة على مقاليد الحزب والفئة المسيطرة على مقاليد البلاد.

وعندما بدأ الشيخ حسن ألبنا إنشاء جماعة الإخوان المسلمين كان الشيخ الشعراوى من المؤسسين لها وكان عمره ١٩ سنة في ذلك الوقت واختاره حسن البنا لكتابة البيان الأول الذي تضمن أهداف الجماعة، وكان الشعراوى مأخوذا بما يقال من أنها جماعة لنشر التربية والقيم الإسلامية، ولكنه اكتشف بعد ذلك أنها ليست جماعة دينية لكنها تسعى إلى هدف غير معلن هو الوصول إلى السلطة، وسعيهم إلى السلطة يعتمد على استخدام العنف، واكتشف أن للجماعة نشاطا خفيا لا يعلم عنه الأعضاء شيئاً، يتمثل في الجناح العسكري أو التنظيم الخاص الذي يتولى حسن السندى الإشراف

عليه وعلى تدريباته العسكرية، فافترق عن الجماعة مبكراً، وأعلن بعد ذلك بوضوح رفضه لقيام أي حزب على أساس ديني، وقال في أحاديثه: أنا لا أقبل وجود أحزاب سياسية على أساس ديني، فالسياسة صراع فكرى بشرى ضد فكر بشرى آخر، أما الدين فهو خضوع الفكر البشرى للفكر الإلهي، والفرق كبير بين الاثنين ولا يحتاج إلى شرح أو إيضاح، ولم ينضم بعد ذلك إلى أي حزب سياسي ولم يشارك بشعره في المناسبات والأحداث السياسية، كما كان يفعل في مراحله الأولى، وبدا أنه لم يعد يثق في السياسيين، وإن ظل على وفائه لسعد زغلول، وقال أمام قادة الإخوان الأوائل: أنا لا أريد أن أكون أنا الحاكم، ولا أريد أن أكون أنا الذي يحكم بالإسلام، وإنما أريد أن يحكمني من يشاء بالإسلام، ويقول: بعد أن قلت ذلك عرف الإخوان مقصدى وابتعدوا عنى كما ابتعدت أنا عنهم من البداية.

وفي عهد الرئيس السادات ذاعت شهرة الشيخ الشعراوى وأصبحت له شعبية طاغية رأي السادات أن يوظفها لكسب شعبيته للنظام فاختاره وزيراً للأوقاف، وكان وقتها في السعودية، ولم يعرض عليه المنصب ليؤخذ رأيه إن كان موافقا أو غير موافق، وصدر القرار بتشكيل الحكومة وفوجئ بأنه وزير.. وكان وزيراً ذا طابع خاص، يرفض العمل السياسي رغم أنه في منصب سياسي وظل داعية محتفظاً بتواصله مع الناس، ولم يغير من عاداته شيئاً، حتى أنه استمر في مسكنه المتواضع جداً في المساكن الشعبية المجاورة لمسجد الحسين، ولكنه حقق الكثير من الإنجازات وخاض معارك ضارية كان الوزراء السابقون عليه يخشون من خوضها، وقد أشرت فيما سبق إلى معركته مع توفيق عويضة الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذي كان على صلة مباشرة بالرئيس السادات، وكان مركز قوة لايستطيع أحد أن يحاسبه عما يفعل وما ينفق من أموال المجلس الأعلى، وأصر الشيخ الشعراوى على

أبعاد توفيق عويضة ومحاسبته عن أموال المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وأبدى استعداده لترك الوزارة ولعله وجدها فرصة للتخلص من أعباء العمل الإداري ومن أجواء السياسة.

وعندما عين وزيرا منحته الدولة سكنا يليق بوزير في ميدان الفسقية في حى جاردن سيتى أرقى أحياء القاهرة، وعاش فيه مدة بقائه في الوزارة.

وكان العرف - ولا يزال - أن يستمر الوزير وأبناؤه من بعده في السكن الذي تمنحه له الدولة حتى بعد ترك الوزارة، ولكن الشيخ الشعراوى أعاد الشقة مرة أخرى على الرغم من ضغوط بعض المسئولين عليه للإبقاء عليها واعتبارها منحة من الدولة.

وعلم الرئيس السادات أن الشيخ الشعراوى لا يجلس إلى مكتبه ويجلس طول الوقت على مقعد إلى جانب الباب، وسأله السادات، لماذا؟.. فأجاب: لأكون قريبا من الباب عندما (ترفدونى) حينئذ أجرى وأقول (يا فكيك. انعتقت).. وبعد ترك الوزارة أصدر الرئيس السادات قرارا بتعيينه عضوا في مجلس الشورى، فلم يذهب إلى المجلس ولم يحلف اليمين ولذلك لم يسجل اسمه كعضو في المجلس، لأن العضو لا يصير عضوا بمجرد صدور القرار ولكن بعد حلف اليمين.

وبعد أن ترك الوزارة أراد البعض الإساءة إليه وتشويه صورته،فكتب أحدهم: هل يدفع الشيخ الشعراوى الضرائب كاملة عن إيراداته الهائلة؟ ولم يرد الشيخ وكلما طلب إليه أصدقاؤه أن يكتب ردا في هذه الصحيفة كان يكتفي: بالقول الله أعلم، ولكنه كان يتألم لهذه الإساءة المقصودة، إلى أن تطوع مسئول كبير في وزارة المالية وأدلى بتصريح نشرته الصحف في إبريل ١٩٨٦م أعلن فيه أن فضيلة الشيخ الشعراوى يعتبر المواطن الأول في مصر الذي يقدم

إقرار الضرائب في موعده كاملاً، ويبلغ مصلحة الضرائب بكل إيراداته وأنشطته بالفعل ويسدد ما عليه من ضرائب كاملة.. وبذلك أحبطت محاولة الفاسدين تشويه إمام الأطهار الصالحين.

ربنا رحمني من «القرف»

في سنة ١٩٩٧ كنت أجرى حديثا مع الشيخ الشعراوى نشرته في مجلة «أكتوبر» سألته عن علاقته بالسياسة في عهد الملك فاروق وعبد الناصر والسادات ومبارك، وكيف يرى كل عصر منها؟.. فأجابني باقتضاب: وماذا يقدم رأيي أو يؤخر، ولما ألححت عليه وقلت له: يهمنا أن نعرف رأيك، قال: أنا كنت طالباً، وكنت رئيس اتحاد طلاب جامعة الأزهر، ولما جيت القاهرة في كلية اللغة العربية بقيت رئيس اتحاد طلاب الأزهر في الشرقية، ودخلت الحركة السياسية، وكان كل شعري في السياسة، وعندما قامت الثورة انتظرنا لما نشوف إيه.. فطمسنا كل ما كان لنا قبل الثورة، وحرقنا كتب ما قبل الثورة لأنهم لو كانوا وجدوها كانوا هياخدونا ضمن رجال العهد البائد.

واستطرد: عندما قامت الثورة كنت وفديا.. الوفد خرج من الحكم بعد حريق القاهرة في يناير ١٩٥٢ وجاءت وزارات متعددة، ولم تكن كل وزارة تستمر في الحكم إلا أياما معدودة.. وكان مصطفي باشا النحاس وفؤاد سراج الدين في الخارج لقضاء إجازة الصيف، ففهمنا أن الثورة جاءت علشان تصلح الأوضاع وأنها هتجيب النحاس، فانتظرنا لحد ما جه النحاس باشا من الخارج، واستعدينا نروح نقابله في المطار.

فأنا كنت رئيس اتحاد طلاب الأزهر، ومعي حافظ شيحة رئيس اتحاد طلبة الجامعة، وتجمع الناس والسيارات من وسط القاهرة لغاية المطار، ومن لايجد سيارة يمشى على قدميه إلى المطار.. ورحنا للنحاس في بيته. أول كلمة

قالها.. يا أولاد.. اللى عايز يشتغل بالسياسة يقعد يتفرج، وإن كنتم فاكرين إنهم هيجيبونا تبقوا غلطانين، مفيش واحد يحط راسه على كفه ويعمل ثورة علشان يجيب غيره.. خلاص.. وأنا الآن أحمد ربى على هذا لأني عرفت أنى كنت مخلصاً.

وسرح الشيخ الشعراوى لحظتها وقال لي: الحمد لله لو بقيت في السياسة كنت سأبقى في حمقة السياسة لما أموت، ولكن ربنا جاب لي فرصة أتفرغ له على السجادة، وأصلى، وأقرأ القرآن. من رحمة الله عليّ أن بعث لي بعثة السعودية سنة ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٦٣ حتى استقلت الجزائر فذهبت إلى الجزائر رئيساً للبعثة التعليمية هناك، إلى أن جاء الرئيس السادات، فعدت إلى السعودية، وطول عمري قاعد هناك، ربنا رحمني من القرف.

هكذا قطع الشيخ الشعراوى صلته بالسياسة - حتى بعد أن كان وزيراً- وظل موصولا بالله، وبالقرآن وبالناس، لكنه قبل وفاته أدلى بحديث للأهرام قال فيه إنه هاجم فيه جمال عبدالناصر بسبب قانون تطوير جامعة الأزهر في الستينات وإنشاء كليات للطب والهندسة والصيدلة والتجارة وغيرها في الجامعة التي كانت متخصصة لتدريس العلوم الدينية (الشريعة وأصول الدين واللغة العربية.. الخ).. وبعد أيام فوجئ قراء الصحف جميعها بصورة للشيخ الشعراوى واقفا أمام قبر عبدالناصر وهو يقرأ الفاتحة على روحه، وكنا نعرف انه هو الذي طلب من الصحف نشر هذه الصورة للدلالة على تراجعه عن الهجوم على عبدالناصر، وقال في حديث للصحف بأن عبدالناصر أتاه في المنام ومعه طبيب ومهندس من خريجي الكليات الجديدة في جامعة الأزهر وقال له: يكفينى هؤلاء، وأدرك الشيخ الشعراوى أن عبدالناصر كان يريد إعداد طبيب لديه إلمام بعلوم الدين، ومهندس درس الشريعة كما درس

الهندسة وهكذا يمكن أن يتربى فيهما الضمير والقدرة على الدعوة إذا خرجا للعمل في الخارج، وليكون كل منهما في سلوكه نموذجا للطبيب المسلم والمهندس المسلم.

واثبت الشيخ الشعراوى أنه لا يعرف المكابرة وأن لديه مرونة الفكر التي تجعله مستعدا لتغيير فكره إذا تبين له الصواب.

*****

## الشيخ وذكرياته عن عبد الناصر وأمير الشعراء

يقول الشيخ الشعراوي في معرض سرده لذكرياته والتي نشرت في حلقات. وقد جمعت في كتاب "الراوي هو الشعراوي" للأستاذ " محمد زايد " والتي نشرته " دار الشروق"

" من الأحداث التي مرت بي ، وأعتز بها والحمد لله. أنه عندما رفض الشيخ المراغي " شيخ الأزهر " التعاون مع الوفد وتحقيق مطالبنا. كتبنا عريضة مطولة ورفعناها للملك. وفوجئنا بعدها بنقلنا نحن السبعين عالما الذين وقعوا على العريضة إلى أماكن مختلفة. وكان نصيبي أن أنتقل إلى الإسكندرية ، وكان ذلك فلي عام ١٩٤٥ . وحدث بعد فترة وجيزة ، أن رأي كل الإخوان ضرورة أن نذهب إلى الأزهر لنسأل عن حيثيات نقلنا في نصف السنة الدراسية.

وتوجهنا إلى مكتب الشيخ المراغي. لكنه لم يكن قد وصل إلى مكتبه من حلوان حيث يسكن. وكان الموجود وقتها هو الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر. فدخلنا إليه ، وقلنا له: نحن نريد فقط يا سيدنا الشيخ أن نعرف: لماذا نقلنا؟! بأي حيثيات نقلنا، وبالذات في نصف السنة؟! وكان أن نظر إلينا شذرا، وقال لنا: بقى يعني رئيس المصلحة ليس له صلاحية في أن ينقل من يريد نقله من مرءوسيه في أي وقت؟!

وفي لهجة آمرة ، قال لنا: كل واحد فيكم يذهب فورا إلى المكان الذي نقل إليه ، ولن نرجع أبدا في قرارانا.

وأنا لم يكن قد مر علي تعييني سنة. فقلت لزملائي: بنا نعود يا مشايخ إلى معاهدنا.

ونظرت إلى وكيل الأزهر ، وقلت له: والله لن تذهبوا بنا إلى مكان ليس به الله.

ولحظتها، خلع الرجل نظارته. ولم يتكرنا نخرج من مكتبه. إلا بعد أن قال لنا: اخفوا، ارجعوا إلى معاهدكم قبل النقل. روحوا روحوا.

وانطلقنا فرحين ، فهمس في أذني زميلي الشيخ عبدالله ، متسائلاً:

يا شيخ شعراوي أنت جبت الكلمة دي منين؟!

فقلت له: والله الكلمة هي اللي جت على لساني.

وعندما أصبح الشيخ عبد الرحمن حسن شيخا للأزهر، وأنا مديرا للأزهر.. جاءوا بصورة لجمال عبد الناصر، وهو يصلي، ووضعوها في مكتبه.. وودوا أن هذا يكون مناسبا.. وقال لي شيخ الأزهر: ما تكتب لنا كلمتين نضعهما تحت الصورة الواقفة دي.

فسألته. وكان يحبني جدا: هل هذا توجيه أم تطوع بالنفاق؟

فضحك. وقلت له: طيب أنا حاكتب كلمتين. لكن بشرط أنك تكتب ورايا بخط إيديك.

والتقط ورقة. وقال لي: موافق. أنا حاكتب..

قفلت له: إذن أكتب بخط واضح.

والله يرحمه كان من أبناء الأكابر. وأمليته:

غدا تتوارى في سراديب من مضى ... ولن يقف الدولاب والله دائم

ويمضي الذي يأتي لسردابكم حتما ... فليتكم لما. تذكرتموا لما

وفوجئت بالشيخ حسن يقول لي: أبدا. لا أقدر على كتابة هذا أبدا.

ولا أنسى يوم ما أعرب جمال سالم عن رغبته لزيارة الأزهر. وأراد أن يعقد اجتماعا لمجمع بحوث العلماء، ليتخذوا قرار تحديد النسل. فقال لي شيخ الأزهر وقتها: أنا مريض من ألآن ولن أحضر.

كان يمقت جدا كلمتي شيوعية واشتراكية. وقال لي: أنت مقرر المجمع، أعرف شغلك.

وجاء يوم الثلاثاء المحدد لموعد الزيارة.وانتظر جمال سالم طويلا داخل قاعة اجتماع مجمع بحوث العلماء.وكل نصف ساعة، يحضر عالم واحد. فغضب جمال سالم، وكان سليط اللسان، وقال: إيه العلماء دول؟!

فقلت له يا سيادة عضو مجلس الثورة: أنت جئت في سيارة خاصة، وأمامك موتوسيكلات مصفحة، ودول غلابة وجايين متشعبطين في الموصلات. وعلى كل حال، انتظر بعض الوقت. الساعة لم تزل العاشرة والنصف صباحا. وأنا على أي حال أحمد الله.

فقال جمال لسالم: العلماء طبعا لابد أن يحمدوا الله.

فقلت له: إنني أحمده لأمر مختلف.

فسألني: على ماذا؟

فقلت له: لأن أعضاء مجمع بحوث العلماء لم يجتمعوا من قبل. ليقروا تحديد النسل قبل أن تحمل أم جمال عبد الناصر فيه.وإلا كانت الدنيا تخسر خسارة كبيرة جدا.

فسكت جمال سالم فترة، ثم قال: لما ييجوا العلماء، أبقوا اعملوا قرار واحضروا به إلينا.

ولم يحضر بقية العلماء ، ولم ينعقد الاجتماع.

وأما أمير الشعراء أحمد شوقي فقد التقيت به مرة واحدة. وكنت غاضبا ، لأنني كنت أحبه ، وفوجئت يوما بقصيدة له نشرتها الصحف يوم العيد يقول فيها:

رمضان ولى هاتها يا ساقي..... مشتاقة تسعى إلى مشتاق

وكأنه امتنع فقط في رمضان عن الخمر. وكان صعبا جدا بالنسبة لي أن الذي قال هذا في الخمر هو شوقي ، الذي قال قصائده العظيمة في المناسبات الدينية الجليلة.

فقلت للشيخ مصطفي البياضي الذي عرفنا شوقي عن طريقه: لابد أن أذهب لمقابلة هذا الرجل.

وكنت في سن الشباب. وجئنا إلى القاهرة. وكان الشيخ مصطفي يعرف شخصا يعلم دائما بالمكان الذي يوجد فغيه شوقي. وقال لنا إنه موجود في عش البلبل عند الهرم.واصطحبنا إليه.. وقال لشوقي: هؤلاء شبان من أشد المعجبين بك ،ويحفظون شعرك كله ، ويأملون فقط في رؤيتك.

فسألني شوقي: ما الذي تحفظه عن؟

فعددت قصائد عديدة له.. فسألني: ومن الذي دفعك إلى هذا؟

فقلت له: إن والدي كان يمنحني ريالا عن كل قصيدة أحفظها لك.

فابتسم، وقال لي: مرحبا بك.

وقلت له: إن لنا عتاب عليك.

فسألني: فيم العتاب؟

فقلت له: ما هي حكاية رمضان ولى هاتها يا ساقي؟

فضحك كثيرا، وقال: ألستم حافظين للقرآن الكريم؟

فقلنا: بالطبع نحفظه.

فقال: ألا تعرفون الآية التي تقول: " ألم تر أنهم في كل واد يهيمون* وأنهم يقولون ما لايفعلون " " الشعراء: ٢٢٥، ٢٢٦ وكان ردا أفحمنا وبعدها بستة أشهر ،مات رحمه الله.

*****

## مولد العذراء في دقادوس

في إطار الاحتفالات والتقاليد الشعبية القديمة ، التي كانت تملأ حياة القري المصرية ، والتي نشأ وترعرع الشيخ الشعراوي مع أترابه في أحدى هذه القرى. يقول الشيخ سارداً ذكرياته عن مثل هذه الاحتفالات:

" من هذا الزمن ، أذكر أن من أهم الاحتفالات الدينية ، التي كانت تجمع آباء وأبناء قريتنا دقادوس " مولد العذراء " ، الذي كان يقام في الأسبوع الثالث من أغسطس. وكان يقال إنها مرت بالمسيح في قريتنا ، فأقيمت لها كنيسة عندنا. وكنا نعتاد في الاحتفال بهذا المولد أن تأتي إليه كل الطوائف. لأنه كان من الموالد الكبيرة جدا.

وكان من بين الذين يحضرون ، هؤلاء الذين يدقون الوشم. وسبب هذا أن النيل في بلدنا كان واسع. ويغرق فيه أناس كثيرون. فوجدوا أن أنسب وسيلة لمعرفة الغرقى ، أن يدقوا وشما على أيديهم. وكان " مولد العذراء " أفضل وقت لدق الوشم ، لأن أعدادا هائلة من أبناء دقادوس والقرى المجاورة كانت تتجمع فيه.

وحدث أن ذهبت مع أصدقائي من شباب القرية إلى المولد ، فوجدنا الرجل الذي يدق الوشم تحت الجميزة يخيرنا بين ما نريد دقه بالوشم. صورة بنت حلوة ، وحاجات كثيرة غير ذلك. والتففنا حول رجل يدق الوشم بقرش. وكان في صحبتي أثنان من أصدقائي ، دق لهما الوشم. ثم جاء دوري لكي أدق صورة طيور.

ففوجئت بيد تشدني فجأة، وكان والدي، وكنت على وشك دق الوشم. ضربني وصحبني إلى البيت.. وقال لي: لا تقدم يا بني على شيء إلا بعد أن

تشاور من يحبك.. والذين معك عيال مثلك.

وسألني: هل ستدرس في الأزهر ، وتحفظ القرآن ويبقى لك طيرتين هنا؟

وبعد أن كبرت وأصبحت عالما. كان يذكرني ، ويقول لي معاتبا: تصور أن تكون عالما أزهريا ، كما أنت الآن ، وعلى جانبي جبينك طيرتين هنا؟

ووقتها رأيت غيري ممن دقوا الوشم. وأرادوا إزلته بعد أن كبروا ،ولكن ذلك كان مستحيلا إلا باستخدام الأزميل. فقلت لنفسي: يا سلام على الأقدار. ولو لم يحضر والدي ، وأنا على وشك دق الوشم. لكنت منهم.

ومن يومها ، ترسخ إيماني بألا يناقش العبد قدره ، فقد يراه ضارا به. أو يمنع عنه شيئا طيبا ، كما كنت أرى في صغري وقت أن جاء أبي إلى تحت الجميزة على غير موعد. بينما كان القدر يخبئ لي ما هو أفضل ألف مرة.

بأن ينقذني في كبري من وصمة الوشم.

وأيضا ، كان لأبي كل الفضل فيما صرت به من دروس في أحداث عديدة تالية.

فبعد أن تعلمت القراءة على يد العريف الذي كان يقرأ ونحن نقرأ وراءه. جاء دور الكتابة. فكان يعلمنا الكتابة على ألواح صفيح. ثم يطلب منا أن نحفظ ما كتبناه. وفي هذه الأثناء ، جاء إلى مسجدنا شيخ من بلبيس إماما وخطيبا للمسجد.. فأسكنه أبي في غرفتين ببيتنا. وكان يسهر مع أهالي القرية ليلا. ويترك بيته.وكان أبي يلزمني بأن أبقى في بيتنا إلى أن يعود الشيخ. ويراجع ما حفظته.

ولما وجد الشيخ أنني أجتهد في الحفظ ، قال لي: عظيم. سوف أجعل

والدك يعد لك لوحا ثانيا للبيت ، وتكتب فيه كل يوم حاجة حلوة كده.

وأصبح عندي لوحان: لوح للكتّاب ، ولوح لسيدنا الشيخ. وظللت لفترة طويلة أحفظ من هنا. وأحفظ من هنا وعندما أجلس في أي مكان وأعيد تسميع ما حفظته. يدهش الحاضرون ، ويقولون: من أين أتيت بهذا؟! إنه لا يعطى في الكتّاب.

فأقول لهم: هذا من عند شيخ المسجد الذي يسكن عندنا.

وهذه الزيادة في حصيلة ما أحفظه. أعطتني تميزا بين إخواني. وقد حببني هذا في الحرص على التميز. فكنت أنا الذي أسأل الشيخ أن يعطيني واجبا إضافيا لأكتبه وأحفظه. إن نسي ذلك.

وكان أبي يسعد كثيرا بهذا ، ويفاخر به. فكان عندما يأتي إلينا جمع من أصدقائه ، ينادي عليّ ويقول لي: قل يا بني لأعمامك حفظت إيه وإيه.

فأكرر على أسماعهم ما أحفظه. وهم يطلبون مني التكرار لاستحسانهم ما أنطق به. وأنا أعيد وأكرر. وهذا التصرف من والدي. الذي كان يفاخر بي عن ثقة واعتزاز بابنه. كان يمنحني أكبر الدفعات لكي أضاعف من التحصيل.

ويا ليت الآباء يشجعون أبناءهم ، على نحو ما فعل أبي. ليصبوا منهم أنجح الأبناء وأكثرهم تميزا وتفوقا.

وفي هذه الأثناء أعلنوا في القرية عن إنشاء مدرسة أولية. وأصبحت موزعا بين المدرسة وبين الكتّاب الذي يحرص عليه أبي ، وبين الغيط الذي أحبه كثيرا ولا أريد أن أفارقه. ولا يغيب عن بالي. لأني كنت أحب أن أركب المحراث والنورج وغيرهما.. وكان أبي يتفنن في إبعادي عن الحقل ، لكي أتفرغ للعلم.

ووجد أبي في المدرسة ما يخدم غرضه. فالمدرسة غير الكتّاب. فبعد سيدنا والعريف. أصبح هناك الناظر، وسيدنا الشيخ أحمد، وسيدنا الشيخ محمد أبو عمارة. وسيدنا الشيخ حسن زغلول. وكل مدرس له فصل ونظام مدرسي.

هذا كله أخذ من وقت الكتّاب. ولكن لحرص أبي عليه. جعله ما بين المغرب والعشاء. لأنه كان مصمما على انتظامي به. لكن صديقا لوالدي كان اسمه الحاج متولي على اسم أبي قال له: هذا إرهاق للولد. مدرسة بالنهار. وكتّاب بالليل؟! الولد سيرسب، خفف المسألة شوية.

فتهاون أبي بعض الشيء. واستبدل الكتاب بالشيخ عبد اللطيف جودة، الذي أتفق معه على أن يمر على دارنا وقت وجودي بها. ويتكلم معي ويعطيني ويحفظني ما يشاء. وكان الشيخ ليس له إلا في القرآن. وكان يستعين على مطالب الحياة بأن يجلس وقت فراغه يفتل أحبالا. ويعد خوصا، ويبيعه للناس. بينما كان شقيقه الشيخ كفافي لا يحفظ القرآن. ولكن له في العلم. فكان هو الآخر يدرس لي الفقه. وأبي يتركني للاثنين، فأنال منهما العلم الوفير. من هذا القرآن الكريم. ومن شقيقه الفقه الحنيف ودروسا عظيمة مجدا.

وكان الشيخ كفافي، قد حصّل علمه الوفير من جلسته في دكان صغير يبيع فيه المضغ. ويلتقي مع الكبار والعلماء بالقرية الذين يمرون عليه يوميا، ويتحدثون معه، ويشتري كل منهم لفة مضغ بقرش. وكان كل رأسماله ريالا يشتري به كل يوم دخانا ويدقه على يده، ويعد من عشرين أو أربعين ورقة مضغ. ويفرغ من بيعها على الظهر، ثم يذهب إلى الصلاة. وبعدها يحضرون له الأكل، ونحن نشتهي أكله. لأن زوجته كانت تحمله إليه على صينية

صفراء. ومنظره جذاب. إلى جانب القلة التي تفتح النفس.

هؤلاء جميعا أعطوني صلة قوية جدا بالله من اقترابي منهم ومعايشتي لهم.

وهكذا ، كانت حياة القرية تبعا للإيمان ، وترسيخا للعقيدة. ومنارا للسلوك القويم والعلم والتحصيل في أمور الدين.

ومن حياة القرية تعلمت كذلك درسا لا أنساه من وفاء النيل.

فقد حدث أن غمر النيل في الفيضان ذات مرة كل شيء. وكان الذرة لم يزل نيا. وفوجئت بالأهالي يركبون قوارب ، ويبحرن في مجرى النيل. ويخلصون عيدان الذرة ، والنساء تزغرد. فدهشت جدا ، وقلت لأب: معقول النساء تزغرد على المصايب اللي جتلنا؟

فضحك والدي ، وقالي لي: بعدين سأشرح لك.

ولما خرجنا من الهيصة دي. قالي لي أبويا: يا بني النيل بيجيب لنا الخير كله. نزرع عليه ، ونعيش على الزرع طول السنة. والذرة النية دي صحيح ماستوتش ، لكن حنبيعه بأكثر من ثمنه لو نشف. وسألته: وعلشان كده الستات بتزغرد؟

فقال لي: وكمان علشان أيام فيضان النيل ، البلد لا تطبخ أبدا. الشبان كلهم يخرجون بمشنات ويذهبون بها للنيل لملئها بالماء ، ويصطادون السمك من هذا الماء. وكل أكل البلد يبقى سمكا في سمك. عايز خير أكثر من كده؟!

*****

## نوادر وطرائف:

**يقول شيخنا الجليل رحمه الله:**

" أذكر أن أعد لنا يوما عم أحمد جاد في " كانتين " المعهد طبق فول تمام ، " وضبه " بالزيت والليمون ، ودخل علينا ونحن نتناوله بشهية أحد أصدقائنا ، وهو الشيخ مصطفي سمك. وكان ضخم الجثة.وفيه كثير من طبيعة الشراقوة وسألنا: هو الملك فاروق يا أولاد بيأكل فول زينا؟

فرد عليه الشيخ عبد المقصود دراس. وكان يأكل معنا: أمال يا أخي. دا التابعي بتاع دمياط عمل له قدرة من دهب وسوى له الفول فيها. وأكله في رمضان.

فعلق الشيخ مصطفي سمك: معقول. لازم كان عليه لحمة.

ووقتها كان كل طالب منا يحمل معه ، عندما يأتي من بلده إلى الزقازيق ما توفر له من الطعام. فنتلقفه ونأكل معا. وظللنا على هذا الحال إلى أن حصلنا على شهادة الكفاءة. وكانت بعد دراسة سنتين في الثانوي. وبعدهما نحصل على التوجيهية ، بعد سنتين أخريين. ثم نتوجه إلى الكليات في القاهرة.

وكان بعضنا يكتفي بشهادة الكفاءة. ويعمل بها مدرسا إلزاميا.وأنا كنت أفضل ذلك. وقلت لأبي: أنا نفسي أرجع البلد ، وأتوظف في المدارس الأولية.

ولكن أبي رفض بشدة.وسألني رحمه الله: هوه مدرس الإلزامي مرتبه كام؟

فقلت له: ثلاثة جنيهات.

فقال لي: اعتبر نفسك موظفا عندي. وسأعطيك أربعة جنيهات شهريا.وسوف امنحك أيضا كل علاوة تتقرر. ولكن عليك أن تتفرغ أنت للعلم.

فقد كان هذا الأمر يهمه للغاية. وأكملت طريقي إلى التوجيهية ومعي أثنان فقط من أصدقائي. فكان علينا أن نجمع صحبة جديدة من الأصدقاء.وكان من بينهم أحمد عاصم.وكان من بلد أسمها أبو الشقوق. التي كانت قرية محمد حسين هيكل. صاحب رواية " زينب " التي تعتبر أول رواية نقلت إلى السينما. ولما أردنا مشاهدتها ، طلبنا من أحمد عاصم أن يكلم مؤلفها ابن بلده ليحصل لنا على ثلاث تذاكر مجانية. بدلا من أن ندفع في التذكرة ثلاثة تعريفة. فجاء إلينا بعشر تذاكر.

وهكذا كنا أول من شاهدوا أول فيلم سينمائي مصري. هو فيلم زينب. وسعدنا وقتها بهذا كل السعادة.وطلبنا من أحمد عاصم أن يبلغ ابن بلده إعجابنا الشديد بروايته. فقال لنا إنه ليس فقط بلدياته لكنه ابن خاله. فشجعنا هذا على أن نطلب منه أن يمدنا بنسخ من كتابه " حياة محمد ". فأحضر لك منا نسخة ، واعتدنا أن نعكف بعد كل عشاء على قراءة صفحات منه ، وكان هذا الكتاب من أهم العوامل المؤثرة التي حببت الأدب إلى قلوبنا.

وأصبحنا بهذا أدباء وشعراء وأزهريين. فكان الأدب يتطلب منا الفن والشعر ، والأزهر يتطلب منا الورع والتقوى. ومن ثم كان علينا بالضرورة أن تجمع بين الفن والتوقر. وكان الأمر يشق علينا لأننا نسمع مثلا شعر الغزل. ولكننا لا نستطيع أن نقول شعرا في الغزل لأننا أزهريون.

أيضا أسعدنا كثيرا وأمتعنا في ذلك الوقت قراءاتنا لكتاب للمرحوم أحمد شوقي ، كان عنوانه: " أسواق الذهب ". وكان النثر الرفيع. ولما قرأه لنا

الدكتور عبد المنعم خفاجة ، وجدناه يتكلم عن الفن كلاما واسعا بعض الشيء. ويقول: أساطين الفنون أربعة. وأساطين تعني أعمدة. الأول: شاعر صار بيته على ألسنة الناس. والثاني: مصور نطق زيته والثالث: مثّال نطق حجره. والرابع موسيقى بكى وتره.

فقلت: كلمة النحت والتماثيل لا تناسبنا، والموسيقى يمكن أن تناسبنا بشرط ألا تكون مهدهدة للعواطف ولا مهيجة للمشاعر.

وقطعنا وقتا في الأخذ والرد مع بعضنا البعض. إلى أن توجهنا إلى أستاذ لنا كان اسمه عبد العزيز عبد الحق – رحمة الله عليه – كان يدرس لنا التاريخ وطرحنا عليه موضوع حوارنا. وكان أستاذا بحق ، يعتبر التلاميذ أبناءه. فقال لنا: لأنكم أزهريون ، ستنظرون إلى الفن على أنه عيب.

فطلب مني المتحاورون أن أبدأ وأطرح موضوعا لنحدد موقع الفن منه. فاقترحت أن نحدد معنى كلمة فن أولا. لكيلا نفقد أزهريتنا في سبيل الشعر.

وأخذنا نبحث عن تعريف كلمة فن. فوجدنا أن كلمتي فن وفنان مأخوذتان من الحمار الوحشي. بمعنى أن الفن يجمل كل شيء لكي يروق في المنظر. حتى منظر الحمار الوحشي البعيد عن كل جمال. وانتهينا إلى أن الشعر في حد ذاته ليس حراما. لكن المهم في أي مجال نستخدمه؟!

فمثلا ، لا يقال السكين حرام أو حلال. لأننا لو استخدمنا السكين في ذبح فرخة تكون حلالا.. وأما إذا جرحنا بها إنسانا تكون حراما. وعلى هذا قال لنا الشيخ حسن الإمام: عندما يريد أحد أن يقرض شعرا في الغزل. فليكن غزلا شرعيا.

فقلت له: إذن على كل منا أن يكتب شعرا في الغزل الشرعي ، ويأتي به إلينا غدا. ورحب الجميع. وفي اليوم التالي. اجتمعنا وكنت أول من سألوني: ماذا قلت؟. فقلت لهم:

من لم يحركه الجمال فناقص تكوينه

وسوى خلق الله من يهوى ويأذن دينه

وقد قال رسول الله ﷺ: إن من البيان لسحرا. فمنه البيان المعبر ، وإذن لا تقول إن الفن سيء. إلا إذا نقلنا من جمال إلى قبح.

وقلت يوما لبعضنا: ما دمنا أزهريين وشعراء. فلنحاول أن نمسك بالأشياء التي للشرع فيها رأي وندخلها الأدب. فبدأنا باختيار آية " ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم* وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم " " فصلت: ٣٤ ، ٣٥ " ، وكان أن قلت في هذا المعنى:

يا من تضايقه الفعال من التي ومن الذي

ادفع فديتك بالتي حتى ترى فإذا الذي

وبعدها استحسنا هذه المحاولات الأدبية. فكنا في كل أسبوع يتناول أحدنا آية ويقرض عشرا في معنيها. فكان القرآن الكريم بالنسبة لنا ، وسوف يظل لكل أبناء الضاد من الأدباء. نبعا لا ينضب للوحي الأدبي.

*****

# الشعراوي يعتمد على نفسه

من خلال ذكريات الشيخ الشعراوي يمكننا أن نتعرف شيئا فشيئا على ملامح شخصيته الغنية بالمعاني والتي صقلتها التجارب والأيام فأصبحت شخصية فريدة ومميزة حتى إن هذا التميز والتفرد انسحب على منهجه في حياته وحتى منهجه في التفسير وأيضا في التعامل مع القضايا العامة والقضايا الفقهية والعلمية. ومن هذه الملامح الشخصية والتي ستتعرف عليها من خلال السطور التالية هي سمة الاعتماد على النفس والتعامل مع الحياة بمرونة عالية واكتفاء ذاتي. وكذلك التعامل مع الأخطاء الشخصية بشكل فيه كثير من المرونة والإصلاح الذاتي.

في حوار للشيخ مع الأستاذ " سعيد أبو العنين والذي ضمنه كتابه " الشعراوي الذي لا نعرفه والذي نشر في دار أخبار اليوم: كان الحوار التالي:

" لا أحد يعرف مثلا أن الشيخ الشعراوي عاش عمره يخدم نفسه بنفسه! فهو الذي يطبخ لنفسه. وهو الذي يغسل ملابسه حتى وهو في مرحلة من العمر متأخرة. لا يزال "يطبخ ويغسل "!

وتعليقا على هذه الفقرة يقول المؤلف: " هكذا يقول وهكذا يبدو لمن يعرفه عن قرب ، وهو قليلون جدا. وليس " الطبيخ والغسيل " الذي يتكلم عنه الشيخ في سياق حديثه عن الحياة الخاصة التي يحياها في بيته الكبير بالهرم. فهو يحكي أيضا عن عادة التدخين التي لازمته أكثر من أربعين سنة "

كيف أقبل على تدخين السجاير خوفا من " الكوليرا ". وكيف أقلع عنها بعد أن سمع أحد أصدقائه يدعو الله وهو يطوف حول الكعبة أن يخلص الشعراوي من التدخين؟ "

عن بيته الذي بناه وعن حياته فيه يقول الشيخ ساردا جزءا مهما جدا من حياته " عندما بنيت هذا البيت حرصت على أن أجعل فيه مكانا خاص بالصلاة وهو هذا المكان. أنه مسجد صغير داخل البيت لكن الخطأ الذي وقعنا فيه هو أننا عملنا الأرضية بالرخام.وحطينا فوقها موكيت وسجاد. كان المفروض أن نعملها بالبلاط العادي ما دامت ستفرش بالموكيت.. لكن الذي حدث قد حدث. وكل أصدقائي الذين يأتون إلى هنا ويجلسون معي في هذا المكان عملوا مثله في بيوتهم وانتشرت الفكرة بالنسبة لأصدقائهم أيضا.

وقال الشيخ: في كثير من البيوت يحرص أهلها على تخصيص غرفة للضيوف ويهتمون بهذه الغرفة وبتأثيثها اهتماما كبيرا بحيث تصبح أفضل وأحسن غرفة في البيت. ولكن قد تمضي السنة دون أن يدخلها ضيف واحد!! فلماذا لا نحولها إلى مكان للصلاة.ونستقبل في هذا المكان ضيوفنا بكل الترحاب! ونقضي فيه وقتنا عندما نكون في البيت؟

وأضاف: عندما كنت أسكن في حي الحسين. كنت أخصص أيضا مكانا في البيت للصلاة. وقد تركت بيتي في الحسين عندما وجدت نفسي متعبا وغير قادر على صعود السلالم. وقد اقترح أحد أصدقائي أن نعمل " أسانسير " في البيت. لكن المعماريين قالوا أن هذا غير ممكن. لأن البيت ضيق. ولا يحتمل عمل أسانسير. فانتقلت بعد ذلك إلى هذا البيت.

وقال الشيخ: أن الذي أختار لي هذا الموقع هو صديق لي أسمه محمد عارف.

وقد جاء أولادي وقعدوا معي في هذا البيت. كان أولادي مشتتين هنا وهناك. فقلت لهم تعالوا واقعدوا معي.

سؤال: وهل هم الذين يقومون بخدمتك ألآن؟

قال: هم يتمنون ذلك.ولكني تعودت طول عمري أن أخدم نفسي بنفسي.

أنا الذي أطهو طعامي. وأنا الذي أغسل ملابسي. هكذا تعودت. وأولادي كما قلت يسعدهم جدا أن يقوموا على خدمتي.ولكن هكذا تعودت. هناك حكمة كنت أقولها لأولادي وأرددها كثيرا وهي: " من بر غير آبائه. بره غير أبنائه ".

ولكنني عشت طول عمري لا أنتظر من أولادي شيئا / . وهم من جانبهم يودون أن يفعلوا أي شيء لخدمتي.ولكني تعودت خدمة نفسي بنفسي.

وقال الشيخ: أنني أطهو طعامي بنفسي. وعندما " أطبخ " حاجة حلوة. أرسل بعضا منها لأولادي.

ويضحك الشيخ من قلبه وهو يقول: طبعا أو حاجة اتعلمت " أطبخها " وكان هذا من زمان أيام كنت طالبا بالأزهر. كانت أول حاجة " الفول النابت " كنت خبيرا في عمل الفول النابت.وبعدها دخلت على العدس. وبعد العدس دخلت على صينية السمك " الصيادية ".

سؤال: كان هذا أيام زمان!! فماذا عن ألآن؟

قال: ولغاية النهاردة أطبخ حاجتي بنفسي.

ونادى على صبي صغير:

يا واد يا أحمد. يا وله:؟

وجاء أحمد ، تسبقه أجابته:

نعم يا مولانا.

قال الشيخ يسأله: مين اللي عمل الأكل امبارح؟

أنت يا مولانا.

قال الشيخ: وصالحة جابت إيه معاها من السعودية؟ " وصالحة هي بنت الشيخ ".

جابت ملابس.

قال الشيخ / : وإيه تاني؟

جابت سكاكين. وحاجات للمطبخ.

قال الشيخ: ومين اللي أكل معانا؟

الحرس اللي قاعدين بره.

وانصرف الصبي.

وقال الشيخ: أنا تعودت أن أخدم نفسي. زمان كنت أدخن السجاير بكثرة. وكنت " أكح كثيرا " وكنت أخفي مناديلي. ثم أجمعها وأغسلها بنفسي وأنشرها. وكنت " عيالي " تزعل وتقول: " وإحنا قاعدين نعمل أيه؟ " وكنت أقول لهم هذا شأني. لا تزعلوا مني..

سؤال: على ذكر السجاير والتدخين. متى عرف الشيخ السجاير؟. متى بدأ التدخين؟

قال الشيخ: حدث هذا في سنة ٤٧ على ما أذكر. وكان وباء الكوليرا قد اجتاح مصر في تلك السنة. وسمعت وقتها أن " أكل البصل والتدخين " يحميان من الكوليرا.. فأقبلت على " البصل والتدخين " وانتهت الكوليرا

واختفت لكنني لم أتوقف عن " البصل والتدخين "! وانتهى دور البصل بعد ذلك. وبقى التدخين. كنت أدخن كثيرا أكثر من خمسين سيجارة في اليوم. وكنت " أكح " كثيرا.

وكان لي صديق رحمة الله عليه وهو الدكتور سيد جلال. كان يحبني كثيرا. وكنت عندما أجلس معه يلاحظ أنني " أكح " بصورة مزعجة.

كان هو يدخن " السيجار " وكنت أنا أدخن " السجاير ".

وكان يقول لي: يا شيخ شعراوي لازم تبطل" السجاير.

فكنت أقول له: وانت كمان لازم تبطل " السيجار "

فكان يرد ويقول: أنا لا " أكح ".والسيجار الذي أدخنه مصنوع من أنقى أنواع الدخان. أما السجاير فهي مصنوعة من الدخان الأقل نقاوة. وهي في مصر من أردأ أنواع الدخان. هذا بالإضافة إلي أنها ملفوفة بورق من " النشاء". والنشاء من أخطر المواد تأثيرا على الصدر.فالسجاير أكثر لعنة من السيجار. وأكثر ضررا. وإذا كنت أنا " لا أكح " فليس معنى ذلك أن السيجار لا يسبب " الكحة ". وإنما قد يرجع ذلك إلى أن عندي " شوية عافية " ولكن الضرر قائم ويتزايد. ويضيف الشيخ الشعراوي: وحدث بعد ذلك أن التقينا في السعودية أنا وصديقي الدكتور سيد جلال. وذهبنا للطواف حول الكعبة. وهناك. عند الكعبة المشرفة. أمسكني سيد جلال من يدي وقال: " اللهم إن كانت لي دعوة مستجابة عند بيتك الحرام وفي الكعبة المشرفة فأجبها لي وهي أن " يتوقف " الشيخ الشعراوي عن التدخين وأن " يبطل الدخان ".

وقال الشيخ: لقد تأثرت كثيرا وأنا أسمع هذا الدعاء من صديقي الدكتور سيد جلال.

وبعدها مرضت. فكرهت التدخين. ولما عوفيت. وجدتني ليس لي رغبة في التدخين. فقلت لنفسي. " لعل الدعوة قبلت "! وأن المرض ألذي أصابني قد أعطاني فترة لكي أمتنع فيها عن التدخين.،. ولكني عدت وسألت نفسي: ما هو عمري ألآن؟ كم بلغت من العمر وكم يتبقى لي؟. ولماذا أعذب نفسي فيما بقي لي؟ لماذا أعذب نفسي إذا كانت لي رغبة في التدخين؟ ، ووضعت علبة السجاير في جيبي ومعها علبة الكبريت. وظلت السجاير والكبريت في جيبي لمدة سنة كاملة ولكني لم أقربها.

وقال الشيخ: بعد أن تخلصت من هذه " البلوى ". من هذه العادة السيئة. عادة التدخين التي أتعبتني كثيراً ، وأضرتني كثيرا. بدأت أعاني من حساسية الصدر.

*****

## العصا وحكايتها

ويواصل الشيخ رواية مذكراته للأستاذ: سعيد أبو العينين حتى وصل حديث الذكريات عن حكاية العصا. فما هي حكاية العصا:

" يقول الشيخ: عندي أكثر من مائة " عصا " أتوكأ عليها. وليس لي فيها مآرب أخرى!

هكذا قال الشيخ وهو يضحك.

وأضاف وهو يتحدث عن " معرض العصي " التي يقتنيها والذي يضم أكثر من مائة عصا: أنا أستعمل العصا منذ كنت طالبا بالأزهر وأقول لك: أن العصا على أيامنا كانت للعياقة!!

وهذا الكلام من سبعين سنة. وأنا طول عمري أهتم " بهندامي " وأحب أن يكون كل ما أرتديه مضبوطا وله ذوق. يعني " آخر شياكة " كما يقولون!.

كنت أهتم بالعمامة ، وشيلان العمامة ، والقفطان ، والجبة أو " الكاكولة " كما يقولون.والجزمة. وكذلك العصا.. لونها وشكلها وذوقها بحيث تتمشى مع " الطقم "!

لم أكن أتوكأ على العصا. كنت أعلقها في يدي!. وكان هذا ما يفعله كل النسا الذين يحبون " القيافة" في ذلك الوقت. كانت ظاهرة موجودة. ولم تكن " العصا " فقط. كانت " المنشة " أيضا من لوازم القيافة! كل الأعيان زمان كانوا يمسكون المنشة إلى جانب العصا. وكان عندي أيضا مجموعة من " المنشات ". تقريبا ٢٠٠ منشة!

لكن المنشة انقرضت واختفت في أيدي الناس وبقيت العصا. والذين

تعودوا على العصا لا يتركونها.

وقال الشيخ: وأعتقد أننا كنا نتعجل " الوقار" في تلك الأيام البعيدة. وفي تلك المرحلة المبكرة من العمر! يعني لم تكن الحكاية مجرد عياقة.

" ورداً على سؤال للمحاور يقول: من أين كان الشيخ يشتري " العصي والمنشات "؟

قال الشيخ: زمان كنت أشتريها من محل " العقاد " بالزقايق. كان المحل متخصصا في بيع العصي والمنشات والسبح. وكنت أنا من الزبائن المهمين للمحل.

سؤال: وهل كانت العصي تتشكل وتتغير حسب الموضة؟

قال الشيخ: العصي على أنواع. هناك العصا الخرزان. وهناك العصا التي هي عبارة عن عقلة واحدة. وهناك الأبنوس. وهناك الخشب. والخشب أنواع. ومن هذه الأنواع خشب الورد.

وكذلك " يد " العصا. فهي الأخرى على أشكال مختلفة. فيها المعقوف وغير المعقوف والمزخرف، وغير المزخرف.

وحتى الآن أشتري العصا التي تعجبني. وبعض أصحابي الذين يعرفون عني اهتمامي باقتناء " العصي " التي لها ذوق. كانوا يشترونها لي.

وأشار الشيخ إلى أحد أصحابه وكان يجلس معنا قائلا: اللواء عطية الدسوقي أشتري لي " شوية عصيان " عندما كنت في لندن للعلاج. فاكر يا عطية؟

ورد اللواء عطية الذي كان يرافق الشيخ في رحلة علاجه في لندن قائلا: فاكر يا مولانا لقد اشترينا " أربع عصيان " منها عصاية بعشرين جنيها

استريلينا! لكن حاجة معتبرة.

وقال الشيخ: أنا كنت أحب أعرف كل شيء عن أي مهنة وأسأل وأدقق وأهتم بكل التفاصيل. وتساءل الشيخ: ألم أقل لك أنني أحدثت " تطويرا " في الزي الأزهري؟ كنت عاشقا للزي الأزهري. كنت عاشقا للعمامة وللجبة والقفطان.

وهكذا اطلعنا على جوانب كثيرة من شخصية الشيخ الشعراوي منها اهتمامه بالاعتماد على نفسه في إعداد طعامه وشرابه وغسل ملابسه والكثير من شئون حياته حتى إلى مرحلة متأخرة من حياته. وكذلك اهتمامه " بهندامه " وطريقة ارتدائه لملابسه وعلاوة على اهتمامه بالمعرفة حتى وإن لم تكن في مجاله.. رحم الله الشيخ رحمة واسعة وتجاوز عن سيئاته. وغفر له.

*****

# الشعراوي والأخوان

كثر الكلام في الآونة الأخيرة عن علاقة الشيخ الشعراوي بالإخوان المسلمين كتنظيم سياسي له خلفية دينية. فالبعض أكد علاقته القديمة بهم. والآخر نفي تلك العلاقة بالكلية. وكما قلت كثر الكلام كثيراً وخاصة بعد وصول الأخوان إلى سدة الحكم في مصر عقب ثورة ٢٥ يناير..

وعن هذه العلاقة وتفاصيلها يحدثنا الشيخ بنفسه في كتاب الأستاذ: سعيد أبو العينين " الشعراوي الذي لم نعرفه: فتعالوا أعزائي القراء لنغوص مع الشيخ الشعراوي في خبايا هذا العلاقة ونقلب معه صفحات التاريخ ولنتعرف على تفاصيل هذه العلاقة وكيف ابتدأت وإلى ماذا آلت؟.. ولكن وقبل كل شيء لنتطرق إلى نبذة عن تنظيم الأخوان وكيف بدأ؟

## الأخوان المسلمين:

الإخوان المسلمون هي جماعة إسلامية، تصف نفسها بأنها "إصلاحية شاملة". تعتبر أكبر حركة معارضة سياسية في كثير من الدول العربية، أسسها حسن البنا في مصر في مارس عام ١٩٢٨م كحركة إسلامية وسرعان ما انتشر فكر هذه الجماعة، فنشأت جماعات أخرى تحمل فكر الإخوان في العديد من الدول، ووصلت الآن إلى ٧٢ دولة تضم كل الدول العربية ودولاً إسلامية وغير إسلامية في القارات الست.

## أهداف الجماعة ووسائلها

طبقاً لمواثيق الجماعة فإن "الإخوان المسلمين" يهدفون إلى إصلاح سياسي واجتماعي واقتصادي من منظور إسلامي شامل في مصر وكذلك في الدول العربية التي يتواجد فيها الإخوان المسلمون مثل الأردن والكويت

وفلسطين والسعودية كما أن الجماعة لها دور في دعم عدد من الحركات الجهادية التي تعتبرها حركات مقاومة في الوطن العربي والعالم الإسلامي ضد كافة أنواع الاستعمار أو التدّخل الأجنبي، مثل حركة حماس في فلسطين، وحماس العراق في العراق وقوات الفجر في لبنان وتسعى الجماعة في سبيل الإصلاح الذي تنشده إلى تكوين الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، ثم الحكومة الإسلامية، فالدولة فأستاذية العالم وفقاً للأسس الحضارية للإسلام عن طريق منظورهم. وشعار الجماعة "الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا."

## التدرج التنظيمي في الجماعة

طبقا للمادة ٩ في اللائحة الداخلية للإخوان المعدلة عام ١٩٤٨م يحتل المرشد العام المرتبة الأولى في الجماعة باعتباره رئيساً لها، ويرأس في نفس الوقت جهازي السلطة فيها وهما مكتب الإرشاد العام ومجلس الشورى العام.

## المرشد العام

يُنتخب المرشد العام عن طريق مجلس الشورى العام ويجب أن يكون قد مضى على انتظامه في الجماعة أخاً عاملا مدة لا تقل عن خمس عشرة سنة هلالية ولا يقل عمره عن أربعين سنةً هلاليةً، وبعد انتخابه يبايعه أعضاء الجماعة وعليه التفرغ تماما لمهام منصبه للعمل بالجماعة، فلا يصح له المشاركة في أي أعمال أخرى عدا الأعمال العلمية والأدبية بعد موافقة مكتب الإرشاد عليها، ويظل المرشد في منصبه لمدة ست سنوات، قابلة للتجديد مرة واحدة، ويختار المرشد العام نائبا له أو أكثر من بين أعضاء مكتب الإرشاد العام، وفي حالة وفاته أو عجزه عن تأدية مهامه، يقوم نائبه

بعمله إلى أن يجتمع مجلس الشورى العام لانتخاب مرشد جديد، وكذلك يمكن لمجلس الشورى العام أن ينحي المرشد إذا خالف واجبات منصبه.

غير أن انتخاب المرشد، بحسب الإخوان، لا يتم حالياً إلا بواسطة أعضاء مكتب الإرشاد لسبب احترازات أمنية تحول دون اجتماع مجلس الشورى العام، حيث قامت قوات الأمن المصرية في عام ١٩٩٥م أثناء اجتماعه بالقبض على غالبية المشاركين فيه، وتم تحويلهم إلى محاكمات عسكرية حكمت على كثيرين منهم بالسجن مددا تتراوح من ثلاث إلى خمس سنوات

**مكتب الإرشاد العام العالمي**

مكتب الإرشاد العام هو القيادة التنفيذية العليا للإخوان المسلمين، وهو المشرف على سير الدعوة والموجه لسياستها وإدارتها. ويتم اختيار أعضائه عن طريق الاقتراع السري، ومدة العضوية فيه محدّدة بأربع سنوات هجرية.

يتألف مكتب الإرشاد العالمي من ١٣ عضوا عدا (المرشد العام)، ويتم اختيارهم وفق الأسس التالية:

أ- ثمانية أعضاء ينتخبهم مجلس الشورى من بين أعضائه، من الإقليم الذي يقيم فيه المرشد العام.

ب- خمسة أعضاء ينتخبهم مجلس الشورى من بين أعضائه، ويراعى في اختيارهم التمثيل الإقليمي.

جـ- يختار المرشد من بين أعضاء مكتب الإرشاد أمينا للسر وأمينا للمالية.

وإذا صادف فكان أحد المنتخبين لمكتب الإرشاد مراقبا عاما في قطره، فعلى القطر أن يختار مراقبا بدلا منه

مجلس الشورى العام العالمي

مجلس الشورى العام (أو كما كان يسمي الهيئة التأسيسية) هو السلطة التشريعية لجماعة الإخوان المسلمين، وقراراته ملزمة، ومدة ولايته أربع سنوات هجرية. وتتضمن مهامه الإشراف العام على الجماعة وانتخاب المرشد العام

**أعضاء المجلس:**

أ- يتألف مجلس الشورى العام من ثلاثين عضوا على الأقل، يمثلون التنظيمات الإخوانيه المعتمدة في مختلف الأقطار، ويتم اختيارهم من قبل مجالس الشورى في الأقطار أو من يقوم مقامهم. ويحدد عدد ممثلي كل قطر بقرار من مجلس الشورى.

ب- يجوز لمجلس الشورى إضافة خمسة أعضاء من ذوي الاختصاص إلى عضوية المجلس.

جـ- يمكن تمثيل أي تنظيم إخواني جديد في مجلس الشورى إذا اعتمده مكتب الإرشاد العام.

د- يجب أن يكون المراقبون العموميون للأقطار أعضاء في المجلس، وإذا تعذر مشاركة مراقب عام كعضو ثابت في المجلس يمكن للقطر اختيار غيره.

يحتفظ المرشد العام بعد انتهاء ولايته بعضوية مجلس الشورى العالمي مدى الحياة، إلا إذا كان انتهاء الولاية نتيجة الإخلال بواجباته أو فقد الأهلية.

**العلاقة بين القيادة العامة وقيادات الأقطار**

طبقا للمواد (من ٤٩ إلي ٥٤) في النظام الأساسي للإخوان، الموضوع عام ١٩٨٢م والمعدل في ١٩٩٤، فإن على قيادة الأقطار الالتزام بقرارات القيادة العامة متمثلة في المرشد العام ومكتب الإرشاد العام ومجلس الشورى العام وتشمل ما يلي:

الالتزام بمبادئ النظام الأساسي للإخوان وتشمل هذه المبادئ:

العضوية وشروطها ومراتبها

وضرورة إيجاد مجلس للشورى إلى جانب المكتب التنفيذي

والالتزام بالشورى ونتيجتها في جميع أجهزة الجماعة

الالتزام بفهم الجماعة للإسلام

الالتزام بسياسات الجماعة ومواقفها تجاه القضايا العامة

الالتزام بالحصول على موافقة مكتب الإرشاد العام قبل الإقدام على اتخاذ أي قرار سياسي هام.

علي قيادات الأقطار التشاور والاتفاق مع المرشد العام أو مكتب الإرشاد العام قبل اتخاذ القرار في جميع المسائل المحلية الهامة والتي قد تؤثر على الجماعة في قطر آخر.

يمكن لقيادة الأقطار التصرف بحرية كاملة ثم تعلم مكتب الإرشاد العام في أول فرصة ممكنة أو في التقرير السنوي الذي يرفعه المراقب العام في ما يلي:

كل ما يتعلق بخطة الجماعة في القطر ونشاط أقسامها ونمو تنظيمها.

المواقف السياسية في القضايا المحلية والتي لا تؤثر على الجماعة في قطر آخر شريطة الالتزام بالمواقف العامة للجماعة.

الوسائل المشروعة التي يعتمدها القطر لتحقيق أهداف الجماعة ومبادئها على ضوء أوضاعه وظروفه.

ويقوم كل قطر بوضع لائحة تنظيمية خاصة به على ألا تتعارض مع النظام الأساسي للإخوان، ويجب اعتمادها من مكتب الإرشاد العام قبل تنفيذها. يقدم كل مراقب عام تقريرا سنويا عن سير الدعوة ونشاط الجماعة والاقتراحات التي يراها كفيلة بتحقيق المصلحة في إقليمه إلى مكتب الإرشاد العام قبل انعقاد الاجتماع الدوري لمجلس الشورى العام. وللمساهمة في أعباء الدعوة يلتزم كل قطر بتسديد اشتراك سنوي تحدد قيمته بالاتفاق مع مكتب الإرشاد العام.

**المكتب الإداري**

ينقسم القطر إلى مكاتب إدارية، فلكل محافظة مكتبها الإداري الذي يشرف على المناطق الواقعة في هذه المحافظة، ويجوز أن تتسع حدود المكتب أو تضيق عن حدود المديرية أو المحافظة، ولكل مكتب إداري مجلس يديره، ويرأس المجلس الإداري رئيس الشعبة الرئيسية أو من يختاره مكتب الإرشاد من الإخوان العاملين الذين يرون فيهم الكفاءة، ولكل مكتب وكيل وسكرتير وأمين مالي، وضمن أعضاء المجلس أيضا رؤساء المناطق في دائرة المكتب الإداري، وأعضاء مجلس الشورى في القطر، ويوزع المكتب الإداري مناطقه في شكل قطاعات لتسهيل مهمة المتابعة في المكتب الإداري، ويضم القطاع الواحد علي الأقل ثلاث مناطق.

**المنطقة**

وينقسم المكتب الإداري إلي مناطق، تتكون المنطقة من كل الشعب الواقعة في دائرة المركز أو القسم (بحد أدنى ثلاث شعب وبحد أقصي عشر شعب)، ويجوز أن تكون حدود المنطقة أوسع أو أضيق من حدود المركز أو القسم. لكل منطقة مركز يديرها، يرأسه رئيس الشعبة الرئيسية، أو من يختاره المركز العام من مجلس إدارة الشعبة، أو من الإخوان العاملين الأكفاء لذلك، ويكون للمركز وكيل وسكرتير وأمين صندوق، وضمن أعضاء المركز رؤساء الشعب الداخلة في المنطقة

**الشعبة**

وتنقسم المنطقة إلي شعب، والشعبة هي أصغر الوحدات الإدارية، ويتكون لها مجلس لإداراتها ضمن أعضاءه رئيس الشعبة ونائبه ووكيل وسكرتير وأمين صندوق،وللشعبة جمعية عمومية، وتضم الشعبة كل الإخوان المقيمين في دائرة الشعبة أيا كانت صفتهم، (والحد الأدنى لأعضاء الشعبة خمسة من الإخوان العاملين، بصرف النظر عن عدد المنتظمين والمنتسبين، والحدّ الأقصى خمسة وأربعون من الإخوان العاملين)، وينقسم الإخوان في الشعبة إلي إخوان تحت الاختبار (منتسبين ومنتظمين) وهم الذين إعتنقوا فكرة الإخوان حديثا، وإخوان عاملين وهم كل من قام بواجبات عضويته واعتمدت عضويته من المركز العام وبايع علي ذلك.

**مصادر تمويل الجماعة**

تمويل الإخوان ذاتي،بمعنى أن الإخوان يعتمدون على تمويل أعضاء الجماعة للقيام بالأنشطة المختلفة التي يمارسها الإخوان، ووفقاً للنظام الأساسي للجماعة فإن أعضاء الجماعة مقسمين، على حسب ما تصنفهم

الجماعة، إلى مؤيد ومنتسب ومنتظم وعامل، على التوالي ووفقاً لآليات تحددها الجماعة يتم تصعيد العضو من مرحلة إلى أخرى أو من تصنيف إلى آخر، وذلك بعد اجتياز عدد من الاختبارات السلوكية والتثقيفية داخل الجماعة، ومن ذلك يلتزم العضو بدفع اشتراك شهري للجماعة، يقتطعه من دخله الشهري، ويستثنى من ذلك الإخوان المصنفين كمؤيدين والطلاب وأصحاب الرواتب الضعيفة. كما أن بعض الأنشطة التي يمارسها الإخوان تمول نفسها ذاتياً مثل المستشفيات ودور الرعاية التي تقدم خدماتها نظير رسوم الخدمة.

**رؤى وأفكار الإخوان**

**فهم الإخوان للإسلام**

ذكر حسن البنا في رسالة المؤتمر الخامس تحت عنوان (إسلام الإخوان المسلمين) "أن الإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف."

وذكر أيضاً "أن فكرة الإخوان المسلمين نتيجة الفهم العام الشامل للإسلام، قد شملت كل نواحي الإصلاح في الأمة، فهي دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية"

.

وذكر أيضا في نفس الرسالة أن خصائص دعوة الإخوان التي تميزت بها عن غيرها من الدعوات:

البعد عن مواطن الخلاف

البعد عن هيمنة الأعيان والكبراء

البعد عن الأحزاب والهيئات

العناية بالتكوين والتدرج في الخطوات

إيثار الناحية العملية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات

شدة الإقبال من الشباب

سرعة الانتشار في القرى والمدن

ووضع حسن البنا عشرة أركان للبيعة لدي الإخوان في رسالته الشهيرة رسالة التعاليم وهي (الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والثبات والتجرد والأخوَّة والثقة)، وذكر ضمن ركن الفهم الأصول العشرين لفهم الإخوان للإسلام والتي تعتبر الرؤية والأرضية التي تقوم عليها الجماعة في كل مكان، وقام العديد من مفكري الجماعة بشرح هذه الأصول مثل الدكتور يوسف القرضاوي والشيخ جمعة أمين. وتشترط جماعة الإخوان المسلمين علي التنظيمات الإخوانية في العالم فهم الإسلام ضمن الأصول العشرين

**منهج الجماعة**

وصف حسن البنا جماعة الإخوان في رسالة المؤتمر الخامس على أنها جماعة إصلاحية شاملة تفهم الإسلام فهما شاملا وتشمل فكرتهم كل نواحي الإصلاح في الأمة وأنها:

دعوة سلفية، إذ يدعون إلى العودة إلى الإسلام، إلى أصوله الصافية القرآن والسنة النبوية، وهي أيضا

طريقة سنية لأنهم يحملون أنفسهم علي العمل بالسنة المطهرة في كل شيء، وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلا

حقيقة صوفية، يعتقدون أن أساس الخير طهارة النفس، ونقاء القلب، وسلامة الصدر، والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخلق، والحب في الله، والأخوة في الله.

هيئة سياسية، يطالبون بالإصلاح في الحكم، وتعديل النظر في صلة الأمة بغيرها من الأمم، وتربية الشعب على العزة والكرامة.

جماعة رياضية، يعتنون بالصحة، ويعلمون أن المؤمن القوي هو خير من المؤمن الضعيف، ويلتزمون قول النبي: "إن لبدنك عليك حقًا"، وأن تكاليف الإسلام كلها لا يمكن أن تُؤدى إلا بالجسم القوي، والقلب الذاخر بالإيمان، والذهن ذي الفهم الصحيح.

رابطة علمية ثقافية، فالعلم في الإسلام فريضة يحض عليها، وعلى طلبها، ولو كان في الصين، والدولة تنهض على الإيمان، والعلم.

وشركة اقتصادية، فالإسلام في منظورهم يُعنَى بتدبير المال وكسبه، والنبي يقول: "نعم المال الصالح للرجل الصالح" و(من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفورًا له.(

كما أنهم فكرة اجتماعية، يعنون بأدواء المجتمع، ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها. أي أن فكر الأخوان مبني على شمول معنى الإسلام، الذي جاء شاملاً لكل أوجه ومناحي الحياة، ولكل أمور الدنيا والدين.

## رؤية الإخوان للمرأة

منذ قيام الجماعة، أسس حسن البنا قسم الأخوات المسلمات وكانت أول رئيسة لهذا القسم هي لبيبة أحمد وأنشأ أيضا معهد أمهات المؤمنين في الإسماعيلية، كما أن الجماعة رشّحت أكثر من مرة نساء على قوائمها الانتخابية مثل د.منال أبو الحسن ود.مكارم الديري، وجيهان الحلفاوي في مصر، أم نضال، ومريم صالح في فلسطين، ود. حياة المسيمي في الأردن. غير أن الجماعة في مصر تتمسك بعدم أهلية المرأة لرئاسة الدولة ولكن لها ما دون ذلك من المناصب بما فيها رئاسة الوزراء

## الإخوان المسلمون والغرب

يقول الإخوان أنهم لا يؤيدون الحوار مع المؤسسات الرسمية في الغرب إلا برعاية وزارة الخارجية المصرية بالنسبة للحالة الإخوانية المصرية، إلا أنهم يساهمون في حوارات ثقافية وسياسية وحقوقية مع مراكز حقوقية وبحثية بارزة في الغرب. حيث صدرت تقارير مهمّة في هذا الشأن كبحوث مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي ومجلة الفورين بوليسي ومؤسسة أبحاث الحركات الأصولية وأبحاث بارزة لباحثين كمارك لينش وعمرو حمزاوي.(١).

*****

(١) المصدر: موقع الموسوعة " ويكيبيديا "

## ماذ يقول أنصار جماعة الأخوان عنهم:

" القرضاوي: دعوة البنا كانت فريضة يوجبها الدين وضرورة يحتمها الواقع .

محمد قطب: الإخوان المسلمون فتح رباني واستجابة صحيحة للأحداث العالمية.

محمد عمارة: دعوة الإخوان العدسة المجمعة لما تفرق من أشعة تجديد الفكر الإسلامي، وما تبدد من محاولات الإصلاح في مسيرة الأمة.

طارق البشري: ظهور الإخوان نوع من الاستمرار التاريخي والصراع ضد الاستعمار.

لم تكن دعوة " الإخوان المسلمون " منذ ظهورها إلا فريضة أوجبها الدين وضرورة حتمها الواقع، وفتحًا ربانيًا، واستجابةً صحيحةً للأحداث العالمية، كما مثلت ريادة الأمام الشيهد "حسن البنا" لهذا الإحياء الإسلامي الحلقة المعاصرة في سلسلة الإحياء الإسلامي الحديث.

هذا ما يؤكده المؤرخون لسيرة جماعة " الإخوان المسلمين "، مشددين على أن الجماعة لم تنشأ من فراغ، ولم تكن تعبيرًا عن انقطاع في مسيرة الأمة بقدر ما كانت تواصلاً، واتصالاً؛ مصداقًا لحديث الرسول الكريم- ﷺ-: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك."

ويضيف المؤرخون: إن دعوة الإخوان تُعتبر العدسة المجمعة لما تفرق من أشعة تجديد الفكر الإسلامي، ولكل ما تبدد من محاولات الإصلاح في مسيرة الأمة على مدى عقود، مشددين على أن ولادة جماعة

الإخوان جاءت طبيعية لا عُسر فيها ولا ابتسار، إذ خرجت من بين فرث الاحتلال الأجنبي، ودم الاستبداد .

ويشددون على أن عظمة الفكرة الإخوانية هي في كونها استمرارًا، وتواصلاً لتيار الفكر الإسلامي التجديدي على مدى التاريخ، وأنها استمرار لمسيرة أمة هدها الجمود، وفت في عضدها الركون لما تركه الأقدمون .

والأمر هكذا، فهذه سطور نقلبها سويًا من تاريخ هذه الجماعة العظيمة، وذلك عبر التناول التالي:

- أولاً: في منهج التأريخ لجماعة الإخوان المسلمين .
- ثانيًا: الظروف الثقافية والفكرية .
- ثالثًا: الظروف الاجتماعية .
- رابعًا: الظروف السياسية .
- خامسًا: الظروف الاقتصادية .
- مقدمة:

كان واقع الحال في مصر، وفيما حولها من الوطن العربي، والإسلامي ينادي بوجوب دعوة جديدة سماها الإمام الشهيد "حسن البنا" في "رسالة بين الأمس واليوم: دعوة البعث والإنقاذ" (حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد، رسالة بين الأمس واليوم، الإسكندرية: دار الدعوة، ١٩٩٠م، ص ١٥٩)، وكما يقول الدكتور "يوسف القرضاوي": " كانت دعوة الإمام "حسن البنا" فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع

[1]الدكتور "محمود أبو السعود": أيديولوجية الإخوان المسلمين واقع المجتمع المصري قبل ظهور الإخوان فيقول :

-١ وطن باهت اقتطع من أصله بعد أن قطع الحلفاء المنتصرون أوصال الخلافة العثمانية، وبعد أن أطاح "أتاتورك" بالخلافة، وأعلن العلمانية، حينئذ طبق الإنجليز معاهدة سايكس- بيكو السرية التي عقدت في موسكو عام ١٩١٥م، وأصبحت مصر داخل نطاق الإمبراطورية البريطانية، ووجدت نفسها منعزلة عن دول العالم الإسلامي، وفي عنقها قيد ثقيل من الاستعمار الذي شجع النعرة الوطنية .

-٢ شعب مؤمن بالله. ثم بالإسلام: عقيدة راسخة، لكنه جاهل، الأغلبية الساحقة فيه لا تقرأ، ولا تكتب .

-٣ مستعمر قوي لئيم ذو دهاء، ومكر شديد، درس أحوال البلاد عن كثب، ومكن لنفسه على أيدي بعض الحكام، كون منهم طبقة من (المستوزرين) ومهد لتضامن الحكم غيلة عن طريقين:

الأول: الاستعمار الفكري حيث عمل على تنحية الشريعة الإسلامية من قانون القضاء، وحصرها في الأحوال الشخصية، وفصل المدارس المدنية عن المدارس الدينية .

الثاني: الاستعمار المادي حيث وجه اقتصاد البلاد إلى إنتاج المادة الخام التي تنتجها الأرض الزراعية .

-٤ نظام حكم ظالم حيث فُرض ملك على شعبه، وصيغ دستور يحد من

---

[1] د. يوسف القرضاوي، الإخوان المسلمون، ٧٠ عامًا في الدعوة والتربية والجهاد، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٩، ص ١٨.

سلطة الحكومة المصرية، وسيادتها، ويعامل الأجنبي بقانون يختلف عن القانون الذي يسري على المواطنين .

٥- طبقة حاكمة استصفاها الملك، ورضي عنها المستعمر، غالبيتها من سلالة ألبانية أو تركية، وورثت عن آبائها، وأجدادها القريبين مساحات واسعة من الأرض الزراعية التي أممتها الدولة في عهد "محمد على" الكبير، ووزعها "إسماعيل" على أقربائه وأصفيائه.(١)

في هذا الجو الغائم ولدت دعوة الإخوان المسلمين أحوج ما تكون مصر – والوطن العربي، والإسلامي الكبير– إليها؛ لتكون دعوة البعث والإنقاذ، كما عبر عنها الإمام "حسن البنا" مؤسس الجماعة .

ويشير "محمد شوقي زكي" إلى ما يسميه "تضاريس الحقل"، وهي البيئة التي نشأت فيها جماعة الإخوان المسلمين، فيقول: كان ظهور الجماعة في وقت كان الاستعمار البريطاني يجثم على صدر مصر، وكانت الأحزاب في وادٍ، والشعب في واد آخر. أما القصر فكان دائمًا يسير حسب أهواء المندوب السامي البريطاني.(٢)

وفي هذه الدراسة نحاول أن نرصد الظروف الثقافية، والفكرية والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية التي أدت إلى نشأة الإخوان المسلمين، محاولين إثبات أنها خرجت من رحم كل تلك الظروف، فولدت ولادة طبيعية لا عسر فيها ولا ابتسار، فخرجت من بين فرث الاحتلال الأجنبي، ودم الاستبداد السياسي لبنًا سائغًا للعاملين لدين الله، والرافعين رايته.

---

(١) د. يوسف القرضاوي، الإخوان المسلمون، ٧٠ عامًا في الدعوة والتربية والجهاد، مرجع سابق، ١٩٩٩، ص ٢١.

(٢) محمد شوقي زكي، الإخوان المسلمون والمجتمع المصري، القاهرة: دار الأنصار، ط٢، و ص١٩٨٠، ص من مقدمة الناشر.

•أولاً: في منهج التأريخ لجماعة الإخوان المسلمين:

لم تكن نشأة جماعة الإخوان المسلمين في أواخر العقد الثالث من القرن العشرين حدثًا مفارقًا لطبيعة تلك المرحلة من مراحل التاريخ المصري في العصر الحديث.

كما أنها لم تكن حدثًا مباينًا للظروف السياسية، والثقافية والاجتماعية التي مَرَّ بها المجتمع المصري في تلك الفترة، بل كانت هذه النشأة على موعد مع القدر الإلهي الذي أنشأها على عينه، فإن الله إذا أراد شيئًا، هيأ له الأسباب، فكانت دعوة في أوانها كما يقول الدكتور "يوسف القرضاوي" (١)وكما يرى المستشار "طارق البشري" (٢)فإن ظهور الحركة الإسلامية أواخر العشرينيات هو نوع من الاستمرارية التاريخية، وأن هذه الفترة – ما قبل ظهور جماعة الإخوان المسلمين- هي فترة توجه إسلامي عام، وإن صراع الإخوان ضد التغريب، وضد الوافد عمومًا هو جزء من الصراع الحضاري الذي يتضمن في جوهره الصراع ضد الاستعمار.

ومن أجل الاستقلال والتحرر، يقول المستشار "طارق البشري": "إننا اليوم أكثر قدرةً على إدراك مدى التدمير الذي يلحقه تدفق موجات التغريب على هويتنا، وشعورنا الجماعي، وروح الانتماء فينا؛ مما من شأنه أن يسند قضية الاستقلال والتحرر بأعظم الخلل". (٣)

ولقد ظل الاتجاه الإسلامي يسود مسرح الحياة الفكرية، والسياسية في مصر، وبلا منازع منذ الفتح الإسلامي؛ حتى مجيء الحملة الفرنسية في نهاية

---

(١) د. يوسف القرضاوي، الإخوان المسلمون، ٧٠ عامًا في الدعوة والتربية والجهاد، مرجع سابق، ص ١٢.

(٢) طارق البشري في كتابه "الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥م- ١٩٥٢م"

(٣) طارق البشري، الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥- ١٩٥٢،، القاهرة: دار الشروق، ص ٤١ -٤٢.

القرن الثامن عشر، حيث خلفت وراءها بذور الفكر القومي الذي أخذ صورة قومية نافست الاتجاه الإسلامي .

وفي مجال التأريخ للحركة السياسية المصرية في أوائل القرن العشرين يخطئ كل من التيارين العلماني والإسلامي في البحث عن تفسير لظهور الحركات الإسلامية، وعلى رأسها الإخوان المسلمين، فالجديد والطارئ هو الذي يبحث في وجوده، أو حضوره عن تفسير، أو تبرير.

أما الأصيل، والموروث، فوجوده هو الشيء العادي الذي لا يستغرب، وغيابه وانقطاعه هو الأمر الذي يبحث له عن تفسير أو تعليل .

يُخطئ كثير من رموز التيار العلماني في كتابتهم للتاريخ السياسي المصري أوائل القرن العشرين عندما يبحثون عن أسباب تفسر ظهور جماعة الإخوان المسلمين، وربما كان هذا الخطأ مرده سيادة نوع من التحيز تجاه المختلف في التوجه الفكري والسياسي؛ حتى إن كثيرًا منهم يرى ظهور الجماعة مجرد رد فعل لغلبة تيار التغريب .

ويُخطئ التيار الإسلامي حينما يود أن يضفي على نشأة جماعة الإخوان هالة أسطورية تخصم من رصيدها، ولا تضيف، فعظمة الفكرة الإخوانية هي في كونها استمرار، وتواصل لتيار الفكر الإسلامي التجديدي على مدى التاريخ الإسلامي، فهي استمرار لمسيرة أمة هدها الجمود، وإغلاق باب الاجتهاد وفت في عضدها الركون لما تركه الأقدمون .

ويظن كثير ممن تصدوا للكتابة التاريخية عن تلك الفترة، أو ما يمكن تسميته إرهاصات نشأة الإخوان المسلمين- خاصةً من بعض دعاة الإخوان ورموزهم- أنه كلما كانت نشأة جماعة الإخوان المسلمين نشأة مفارقة، أو مباينة للظروف الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كلما أضفت

على التاريخ الإخواني هالة من القداسة، أو ظلال نزعة أسطورية .

وهذا المنهج في التأريخ لحركة بحجم الإخوان المسلمين، ربما قد يفيد في الحشد والتعبئة، وجمع الأنصار على الفكرة العامة، غير أنه لا يُفيد في إثارة وعي الأفراد، وشحذ هممهم بما يبقى، لا بما تخفت حدته مع مرور الوقت، وهذا التدافع بين منهجي العقل، والعاطفة، ففي المنهج الثاني تستطيع العاطفة إشعال جذوة الحماسة، خاصةً في الشباب، إلا أنه لا يمكن استمرار تلك الجذوة مشتعلة إلا بنور الفكر، وأشعة إعمال العقل، وهكذا دائمًا تملك نظرات العقول القدرة على إلجام نزوات العواطف .

ولعل هذا المعلم في التأريخ للحركة الإسلامية- وعلى رأسها الإخوان المسلمين- من أهم معالم تأريخ الحركة السياسية في مصر منذ مجيء الحملة الفرنسية ( ١٧٩٨م- ١٨٠١م)، فلا بد من تحديد أي الأفكار الأصيل الذي لا يحتاج وجوده إلى تبرير، أو تفسير، وأي الأفكار طارئ لابد من معرفة أسباب ظهوره أو كيفيات بزوغه .

والذي يقرره الباحث بيقين أن الحركة الإسلامية – وعلى رأسها الإخوان المسلمين – لم تظهر أبدًا كرد فعل على سيادة التيار العلماني، كما يؤرخ كثير من العلمانيين عمدًا، وعن سوء قصد بدافع من التحيز الفكري، أو كما يكتب كثير من الإسلاميين خطأ، وعن حسن نية بدافع من إضفاء هالات أسطورية تخصم من رصيد حركة بحجم الإخوان المسلمين، ولا تضيف؟

إن جماعة الإخوان المسلمين لم تنشأ في مصر من فراغ، ولم تكن تعبيرًا عن انقطاع في مسيرة الأمة الإسلامية، بقدر ما كانت تواصلاً، واتصالاً؛ مصداقًا لحديث الرسول الكريم- ﷺ- "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك."

ومن ثم فدعوة الإخوان هي العدسة المجمعة لكل ما تفرق من أشعة تجديد الفكر الإسلامي، ولكل ما تبدد من محاولات الإصلاح في مسيرة الأمة على مدى العقود التي سبقت ظهورها بلورة لكل ما سبقها من جهود في الإصلاح، والدفاع عن الذات الحضارية "ذاتية الأمة وهويتها".

وكانت الفترة التي سبقت ظهور جماعة الإخوان المسلمين تحمل من الإرهاصات الشيء الكثير؛ أن مسيرة الإصلاح في الأمة حان وقت قطافها بوجود جماعة تحمل السلام، وتحوطه من جميع جوانبه، نعم كانت حالة الأمة قد وصلت درجة من السوء والانحطاط لم تعهدها من قبل، وربما ذكرتها بأوقات هجمة التتار على العالم الإسلامي، وسقوط بغداد تحت سنابك خيل التتار لكن مشاعل الهدى في الأمة لم تسقط بل ظلت، وإن خفتت حدتها فهذه الأمة تمرض ولا تموت، بل ربما تشيخ لكن تملك داخلها عناصر بعث الحيوية، وتظل قوافل المجددين تترى على مسيرة الأمة، فتحيي ما اندرس من معالم النبوة، وتجدد ما بلي من أركان الإسلام، مصداقًا لحديث الرسول الكريم – ﷺ-: "إن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها."

وقد يكون هذا التجديد بأن يظهر عالم مجدد يجمع الأمة حوله ويحيي في نفوسها معالم الإيمان، وقد يكون التجديد على شكل مدرسة فكرية، وتربوية تُعيد معالم النهضة في أمة الإسلام .

المعلم الثاني: من أهم معالم التأريخ للحركة الإسلامية- وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين- والتأريخ للحركة السياسية في مصر منذ مجيء الحملة الفرنسية (١٧٩٨م- ١٨٠١م) هو أن جماعة الإخوان المسلمين إنما هي امتداد لعدة تيارات إسلامية، ووطنية سبقتها، فكانت قمة بلورة هذه

التيارات في جماعة الإخوان، على صعيد الفكر، أو على صعيد الحركة، أو على صعيد التنظيم، أما أهم هذه التيارات فهي:

**الأول**: تيار الجامعة الإسلامية .

**الثاني**: تيار الحزب الوطني كما عبر عنه "مصطفي كامل"، و"محمد فريد" و"عبد العزيز جاويش ."

**الثالث**: التيار التجديدي كما عبر عنه "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده" و"رشيد رضا"، وبعض شيوخ الأزهر .

لقد حملت دعوة الإخوان المسلمين في طياتها حصيلة الإرهاصات المتناثرة في كل هذه التيارات السابقة، ثم لم تعد هذه الإرهاصات جزءًا من هذه التيارات الفكرية، بقدر ما جرى انتزاعها من هذه الحركات جميعًا، وإعادة تكيفها بمنهج آخر ثم صبها في بوتقة الفكرة الإسلامية الجامعة لكل ما عداها من أفكار الإصلاح، والمانعة لكل دخن الأفكار، والتصورات المشوبة بلحظتها التاريخية ولم تملك مفارقتها .

بل إن الأستاذ "محمد قطب" يتكلم عن جماعة الإخوان المسلمين فيقول: "كانت هذه الإشراقة في قلب "حسن البنا" فتحًا ربانيًا، وكانت في الوقت ذاته هي الاستجابة الصحيحة للأحداث القائمة في العالم الإسلامي، وفي مصر منذ أكثر من قرن من الزمان".(١) على أن جذور هذه العوامل ترجع إلى فترات سابقة اصطدم فيها أصحاب الفكر الإسلامي بالتيارات الفكرية الوافدة والمضادة .

وعندما يتكلم الدكتور "محمد عمارة" عن مشروع النهضة الذي قدمه

---

(١) محمد قطب، واقعنا المعاصر، جدة: مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، ١٩٨٦ص ٤٠٥،

الإمام الشهيد "حسن البنا" يقول: إن أبوة، وإمامة، وريادة "حسن البنا" لهذا الإحياء الإسلامي المعاصر إنما تمثل الحلقة المعاصرة في سلسلة الإحياء الإسلامي الحديث، إنها مرحلة متميزة في "الكم" و "الكيف" ولكنها امتداد متطور لمرحلة "النشأة" و"التبلور" التي تمثلت في " الجامعة الإسلامية التي ارتاد ميدانها، ورفع أعلامها "جمال الدين الأفغاني" ( ١٢٥٤-١٣١٤ هـ= ١٨٣٨-١٨٩٧م ) والتي كان الإمام "محمد عبده" ( ١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ = ١٨٤٩- ١٩٠٥م ) مهندس تجديدها الفكري، كما مثل الشيخ "محمد رشيد رضا" ( ١٢٨٢- ١٣٥٤هـ = ١٨٦٥-١٩٣٥م) الامتداد الذي أسلم أمانتها إلى "حسن البنا" الذي انتقل بها إلى هذا "الكيف" المعاصر الذي تعيش فيه. (- د. محمد عمارة، خمسون عامًا على استشهاد حسن البنا، مشروع إسلامي للنهضة الحضارية، المجتمع (الكويت) العدد، ١٣٣٧، ٢٣شوال ١٤١٩هـ، ٩ فبراير ١٩٩٩، ص ٢٢.(

لقد نشأ الإمام الشهيد "حسن البنا" في وقت ضعف فيه التيار الإصلاحي، فدرس عوامل ضعفه، واستفاد من نواحي قوته، فأخذ أسلوب "جمال الدين الأفغاني" في العمل السياسي، ومن أسلوب "محمد عبده" في الاهتمام بالتربية.

وحملت دعوة الإخوان المسلمين جل أفكار التيار الإصلاحي، ونفس غايته؛ ومن ثم فالجماعة امتداد لهذا التيار، أو كما يقول المستشار "طارق البشري": والحق أن جماعة الإخوان هي امتداد لتيار الفكر الموروث. [١] وهذه الفكرة نفسها – الإخوان امتداد لحركات الإصلاح الإسلامي– يرددها

---

(١) طارق البشري، الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو ١٩٥٢ – ١٩٧٠ بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية ١٩٨٧، ص ٣٤.

"ريتشارد هرير دكجميان" في كتابه: "الأصولية في العالم العربي" – مع ملاحظة أن كامل مشروع "دكمجيان" بناه على فكرة الدورات الحضارية التي تتمثل فترات إغفاء ثم انبعاث. (١)

يقول "ريتشارد دكمجيان": وفي منتصف الثلاثينيات حلت محل حركة "رشيد رضا" المعتدلة حركة الإخوان المسلمين الأصولية(الراديكالية) –( يتحفظ الباحث على استخدام كل من مصطلحات المعتدلة والأصولية والراديكالية إذ إن لها دلالات في لغة المؤلف لا يمكن قبولها على الأرضية الإسلامية ") بقيادة "حسن البنا"، وفي هذه الفترة التي شهدت الأزمات الحادة الناتجة عن الاضطراب السياسي، وعجز القيادة، والصراع الاقتصادي والاجتماعي، والاستعمار الأوربي بدا البحث عن بديل إسلامي نضالي أمرًا لا مفر منه. (٢)

المعلم الثالث: من معالم التأريخ للحركة السياسية في مصر أوائل القرن العشرين، والتأريخ لجماعة الإخوان المسلمين أن شكل الجماعة التي أسسها الإمام "حسن البنا" من حيث الفكر، وقواعد التنظيم، وأصول الحركة هي أفضل استجابة لظروف المرحلة الثقافية، والاجتماعية والسياسية التي واكبت نشأة الإخوان، وأفضل استجابةً للتحديات التي فرضتها كل تلك الظروف مجتمعة .

ففي بحثه القيم عن: الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر، وبعد أن يرصد الأستاذ المستشار "طارق البشري" ظروف العالم الإسلامي، والمجتمع المصري في تلك الفترة – قبل ظهور جماعة

(١) ريتشارد هرير دكمجيان، الأصولية في العالم العربي، ترجمة وتعليق عبد الوارث سعيد، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر ط ٢ ١٩٨٩، ص ٢٨.

(٢) ريتشارد هرير دكمجيان، الأصولية في العالم العربي، مرجع سابق، ص ٤٢.

الإخوان - يقول: " في هذه الظروف، واستجابة لها ظهر الشيخ "حسن البنا" بحركة الإخوان المسلمين في مصر عام ١٩٢٨م، لقد سبقت جمعية الشبان المسلمين (١٩٢٧م) ظهور الإخوان، وقام عديد من رجالات الدعوة الإسلامية بدورهم من قبل، ولكن "حسن البنا" وجماعته كانا هما: الاستجابة الأكثر وضوحًا، والأكثر تبلورًا لمتطلبات الحركة الإسلامية في ذلك الوقت (١)لقد تسلم الأستاذ الإمام "حسن البنا" راية التجديد ممن سبقه من مصلحين، ودعاة وأضاف إلى معالم حركة الإصلاح ما ميز دعوة الإخوان عن بقية دعوات الإصلاح، إلا أنها كانت " اللبنة" التي أكمل الله بها صرح الفكر، والعمل الإسلامي، يقول: المستشار "طارق البشري": لقد أرسى الأفغاني فكرة الإسلام المجاهد، وأضاف "محمد عبده" فكرة التجديد في الفقه، والتفسير، وتابع: "محمد رشيد رضا" الربط بين التجديد والسلفية والتفاعل مع السياسات الوطنية، وأضاف "حسن البنا" شمولية الإسلام والترابط الوثيق بين العقيدة والشريعة والسياسة، وبين الفكر والتنظيم الحركي، ومزج بين فكريات فقه الأزهر، ووجدانيات الصوفية، ووطنيات الحزب الوطني.(٢)

ويقول الدكتور "يوسف القرضاوي": كان الناس في حاجة إلى دعوة تجدد العقول بالمعرفة الواعية، وتجدد القلوب بالإيمان الدافق، وتجدد الحياة بالالتزام الصادق، وتقف بالمرصاد للأفكار الهدامة، والدعوات المنحرفة، والهيئات المضللة التي تغزو العقول بالشبهات، وتغزو النفوس

(١) طارق البشري، الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر، في: د. عبد الله النفيسي ( تحرير وتقديم ) الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية، أوراق في النقد الذاتي، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٩، ص ١٦٧.

(٢) طارق البشري، الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر، مرجع سابق، ص ١٦٨.

بالشهوات(١).

ذكريات الشعراوي عن جماعة الأخوان المسلمين

يطرح الأستاذ سعيد أبو العينين في مقدمة هذا الجزء من ذكريات الشيخ الشعراوي العديد من الأسئلة المشوقة والمثيرة ومنها " هل صحيح أن الشيخ الشعراوي كتب بخط يده أول منشور لجماعة الأخوان عندما جاء الشيخ حسن البنا من الاسماعيلية إلى القاهرة.لماذا ترك الشيخ الأخوان؟

ما هو السبب الذي جعله يقرر الابتعاد والانفصال عنهم.

من هو " العدو " الذي أفصح عنه الأخوان؟

وغير ذلك الكثير من الأسئلة التي كانت مقدمة مثيرة ورائعة لجزء من ذكريات الشيخ عن فترة مهمة جدا من تاريخ مصر.

**

عن العلاقة المثيرة للجدل بدء الشيخ رحمه الله حديث الذكريات قائلاً:

" بدأت العلاقة عندما حضر الشيخ حسن البنا من الإسماعيلية إلى القاهرة. واتخذ أول مكتب للجماعة في شارع كعب الأحبار – درب القمح. خلف مدرسة السنية بحي السيدة زينب.. رقم ١٤.

كنا نلتقي في هذا المكتب.

وكان يعجبني في الشيخ حسن البنا أنه كان قمة في الدعوة إلى الله. كان الشيخ حسن البنا حافظا للسيرة النبوية حفظا جيدا. كان يحفظها عن ظهر

(١) د. يوسف القرضاوي، الإخوان المسلمون، ٧٠ عامًا في الدعوة والتربية والجهاد، مرجع سابق، ص ١١.

قلب. وربنا أعطاه قبولا. وكان يأخذ القول بالفعل. كنا نلتقي أنا والشيخ أحمد شربت والشيخ الباقوري والشيخ حسن البنا.

وعن كتابته – وبخط يده – أول منشور لجماعة الأخوان المسلمين عند انتقالها من الإسماعيلية إلي القاهرة يقول الشيخ:

" أنا كتبت أول منشور للإخوان بخط يدي. كتبته في حضور أحمد شريت.وأرسلناه للشيخ الباقوري لاستطلاع رأيه. فأقره وقال: " وهو حد يقدر يقول بعدك حاجة. نحن لا ننسى موقفك وما تقوله في الأزهر ".

وعن مضمون هذا المنشور الذي كتبه بخط يده قال الشيخ: " كان المضمون هو أن الإسلام منهج الله. وأن الله هو الذي خلق الإنسان.وأن الله أولى بأن بمنهج للإنسان غايته التي خلق من أجلها وحركة حياته. وكيف يسوسها. وإننا نريد أن ننشئ شبابا مسلما حقا.وأن نعطي له مناعة ضد وافدات الحضارة المزيفة التي تريد أن تعزل الأرض عن السماء. وأضاف الشيخ: وأذكر أنني قلت في ختام المنشور: " فالجأ إلى هذه الجماعة. لتأخذ هذه المناعة ".وعندما قرأ الشيخ حسن المنشور: قال " ما أجمل هذا السجع".

ورداً على سؤال للشيخ يقول: وهل طبعتم هذا المنشور ووزعتموه؟

قال الشيخ: أيوه.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: لماذا فارق الشيخ الشعراوي جماعة الأخوان؟

وما هي الأسباب التي أدت إلى ذلك؟

وردا على هذا التساؤلات قال الشيخ " في عام ١٩٣٧ خرج الوفد من الحكم.وأنا كنت " وفديا ".

وفي عام ١٩٣٨ أردنا الاحتفال بذكرى سعد باشاً. لكنهم منعونا فـذهبنا إلى النادي السعدي واحتفلنا هنـاك بهـذه الـذكرى. كنـت اعتبـر أن الاحتفـال بذكرى سعد هو احتفال بذكرى وطنية. ووقفت في الاحتفال وألقيت قـصيدة امتدحت فيها سعد باشا وكذلك النحاس باشا.

وعلم الشيخ حسن البنا بخبر القصيدة التي ألقيتها في الاحتفال فغضب. غضب لامتداحي النحاس باشا.

وحدث بعد ذلك أن جلسنا في ليلة نتحدث.وكنا مجموعة من الأخوان. وكان الشيخ حسن البنا حاضرا. وعند الفجـر تطـرق الحـديث إلي " الزعمـاء السياسيين " وأيهم يجب أن نـسانده ونقـف معـه. ولاحظـت أن الحاضـرين يتحاملون على النحاس باشا.ويقولون بمهادنة صدقي باشـا. فاعترضـت عـلى ذلك.وقلت:

* إذا كان لمـن ينتـسبون إلى الـدين يريـدون أن يهـادنوا أحـد الزعمـاء السياسيين ولا يتحاملوا عليه أو يهاجموه ، فليس هنـاك سـوى النحـاس باشـا. لأنـه رجـل طيـب.. تقـي. وورع. ويعـرف ربنـا.. وإنـني لا أرى داعيـا لأن نعاديه.وهذه هي الحكمة.

قلت هذا الكـلام... لكننـي فوجئـت بأحـد الحاضـرين – ولا أريـد أن أذكره – يقول: إن النحاس باشا هو عدونا الحقيقي. هـو أعـدى أعـدائنا. أمـا غيره مـن الزعمـاء وبقيـة الأحـزاب فـنحن " نبـصق " عليهـا جميعـا فتنطفـئ وتنتهي!

وأضاف الشيخ:

كان هذا الكلام جديـدا ومفاجئـا لي. ولم أكـن أتوقعـه. وعرفـت ليلتهـا

"النوايا ". وأن المسألة ليست مسألة دعوة.وجماعة دينية.وإنما هي سياسية. وأغلبية وأقلية. وطموح للحكم.

وفي تلك الليلة اتخذت قراري.وهو الابتعاد.وقلت: " سلام عليكم ". ماليش دعوة بالكلام ده.

قلتها بكل أدب. ابتعدت عنهم.

وكان ذلك تقريبا في سنة ١٩٣٨.

*****

" لقد تحولت المسألة داخل الجماعة إلى مراكز قوى ضد الشيخ حسن البنا نفسه. وأنا رأيت بعين "عبد الرحمن السندي " وهو " يزق " الشيخ حسن البنا. كان رئيس " الجهاز السري " أو " الجهاز الخاص " كما يسميه الإخوان. وهو الجهاز الذي أنشأه الشيخ حسن البنا عام ١٩٣٦ لكي يتصدى لأعداء الجماعة وأعداء الدعوة.وكان الشيخ حسن البنا هو نفسه الذي اختار " عبد الرحمن السندي " ليتولى رئاسة هذا الجهاز. لكن عبد الرحمن السندي تحول بقوة بهذا الجهاز إلى " مركز قوى " داخل الجماعة. وإلى الحد الذي جعل الشيخ عمر التلمساني يقول عنه في شهادته: " إنه– أي عبد الرحمن السندي – أحس بقوته وسلطانه وكان يتصرف في بعض الأحيان تصرفات لا يقرها الأستاذ البنا. ثم بلغت به القوة إلى حد أنه كان يضع نفسه في مستوى قائد الجماعة. لقد أغوته القوة وأغواه الشيطان. ولم يرض. الأستاذ البنا رئيس الجماعة عن ذلك ، ووقع الخلاف بينهما..أما لماذا لم يقم الأستاذ البنا بفصل عبد الرحمن السندي؟ فأي إنسان في أي جماعة ينمو وتزداد قوته يوما بعد يوم. قد لا يدرك خطره إلا بعد أن يصل أمره إلى منتهاه. وهذا ما حدث. ولم تطل أيام الأستاذ البنا حتى يتخذ أجراز معينا مع عبد الرحمن السندي الذي اتخذ

**نفس الموقف من الأستاذ الهضيبي وأساء إليه، فاجتمعت هيئة مكتب الإرشاد والهيئة التأسيسية وقررت فصل عبد الرحمن السندي".**

ويواصل الشيخ الشعراوي شهادته عن جماعة الأخوان قائلاً:

" ابني سامي. كان في الأخوان فأنا قلت له بعد أن شاهدت التحول الذي طرأ على هذه الجماعة. قلت له: يا بني أنت أخذت خير الأخوان. فابتعد. وحجم نفسك. لأن المسألة انتقلت إلى مراكز قوى. وإلى طموح في الحكم.

وفعلا سمع كلامي وابتعد.ولذلك لم يقبضوا عليه عندما كان يأخذون كل من " هب ودب " كذلك ابن خالتي عبد الفتاح. كان متعصبا للإخوان. لكنه لم يكن في جانب الذين يريدون أن يحكموا هم بأنفسهم... كان مخلصا لفكرته وربه ودعوته ولم يكن له هدف آخر.ولذلك لم يأخذوه.

وعن تجربته مع الأخوان والدرس المستفاد قال الشيخ الشعراوي: " أنا استفدت من تجربة الأخوان في حركتي للدعوة. وتسألني كيف؟ فأقول لك:

أولا: أنني أخلصتها لله. أخلصتها لربي.وقلت: إن الذي يعمل حاجة لله فهو يجازي عنها خيرا من قبل أن يعملها. لأن الأعمال بالنيات.

ثانيا: إنني قلت كلمتي. وأعلنت رأيي. بكل وضوح.وقلت: " أنا لا أريد أن أكون أنا الذي أحكم بالإسلام.وإنما أريد أن يحكمني من يشاء بالإسلام "

وقال الشيخ: بعد أن أعلنت كلمتي هذه وحددت موقفي. لم يستطع أحد أن " يهوب " ناحيتي. وأصبحت أقول كلمتي في دعوة إلى الله دون أن يتعرض

لي أحد: أو يقول إنني طامع في الحكم أو لي مآرب أخرى من وراء الدعوة.

سؤال: كان الصراع ضاربا بين الوفد والإخوان.وكانت هناك صدامات بينهما فأين كان يقف الشيخ من ذلك الصراع؟

قال الشيخ: أنا اختلفت مع الأخوان على النحو الذي ذكرت وابتعدت. ولم أكن طرفا في صراع. والشيخ الباقوري رحمة الله عليه بقى وإلى أن مات لم يكن يحب أحداً غيري.

كان بيننا خلاف في الرأي. لكن هذا الخلاف لم يفسد الود الذي ظل بيننا. الشيخ الباقوري كان يقول لي: " يا ولي الله ".. وكان الود بيننا كبيرا. وقد أختلف الشيخ الباقوري معهم هو الآخر.

وردا على سؤال حول علاقة الشيخ بالشيخ عمر التلمساني الذي تولى منصب المرشد العام بعد الأستاذ الهضيبي؟ قال الشيخ " أيوه. وقابلته كثيرا في مناسبات. وذهبت لزيارته في بيته. وهو حاول أن يتلافي ما وقع فيه الآخرون. حاول تلافي الصدام. وكان يقول: " ليس بيني وبين أي حاكم سوى كلمة حق " لكن كان هناك بعض الناس الذين لا يزالون "" متمعشقين " في الحكاية " الأولانية ". حكاية الحكم.

وأضاف الشيخ: أن " خيبة " أي داعية هي أنه يستعجل ثمرة دعوته. وهذا ما لم يحدث للنبي ﷺ. فكيف تستعجل أنت ثمرة دعوتك.

وأضاف أيضا: " الذي يزرع لا ينتظر الحصاد السريع. إلا إذا كان ما يزرعه هو " الفجل " وعايز يأكله " ورور " بعد أسبوعين! أما الذين يزرعون النخيل فهم لا ينتظرون أن يأكلوا هم منها. أبويا زرع نخلة ولم يأكل منها. لكنني وأهلي أكلنا من خيرها.".

وفي سؤال محوري وهام سأله المحاور. يقول السؤال: ترك الشيخ الشعراوي الأخوان من أجل الوفد والنحاس باشا.فأين كان يقف الشعراوي السياسي من الشعراوي الأزهري في تلك الأيام التي أرتبط فيها الشيخ بالنحاس باشا وبالوفد؟

هل كان السياسي في خدمة الأزهري. أم الأزهري في خدمة السياسي؟

قال شيخنا رحمه الله: " بالنسبة للسياسي والأزهري. هذه نقطة يهمني توضيحها. فأنا كنت " سياسيا " وفديا. لكن هويتي "أزهرية". وكنت أخدم أزهريتي بسياستي.وليس العكس!

أما علاقتي بالشيخ الباقوري فهي تعود إلى أيام ثورتنا في الأزهر من أجل الشيخ المراغي. كان الشيخ الباقوري يتبع " الأخوان " وكان رئيس اتحاد طلبة الأزهر.وأنا كنت "وفديا " ورئيس اتحاد الأزهر في الشرقية.

وأذكر أننا اتفقنا على أن نذهب معا إلى النحاس باشا لكي يساعدنا بصحافته في تأييد ثورتنا من أجل إعادة الشيخ المراغي إلى الأزهر. وذهبنا لمقابلة النحاس باشا في بيت الأمة.وفوجئت بالوفديين يمنعون الشيخ الباقوري من الدخول لأنه من "الأخوان ".

فانا وقفت لهم. للوفديين.وقلت إذا لم يدخل الشيخ الباقوري معي لمقابلة النحاس باشا فلن أدخل.

وأمسكت بيد الشيخ الباقوري وقلت متحديا وأنا أدخل من الباب: "اللي يقدر يمنعني أو يمنع الشيخ الباقوري يتفضل يوريني حيعمل إيه ".

ولم يستطع أحد أن يقف في طريقنا ".

*****

# الشعراوي وثورة يوليو

ثورة يوليو:

ثورة يوليو هي انقلاب عسكري قام به ضباط جيش مصريون ضد الحكم الملكي في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وعرف في البداية بالحركة المباركة ثم أطلق عليها البعض فيما بعد لفظ ثورة ٢٣ يوليو.

بعد حرب ١٩٤٨ وضياع فلسطين ظهر تنظيم الضباط الأحرار في الجيش المصري بزعامة اللواء محمد نجيب وقيادة البكباشي جمال عبد الناصر وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قام التنظيم بانقلاب مسلح أبيض لم ترق به دماء، ونجح في السيطرة على الأمور والسيطرة على المرافق الحيوية في البلاد وأذاع البيان الأول للثورة بصوت أنور السادات وأجبرت الحركة على الملك التنازل عن العرش لولي عهده الأمير أحمد فؤاد ومغادرة البلاد في ٢٦ يوليو ١٩٥٢.

وشكل مجلس وصاية على العرش ولكن إدارة الأمور كانت في يد مجلس قيادة الثورة المشكل من ١٣ ضابط برئاسة محمد نجيب كانوا هم قيادة تنظيم الضباط الأحرار ثم ألغيت الملكية وأعلنت الجمهورية في ١٨ يونيو ١٩٥٣.

قائد الحركة

ظاهريا كان قائد الحركة التي سميت فيما بعد بالثورة هو اللواء محمد نجيب والواقع أنه تم اختياره - من قبل الضباط الأحرار - كواجهة للثورة إبان ليلة ٢٣ يوليو وذلك لسنه الكبير وسمعته الحسنة في الجيش. لكن صراعا على السلطة نشأ بينه وبين جمال عبد الناصر، استطاع جمال أن يحسمه إلى صفه في النهاية وحدد إقامة محمد نجيب في قصر زينب الوكيل حرم مصطفي

النحاس باشا بضاحية المرج شرق القاهرة لحين وفاته. تولى جمال عبد الناصر بعد ذلك حكم مصر من ١٩٥٤ حتى وفاته عام ١٩٧٠ واستمد شرعية حكمه من ثورة يوليو.

**بيان ثورة يوليو**

من اللواء أركان الحرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة إلى الشعب المصري:

اجتازت مصر فترة عصيبة في تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم. وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون والمغرضون في هزيمتنا في حرب فلسطين.

وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها.

وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا في داخل الجيش رجال نثق في قدرتهم وفي خلقهم وفي وطنيتهم ولا بد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب.أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر وسيطلق سراحهم في الوقت المناسب.

وإني أؤكد للشعب المصري أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن في ظل الدستور مجرداً من أية غاية وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف لأن هذا ليس في صالح مصر وأن أي عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل وسيلقى فاعله جزاء الخائن في الحال. وسيقوم الجيش بواجبه هذا

متعاوناً مع البوليس. وإني أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم والله ولي التوفيق.

*****

**جمال عبد الناصر:**

جمال عبد الناصر حسين (١٥ يناير ١٩١٨ - ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠). هو ثاني رؤساء مصر. تولى السلطة من سنة ١٩٥٤، بعد الرئيس محمد نجيب، إلى وفاته سنة ١٩٧٠. وهو أحد قادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ومن أهم نتائج الثورة هي خلع الملك فاروق عن الحكم، وبدء عهد جديد من التمدن في مصر والاهتمام بالقومية العربية والتي تضمنت فترة قصيرة من الوحدة بين مصر وسوريا ما بين سنتي ١٩٥٨ و ١٩٦١، والتي عرفت باسم الجمهورية العربية المتحدة. كما أن عبد الناصر شجع عدد من الثورات في أقطار الوطن العربي وعدد من الدول الأخرى في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. ولقد كان لعبد الناصر دور قيادي وأساسي في تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في سنة ١٩٦٤ وحركة عدم الانحياز الدولية.

يعتبر عبد الناصر من أهم الشخصيات السياسية في الوطن العربي وفي العالم النامي للقرن العشرين والتي أثرت تأثيرا كبيرا في المسار السياسي العالمي.عرف عن عبد الناصر قوميته وانتماؤه للوطن العربي، وأصبحت أفكاره مذهبا سياسيا سمي تيمنا باسمه وهو بالناصرية والذي اكتسب الكثير من المؤيدين في الوطن العربي خلال فترة الخمسينيات والستينيات. وبالرغم من أن صورة جمال عبد الناصر كقائد اهتزت إبان نكسة ٦٧ إلا أنه أستطاع استعادتها جزئيا من خلال حرب الاستنزاف التي أعقبت النكسة وسبقت حرب ٦ أكتوبر. وبغض النظر عن تأييد أو انتقادات موجهة له ولطريقة

حكمه، ولا زال ينظر إليه بشكل عام كرمز للكرامة العربية والحرية من الاستعمار والإملاآت الخارجية.

### نشأته

ولد جمال عبد الناصر بالإسكندرية قبيل أحداث ثورة ١٩١٩ التي هزّت مصر، وحركت وجدان المصريين، ألهبت مشاعر الثورة والوطنية في قلوبهم، وبعثت روح المقاومة ضد المستعمرين. وهو من أصول صعيديه فكان به حميه الرجل الغيور المتغلب عليه عادات وتقاليد المجتمع المصري الطيب العريق وكان أبوه حسين عبد الناصر خليل سلطان قد انتقل من قريته بني مر بمحافظة أسيوط؛ ليعمل وكيلا لمكتب بريد باكوس بالإسكندرية، وقد تزوج من السيدة "فهيمة" ابنة "محمد حماد" تاجر الفحم المعروف في المدينة.

وفي منزل والده- رقم ١٢ "شارع الدكتور قنواتي"- بحي باكوس ولد في (١٥ يناير ١٩١٨). وقد تحول هذا المنزل الآن إلي متحف يضم ممتلكات جمال عبد الناصر في بداية حياته. وكان والده دائم الترحال والانتقال من بلدة إلى أخرى؛ نظراً لطبيعة وظيفته التي كانت تجعله لا يستقر كثيرا في مكان.

### جمال في حياته العسكرية

بعد حصوله على شهادة الثانوية من مدرسة النهضة المصرية بالقاهرة(في عام ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧)، كان يتوق إلى دراسة الحقوق، ولكنه ما لبث أن قرر دخول الكلية الحربية، بعد أن قضى بضعة أشهر في دراسة الحقوق. دخل الكلية الحربية، ولم يكن طلاب الكلية يتجاوزن ٩٠ طالبا. وبعد تخرجه في الكلية الحربية (عام ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨) التحق بالكتيبة الثالثة بنادق، وتم نقله إلى "منقباد" بأسيوط؛ حيث التقى بأنور السادات وزكريا محيي الدين.

وفي سنة (١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩) تم نقله إلى الإسكندرية، وهناك تعرف على عبد الحكيم عامر، الذي كان قد تخرج في الدفعة التالية له من الكلية الحربية، وفي عام ١٩٤٢ تم نقله إلى معسكر العلمين، وما لبث أن نُقل إلى السودان ومعه عامر.

وعندما عاد من السودان تم تعيينه مدرسا بالكلية الحربية، والتحق بكلية أركان الحرب؛ فالتقى خلال دراسته بزملائه الذين أسس معهم "تنظيم الضباط الأحرار."

## نشأة تنظيم الضباط الأحرار

وفي صيف ١٩٤٩ نضجت فكرة إنشاء تنظيم ثوري سري في الجيش، وتشكلت لجنة تأسيسية ضمت في بدايتها خمسة أعضاء فقط، هم: جمال عبد الناصر، وكمال الدين حسين، وحسن إبراهيم، وخالد محيي الدين، وعبد المنعم عبد الرءوف، ثم زيدت بعد ذلك إلى عشرة، بعد أن انضم إليها كل من: أنور السادات، وعبد الحكيم عامر، وعبد اللطيف البغدادي، وزكريا محيي الدين، وجمال سالم. وظل خارج اللجنة كل من: ثروت عكاشة، وعلي صبري، ويوسف منصور صديق.

وفي ذلك الوقت تم تعيين جمال عبد الناصر مدرسا في كلية أركان الحرب، ومنحه رتبة بكباشي (مقدم)، بعد حصوله على دبلوم أركان الحرب العام ١٩٥١ في أعقاب عودته من حرب فلسطين، وكان قد حوصر هو ومجموعة من رفاقه في "الفالوجة" أكثر من أربعة أشهر، وبلغ عدد الغارات الجوية عليها أثناء الحصار ٢٢٠ غارة. عاد بعد أن رأي بعينه الموت يحصد أرواح جنوده وزملائه، الذين رفضوا الاستسلام لليهود، وقاوموا برغم الحصار العنيف والإمكانات المحدودة، وقاتلوا بفدائية نادرة وبطولة فريدة؛

حتى تم رفع الحصار في جمادى الآخرة ١٣٦٨ هـ/ مارس ١٩٤٩.

دخل دورات خارج مصر منها دورة السلاح أو الصنف في بريطانيا، مما أتاح له التعرف على الحياة الغربية والتأثر بمنجزاتها. كما كان دائم التأثر بالأحداث الدولية وبالواقع العربي وأحداثه السياسية وتداعيات الحرب العالمية الثانية وانقلاب بكر صدقي باشا كأول انقلاب عسكري في الوطن العربي في العراق سنة ١٩٣٦. وثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد الإنجليز والحكومة الموالية لهم سنة ١٩٤١ .وتأميم مصدق لنفط إيران سنة ١٩٥١. والثورات العربية ضد المحتل مثل الثورة التونسية والثورة الليبية.

### ثورة ٢٣ يوليو / تموز وقيام الجمهورية

بعد سلسلة من الإخفاقات التي واجهها الملك داخليا وخارجيا وخصوصا تخبطه في علاقاته أثناء الحرب العالمية الثانية بين دول المحور والحلفاء، مما زعزع موقف مصر كثيرا وأدى إلى إنشاء ثاني أكبر قاعدة بريطانية في المنطقة في السويس "بعد الحبانية في الفلوجة في العراق". وكذلك موقفه في حرب ١٩٤٨ التي خسر فيها الحرب. وقبل ذلك كانت الدعوات والضغوطات داخليا وعربيا تحث قادة الجيش على لعب دورا في إصلاح الأوضاع المصرية، منها ما كانت تبثه محطة إذاعة برلين العربية إبان الحرب العالمية الثانية والتي كانت تحت تصرف كل من الشخصية الوطنية العراقية رشيد عالي الكيلاني ومفتي القدس أمين الحسيني، وأخذ الكيلاني بعد أن نجح في العراق سنة ١٩٤١ بإحداث أول ثورة تحررية في الوطن العربي ضد الإنجليز ذات أبعاد قومية تنادي بوحدة الأقطار العربية أطلق التصريحات والبيانات للقادة والجيوش العربية بضرورة الانتفاض ضد الهيمنة البريطانية والفرنسية. وحث الجيش المصري على الثورة ضد

المستعمر الذي يدعم النظام الملكي منبهين من خطر المخططات الأجنبية لمنح فلسطين لليهود، وخص الجيش المصري بخطاب يحثه على مقاومة الإنجليز من خلال دعم وتأييد الألمان ودول المحور. وبعد مهادنة الملك فاروق للانجليز أصدر الكيلاني بيانا يحث الجيش المصري بالانتفاض على الملك ولقيت دعوة الكيلاني التفهم والترحيب لدى القادة العسكريين المصريين.[بحاجة لمصدر] وكانت لأطروحاته وشعاراته الثورية والتحررية من خلال إذاعة برلين العربية الأثر في نفوس ثوار مصر بالإطاحة بالملك فاروق في حركة يوليو/ تموز ١٩٥٢، لاسيما بعد أن تعمق هذا الإحساس بعد حرب ١٩٤٨.

وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قامت الثورة، ولم تلقَ مقاومة تذكر، ولم يسقط في تلك الليلة سوى ضحيتين فقط، هما الجنديان اللذان قتلا عند اقتحام مبنى القيادة العامة. وكان الضباط الأحرار قد اختاروا محمد نجيب رئيسا لحركتهم، وذلك لما يتمتع به من احترام وتقدير ضباط الجيش؛ وذلك لسمعته الطيبة وحسه الوطني، فضلا عن كونه يمثل رتبة عالية في الجيش، وهو ما يدعم الثورة ويكسبها تأييدا كبيرا سواء من جانب الضباط، أو من جانب جماهير الشعب.

وكان عبد الناصر هو الرئيس الفعلي للجنة التأسيسية للضباط الأحرار؛ ومن ثم فقد نشأ صراع شديد على السلطة بينه وبين محمد نجيب، ما لبث أن أنهاه عبد الناصر لصالحه في (١٧ ربيع الأول ١٣٧٤ هـ/ ١٤ نوفمبر ١٩٥٤)، بعد أن اعتقل محمد نجيب، وحدد إقامته في منزله، وانفرد وحده بالسلطة.

واستطاع أن يعقد اتفاقية مع بريطانيا لجلاء قواتها عن مصر وذلك في

١٩ أكتوبر ١٩٥٤، وذلك بعد أن اتفقت مصر وبريطانيا على أن يتم منح السودان الاستقلال.

في العام ١٩٥٨ أقام وحدة اندماجية مع سوريا، وسميت الدولة الوليدة بالجمهورية العربية المتحدة، إلا أن هذه الوحدة لم تدم طويلاً، حيث حدث انقلاب في الإقليم السوري في سبتمبر من سنة ١٩٦١ أدى إلى إعلان الانفصال ثم تم عقد معاهدة وحدة متأنية مع العراق وسوريا سنة ١٩٦٤ إلا أن وفاة الرئيس العراقي المشير عبد السلام عارف سنة ١٩٦٦ ثم حرب ١٩٦٧ حالت دون تحقيق الوحدة. علما أن مصر استمرت في تبني اسم "الجمهورية العربية المتحدة" وذلك لغاية سنة ١٩٧١ أي إلى ما بعد رحيل عبد الناصر بسنة.

بعد حرب ١٩٦٧م كما سميت في إسرائيل والغرب أو النكسة كما عرفت عند العرب، خرج عبدالناصر على الجماهير طالباً التنحي من منصبه، إلا أنه خرجت مظاهرات في العديد من مدن مصر وخصوصا في القاهرة طالبته بعدم التنحي عن رئاسة الجمهورية.

في عام ١٩٦٨ خرجت مظاهرات في الجامعات المصرية تطالب بمحاسبة المسئولين عن النكسة، فأصدر عبد الناصر بيان ٣٠ مارس، الذي يعتبره المستشار طارق البشري بدايةً لمرحلةٍ جديدة في مسار الثورة بدأت تمهّد لإنشاء مؤسسات تساعد على تغيير بنية الجمهورية لتخرج مصر رويداً رويداً من قبضة الدولة الشمولية إلا أن تلك الخطوات لم تستمر نظراً لوفاته عام ١٩٧٠ وتغيّر رؤى من قدموا من بعده.

*****

## وتأتي حكاية الشيخ الشعراوي مع عبد الناصر والذي رواها الشيخ بنفسه رواها بكل ما تحتويه من علامات استفهام واستنكار:

عن هذه الفترة من حياته يقول الشيخ سارداً ذكرياته عن تلك الحقبة وما حوته من أشخاص أثروا في حياة مصر وتاريخها وذلك من خلال حواره في كتاب " الشعراوي الذي لا نعرفه " للأستاذ / سعيد أبو العينين ":

" عندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ كنت أعمل في السعودية أستاذا بكلية الشريعة في مكة المكرمة. كنت أعمل هناك من قبل أن تقوم الثورة بعامين. وهناك. بعد عام من الثورة ، رأيت جمال عبد الناصر والتقيت به كان ذلك في سنة ١٩٥٣ . وكان عبد الناصر قد جاء إلى السعودية للعزاء في وفاة الملك عبد العزيز آل سعود. لم يكن وحده.كان معه كمال الدين حسين وسليمان حافظ. وكنت وقتها أعتبر " لسان المصريين " في السعودية.. فمن قبل أن تقوم الثورة ، ومنذ ذهبت للعمل في السعودية. كنت أحضر الاستقبالات وبعض المقابلات الرسمية وأشارك في الاحتفالات وأتكلم وألقى القصائد باعتباري شخصية مصرية.ولذلك كانوا يعتبرونني "لسان المصريين ، هناك.

وعند حضور عبدالناصر للسعودية للعزاء ومعه كمال الدين حسين وسليمان حافظ. دعيت من قبل السفارة المصرية لكي أكون في استقبالهم. كان عبد الناصر وقتها هو ا" البكباشي " جمال عبد الناصر.

ولم أجد في نفسي رغبة في الذهاب إليهم. فعندما قامت الثورة استبشرت بها خيرا وقلت فيها شعرا وتصورت أنها قامت لكي تأتي بالرجل الطيب النحاس باشا ليتولي الحكم. لكن تبين لي أن الذين قاموا بها يريدون أن

يحكموا هم بأنفسهم ، ولذلك أخذت أتحسب الأمور.ومن هنا لم أجد في نفسي رغبة في الذهاب عندما دعيت لأكون في استقبال البكباشي جمال عبد الناصر والصاغ كمال الدين حسين وسليمان حافظ عند حضورهم إلى جدة.وقلت معتذرا:

أعفوني لأنني تعبان!

لكن زميلي في البعثة الشيخ عبد المعطي الكحكي قال لي: كيف تعتذر إنك تتكلم في كل مناسبة وتشارك في كل حفلة عن مصر. فكيف إذا جاء جمال عبدالناصر تعتذر وتقول اعفوني!. أنت بذلك ستجر على نفسكم المتاعب ووجع الدماغ. ونصحني الشيخ الكحكي بأن أذهب وأخذت بالنصيحة.وذهبت من مكة إلى جدة.وكنت في استقبال جمال عبد الناصر.

*****

## أول لقاء مع عبد الناصر:

" عندما دخلت كان هناك عبد الناصر وكمال الدين حسين وسليمان حافظ والسفير المصري.ولم أجد مكانا أجلس فيه إلا على الكنبة ما بين عبد الناصر وكمال الدين حسين. وقعدنا نتكلم..وقلت كلمة ترحيب بعبد الناصر والذين كانوا معه.وجاء بعض مصوري الصحف والتقطوا لنا صورا. صوروني وأنا جالس ما بين جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين. وفي اليوم التالي نشرت الصحف السعودية الصور وتكلمت عن الوفد المصري الذي حضر للتعزية. ونشرت صورتي.وقالت كلاما طيبا عن استقبالنا لعبد الناصر. ونسيت بعض هذا الكلام الطيب لي. وأذكر أن صحيفة مصرية نشرت صورتي وأنا مع عبد الناصر وكمال الدين حسين في هذه المناسبة وقالت: أنني ألقيت

كلمة تحية لعبد الناصر ، وكانت هذه الصحيفة يملكها الأستاذ محمد على غريب" وكان أسمها " ابن البلد " على ما أظن.

وأضاف الشيخ: وأذكر أيضا أن جمال عبد الناصر بعد أن استمع إلى كلمة الترحيب به وبمن معه. أذكر أنه قال لي: لما تيجي مصر يا شيخ شعراوي. نبقى نشوفك.

فقلت له " طيب وحاضر " وشكرته تمنيت لهم التوفيق. وفي نهاية السنة الدراسية. في الإجازة. جئت إلى مصر لأقضي أجازتي مع أولادي كما تعودت. وفوجئت بعد وصولي بأنني مطلوب للتحقيق! وأنني متهم!. لم أكن وحدي الذي استدعيت للتحقيق. كان معي ثمانية من المشايخ وهم بعض زملائي في البعثة الأزهرية التي كانت تعمل بالسعودية. ثم جاءوا بشيخ الأزهر أيضا للتحقيق معه في قضيتنا.وهو الشيخ عبد الرحمن تاج!

ما هي تهمتنا؟ ما هي جريمتنا؟

قالوا أننا ضد الثورة. ضد العهد الجديد!

قلنا: ما الذي فعلناه ضد الثورة؟ وضد العهد الجديد؟

قالوا: أنكم تقرأون "الفاتحة " في " الكعبة المشرفة " ضد الثورة وضد العهد الجديد.

قلنا: إذا كانت هذه هي "جريمتنا " والتهمة الموجهة إلينا كأعضاء في البعثة الأزهرية التي تعمل في السعودية.فما هي "جريمة " شيخ الأزهر الشيخ تاج؟ الذي يجري التحقيق معه هو الآخر؟

قالوا: لأن الشيخ تاج هو الذي يوافق على عملكم في السعودية. وهو الذي يختاركم.وهو لا يختار إلا المشايخ الكارهين للثورة الذين يعملون ضد

العهد الجديد! ويقرأون " الفاتحة " ضد الثورة في " الكعبة المشرفة " وأنت أولهم!

ويضيف الشيخ الشعراوي: وهكذا تهمتنا مخابرات الثورة مخابرات عبد الناصر! اتهمتنا بأننا نقرأ " الفاتحة " في الكعبة المشرفة. في بيت الله الحرام ضد الثورة والعهد الجديد!.

وهلكونا في التحقيق! أربعون يوما. ودوخونا السبع دوخات! كان الذي يحقق معنا وكيل نيابة أسمه سامي الأتربي. وكان أبوه " وفديا " وكنت أعرفه. وكان يريد أن يساعدنا في محنتنا ولكنه كان مقيدا. قلت له بعد أن تعبنا وهلكنا من التحقيق: إننا لم نرتكب جريمة قتل. وحتى لو كانت جريمة قتل لكان التحقيق فيها قد انتهى!

فرد قائلا: إن ما هو منسوب إليكم أشد من القتل. فأنتم ضد الثورة!.

" كان من المتهمين معنا بقراءة الفاتحة ضد الثورة في الكعبة الشيخ أبو طالب شاهين وهو رجل طيب وصالح ، ولا يزال على قيد الحياة. أطال الله في عمره. وجائني الشيخ أبو طالب وقال لي:

باقول لك إيه يا شيخ شعراوي؟

قلت: نعم يا مولانا؟

قال: أنت تقدر تخلصنا من " المصيبة " دي!

قتلت: إزاي؟ أعمل إيه؟

قال: إنت فاكر يوم ما جاء عبد الناصر للسعودية علشان العزاء؟

قلت: فاكر كويس!

قال: إنت قابلت عبد الناصر واتصورت معاه. والجرائد نشرت الصورة. وكتبت الكلام الطيب اللي أنت قلته عنه وعن الجماعة اللي كانوا معاه. فاكر الحكاية دي؟

قلت: فاكر.

قال: لو تقدر تجيب الجرايد دي. وتقدمها لهم. يمكن يغيروا رأيهم ويعتقونا لوجه الله!

قلت: فعلا فكرة. نحاول وجايز تنفع!

وطلبت من ابني " سامي " وهو أكبر أولادي أن يبحث عن الجرايد التي نشرت الصورة والكلام.وكان ابني مهتما بمثل هذه الأوراق التي تخصني وكان يحتفظ بها عادة.

وسافر أبني إلى بلدنا. إلى دقادوس وأخذ يبحث عن هذه الجرائد وقدمتها لوكيل النيابة " سامي ألأتربي ". وقلت له:

كيف تتهموننا بأننا نعمل ضد الثورة. وأننا نقرأ " الفاتحة " ضد العهد الجديد في الكعبة ". مع أن صورنا منشورة في الجرايد مع جمال عبد الناصر عندما جاء إلى السعودية هو وكمال الدين حسين وسليمان حافظ.. والجرايد كتبت أننا استقبلناه استقبالا طيبا. وتكلمنا أمامه كلاما طيبا.وتمنينا لهم التوفيق؟!

وتناول وكيل النيابة الجرايد في دهشة.ورأي الصورة والكلام. فارتدى " الجاكيت " التي كان يضعها على مقعد مجاور.وخرج من المكتب مسرعا ومعه الجرائد وذهب إلى جمال سالم الذي كان يتابع التحقيقات معنا. وقدم له الجرائد.

ورأي جمال سالم الجرائد. فقال لوكيل النيابة سام الأتربي:

* وابن الكلب ده ( يقصدني أنا ). لما صورته اتنشرت مع جمال عبد الناصر في السعودية وقال الكلام المكتوب ده عن الثورة ورجالها ساكت ليه؟! روح خللي ابن الكلب ده يمشي هو والمشايخ اللي معاه وكفاية عليهم كده. " وأفرجوا عنا ".

وأضاف الشيخ وهو يضحك: اتشتمنا زي بعضه.لكن خرجنا وسابونا بعد ما هلكونا تحقيق. وحمدنا ربنا أن الحكاية انتهت لغاية كده.

ويقول الشعراوي " كان جمال سالم معروفا بأن لسانه "وحش " وأنه شتام. والناس لا تنسى له أنه عندما كان يرأس محكمة الثورة كان يشتم كل من يقف أمامه ويسخر منه.ووصلت به السخرية والاستهزاء إلى حد أنه طلب من أحد المتهمين قراءة الفاتحة بالمقلوب!

ويضيف الشعراوي: ويشاء الله أن يتوب على هذا الشتام في أخريات أيامه أو هكذا سمعنا فقد رأيته جالسا منكسرا في الحرم الشريف. / . وقد ذكر لي أحد أصدقائي وكان يتردد عليه في أخريات أيامه. ذكر لي أنه ذهب يوما لزيارته فوجده يقف يؤذن لصلاة العصر فقال له "لماذا تؤذن للصلاة وأنت هنا وحدك في البيت؟ " فرد عليه جمال سالم وهو يستغفر الله وقال له إنه ليس وحده في البيت. فهناك الطباخ وهو يؤذن لكي يسمعه فيأتي لإقامة الصلاة!.

*****

## حكاية الشيخ مع عبد الحكيم عامر:

مما يذكره الشيخ رحمه الله عن هذه الفترة وسرده في حواره في الكتاب السابق ذكره " يذكر الشيخ أنه حدث بعد ذلك أن جاء عبد الحكيم عامر إلى السعودية ومعه الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية. وكانت مصر وسوريا والسعودية قد عملوا اتفاقا ثلاثيا.وجرى توقيع هذا الاتفاق في مكة المكرمة.

كان هذا الاتفاق على ما أذكر في سنة ١٩٥٤م. وكان ضد إسرائيل وتحمسنا له.

وأمام عبد الحكيم عامر والدكتور محمود فوزي وأعضاء وفود الاتفاق وقفت وألقيت قصيدة تأييد وتحية لهذا الاتفاق وهاجمت " وعد بلفور " الذي زرع إسرائيل في قلب الوطن العربي " ومكن الصهاينة من أرض فلسطين. قلت في قصيدتي لتحية الاتفاق:

نصرت بالله واستعصمت بالسيف

إلى العلا أمم الإسلام والعرب

إنا شعوب سبيل الله يجمعها

فلاتفرقها الأعداء في شعب

وقد وقف محمود فوزي وزير الخارجية يومها وأشاد بقصيدتي وتكلم عن كلاما طيبا.

*****

## وجاءت المشاكل:

لم تكن العلاقة بين مصر والسعودية في عهد عبد الناصر على ما يرام ، ففي عام ١٩٦٣ وقع الخلاف بين عبد الناصر والسعودية فعادت البعثة الأزهرية.

وعن هذه الفترة يروي الشيخ ذكرياته قائلاً: "عدت إلى مصر. وفي عام ١٩٦٤ تولى مشيخة الأزهر الشيخ حسن مأمون رحمه الله. فاختارني لأعمل مديرا لمكتبه. كنت وقتها أقيم في بلدنا. في دقادوس. وعندما بلغت بقرار الشيخ حسن مأمون شكرت للرجل تقديره وثقته في شخصي. لكنني لم أجد في نفسي الرغبة في قبول هذا المنصب. منصب مدير مكتب شيخ الأزهر.وبقيت في بلدنا ولم أذهب لاستلام العمل.

### شيخ الأزهر وقانون الثورة المشبوه:

ويواصل الشيخ كلامه عن هذه الواقعة ويسرد مبررات قراره في عدم العمل مع شيخ الأزهر في هذه الآونة:

" وجاءني ثلاثة من زملائي وأصدقائي يسألونني: لماذا لم تذهب لاستلام عملك مع شيخ الأزهر الشيخ حسن مأمون؟

فقلت لهم: إنه يشرفني كثيرا العمل مع شيخنا الجليل الشيخ حسن مأمون. لكن ماذا يملك شيخ الأزهر الآن؟ لم يعد يملك شيئا! لقد سلبه " قانون تطوير الأزهر " الذي أصدرته "الثورة " كل اختصاصاته!

أصدرت " الثورة " القانون في ليلة واحدة. وبصورة تثير الاستفزاز. ولم يعرض على المسئولين في الأزهر لدارسته أو إبداء الرأي فيه. اقرأوا القانون جيدا. وسوف تجدون أن شيخ الأزهر لم يعد يملك شيئا.

فالمادة الأولى تتكلم عن شيخ الأزهر وتعمل له " ديباجة " طويلة توحي بأن له عملا يتفق وجلال منصبه. وتأتي المادة الثانية فتسلبه كل شيء!

فالمادة الثانية تقول: " يعين للأزهر وزيرا"!! وزير لشئون الأزهر وللوزير وكيل طبعا لتسيير شئون الأزهر.

فماذا يبقى لشيخ الأزهر إذا كان شيخ الأزهر لم يعد في استطاعته أن يقل "فرائا "!

وقال زملائي وأصدقائي: إنه من الواجب أن أذهب إلى الشيخ حسن مأمون وأشكره وأوضح له موقفي. وقلت لهم هذا ما سأفعله.

وسافرت إلى القاهرة. وذهبت لمقابلة الشيخ حسن مأمون في مكتبه بالأزهر.

**ماذا دار في هذا اللقاء:**

" سألت الشيخ حسن: إحنا حنعمل إيه يا مولانا إذا كانت المادة الثانية في القانون بتلغي كل ما في المادة الأولى الخاصة بشيخ الأزهر؟!

قال الشيخ حسن: أنا في رأيي أن نعمل مذكرة لتعديل القانون رقم ١٠٣ الخاص بالأزهر. لإعادة المسائل إلى ما كنت عليه. فاعمل لنا هذه المذكرة.

قلت: وإذا لم نوفق في هذا العمل. إذا لم يسمعوا لنا؟

قال: أنا أعدك بأن نخرج معا. نطلع من هنا أنا وأنت!

قلت: وهل في " العهد الثوري " يملك وزير أو موظف أن يطلع من تلقاء نفسه؟! ده لازم "يترفس "!

قال: نبقى نقول لهم عايزين نمشوا. وهم اللي يمشونا!

قلت: على هذا العهد نعمل يا مولانا؟

قال الشيخ حسن: على هذا العهد.

ويمضي الشيخ الشعراوي يقول: وقعدنا نشتغل / . شيخ الأزهر الشيخ حسن مأمون..ومدير مكتبه الذي هو أنا. ويفوت الأسبوع والثاني.ولا أحد يسأل عنا! ولا موظف واحد حضر عندنا!

كل الموظفين العاميلن بالأزهر كانوا يذهبون لوزير شئون الأزهر. ووكيل الوزارة لشئون الأزهر التابع للوزير! أما نحن فلا عمل لنا.

وكنت أضحك وأقول لشيخ الأزهر: حتقعدوا كده من غير عمل لغاية إمتى يا مولانا؟

وبعد أن زهقنا قال الشيخ حسن مأمون: إيه رأيك؟ نشتغلوا في الفتوى؟

قلت: هي دي الشغلانة اللي نقدروا عليها! نشتغلوا في الفتوى.

وفعلا عملنا مكتبا للفتوى.وجبنا مترجمين. إنجليزي وفرنساوي. وغير الفتوى لم يكن لنا عملا.

كان يأتي أحيانا بعض الناس الطيبين ليسلموا على شيخ الأزهر مجرد سلام! وكانوا عادة يقبلون يده.

وكنت أتولى ترتيب دخولهم باعتباري مدير مكتب شيخ الأزهر. وحدث في ذلك الوقت أن سألتني بنتي " صالحة" عن عملي في الأزهر وقالت: إنها تريد أن تحضر إلى مكتبي لترى ماذا أعمل؟ فقلت لها:

مفيش داعي تتعبي نفسك! إنت عايزة تعرفي باشتغل إيه بالضبط؟

قالت: إيوه.

قلت لها: أنا يا ستي. شغلتي دلوقت. هي تنظيم عملية تقبيل يد شيخ الأزهر.!

وضحكت ابنتي " صالحة" إيد شيخ الأزهر؟

قلت: إيوه!. موش أنا مدير مكتبه؟!

وحدث بعد ذلك أن جاءت عملية " تحديد النسل ".وأرسلت " الرياسة " تعليمات لشيخ الأزهر بأن يجمع " مجمع البحوث الإسلامية " علشان يقر قرار " الرياسة " بتحديد النسل.

ووجدنا أنفسنا في مطب. فالمطلوب أن يأتي أعضاء " مجمع البحوث الإسلامية " ويقروا قرار " الرياسة " بتحديد النسل.ولم يكن تعبير " تنظيم النسل " أو تنظيم الأسرة قد استخدم بعد!

وفوجئت بشيخ الأزهر الشيخ حسن مأمون يقول لي:

أنا " عيان " من النهاردة يا شيخ شعراوي! شوف أنت الحكاية دي!

قلت له:وأنا مالي أنا؟ أنت شيخ الأزهر!

قال:بأقول لك أنا " عيان ". وموش جاي من بكره!

وغاب الشيخ حسن مأمون.ولم يعد يحضر إلى مكتبه. وقعدت أنتظر مجئ أعضاء مجمع البحوث الإسلامية.ولكنهم لم يحضروا. كان البعض يحضر ولا يجد الباقين فينصرف على أن يعود بعد ذلك.

وحدث أن جاء وزير شئون الأزهر كمال رفعت في وقت مبكر وجلس يسأل فيغضب عن أعضاء لجنة مجمع البحوث الإسلامية ولماذا تأخروا؟

فقلت له من باب التهدئة: يا سيدي أنت جاي في عربية خاصة. والطريق

مفتوح أمامك. أما المشايخ دول ناس غلابة. اللي بيركب الترماي.واللي بينحشر في الأتوبيس.واللي بيتشعبط على الرفوف! معذورين. ومضى وقت ولم يحضر من المشايخ سوى اتنين. وضاق كمال رفعت فأردت أن أسري عنه.

فقلت له: الحمد لله. ربنا عمل جميل كبير في الأمة. لأن قرار تحديد النسل اللي حيجتمع المشايخ علشان يقروه. لم يصدر فيما مضى. لأنه لو كان قد صدر قبل " أم جمال عبد الناصر ما تحمل فيه " كانت بقت شورة سودة! وكنا فقدنا عبقرية فذة! وكان حظنا يبقى نحس!

ولاحظ كمال رفعت أنني أتكلم بجدية! فابتسم ونهض من مكانه وقال: إنه سيحدد موعدا آخر لاجتماع أعضاء مجمع البحوث.وانصرف.وبعدها عملوا "تنظيم الأسرة" وليس " تحديد النسل".

و يعلق الشيخ الشعراوي قائلاً:

" إن الشيخ حسن مأمون عاد إلى مكتبه لكنه كان ضائقا. وكان أكثر ما يثيره في تلك الأيام أن يسمع كلمة " الاشتراكية ". وحدث ذات يوم أن سمع هذه الكلمة من أحد الحاضرين في مكتب فغضب وقال للشخص الذي كان يرددها " أنا لا أحب أن أسمع كلمة الاشتراكية!.

وأذكر أنني قلت له يومها مازحا ونحن نخرج في نهاية اليوم:

اليوم قبلت استقالتك يا فضيلة الشيخ لأنك لا تحب كلمة الاشتراكية!

ورد الرجل: الأمر لله.

وفي اليوم التالي تحولت كلمة المزاح إلى حقيقة!

فقد سمع الشيخ حسن مأمون وهو في طريقه إلى مكتبه بالأزهر. سمع في الراديو خبرا يقول " قدم الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر استقالته

وقبلت"! فعاد الرجل إلى بيته.

وتعليقا على هذا الحدث يقول الشيخ الشعراوي: " لقد وصلت كلمة شيخ الأزهر عن عدم حبه لسماع كلمة " الاشتراكية " إلى عبد الناصر يأتي أحيانا إلى الأزهر. وبعد انصرافه يأتي من يسأل: ما الذي كان يتكلم فيه هذا الرجل ومع من؟!

وهذا يعني أن الأجهزة الرقابية كانت لا تعفي أحدا من نشاطها حتى والد جمال عبد الناصر. وقد كان رجلا طيبا وعف اللسان.

*****

# صلاة الشكر يوم الهزيمة

نكسة ٦٧:

حرب ١٩٦٧ وتعرف أيضًا باسم نكسة حزيران وتسمى كذلك حرب الأيام الستة (بالعبرية: מלחמת ששת הימים، نقحرة: ملحمت شيشيت ها ياميم) هي الحرب التي نشبت بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا والأردن بين ٥ يونيو و١٠ يونيو ١٩٦٧ لإيقاف العدوان الإسرائيلي، وأفضت لاحتلال إسرائيل كل من سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية والجولان وتعتبر ثالث حرب ضمن الصراع العربي الإسرائيلي؛ وقد أدت الحرب لمقتل ١٥٠٠٠ - ٢٥٠٠٠ إنسان في الدول العربية مقابل ٨٠٠ في إسرائيل، وتدمير ٧٠ - ٨٠٪ من العتاد الحربي في الدول العربية مقابل ٢ - ٥٪ في إسرائيل، إلى جانب تفاوت مشابه في عدد الجرحى والأسرى؛ كما كان من نتائجها صدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وانعقاد قمة اللاءات الثلاثة العربيّة في الخرطوم وتهجير معظم سكان مدن قناة السويس وكذلك تهجير معظم مدنيي محافظة القنيطرة في سوريا، وتهجير عشرات الآلاف من الفلسطينيين من الضفة بما فيها محو قرى بأكملها، وفتح باب الاستيطان في القدس الشرقية والضفة الغربية.

لم تنته تبعات حرب ١٩٦٧ حتى اليوم، إذ لا تزال إسرائيل تحتلّ الضفة الغربية كما أنها قامت بضم القدس والجولان لحدودها، وكان من تبعاتها أيضًا نشوب حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ وفصل الضفة الغربيّة عن السيادة الأردنيّة، وقبول العرب منذ مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ بمبدأ «الأرض مقابل السلام» الذي ينصّ على العودة لما قبل حدود الحرب لقاء اعتراف العرب بإسرائيل، ومسالمتهم إياها رغم أن دول عربيّة عديدة باتت تقيم علاقات منفردة مع إسرائيل سياسيّة أو اقتصادية.

## مقدمات الحرب

في ١ مايو ١٩٦٧ صرح ليفي أشكول أنـه في حـال اسـتمرار العمليـات الانتحارية فإن بلاده "سترد بوسائل عنيفة" على مصادر الإرهاب، وكـرر مثـل ذلك أمام الكنيـست في ٥ مـايو، وفي ١٠ مـايو صـرّح رئـيس أركـان الجـيش الإسرائيلي أنـه إن لم يتوقـف "النـشاط الإرهـابي الفلـسطيني في الجليـل فـإن الجيش سيزحف نحو دمشق"، وفي ١٤ مايو ولمناسبة الذكرى التاسـعة عـشر لمـيلاد دولـة إسـرائيل، أجـرى الجـيش عرضًـا عـسكريًا في القـدس خلافًـا للمواثيق الدولية التي تقر أن القدس منطقة منزوعة السلاح. من جهتها كانـت مصر وسوريا تخطوان صوب خطوات تصعيديه، ففي مارس تم إعـادة إقـرار اتفاقية الدفاع المشتركة بين البلدين، وقال الرئيس المصري جمال عبد الناصـر أنه في حال كررت إسرائيل

عمليـــة طبريـــة فإنهـــا ســـترى أن الاتفـــاق لـــيس "قـــصاصة ورق لاغية".وعمومًا فإن توتر العلاقات بين إسرائيل ودول الطـوق العربـي تعـود لأواخر عام ١٩٦٦ حـين حـدثت عـدة اشـتباكات في الجـولان والأردن مـع الجيش الإسرائيلي، وإلى جانب عملية طبرية فإن عملية السموع التـي قـام بهـا الجيش الإسرائيلي ضد بلدة السموع الأردنية تعتبر من أكبـر هـذه العمليـات، كما شهد بداية العام ١٩٦٧ عدة اشـتباكات متقطعـة بالمدفعيـة بـين الجـيش السوري والجيش الإسرائيلي، مع تسلسل قوات فلـسطينية إلى داخـل الجليـل ووحدات إسرائيلية إلى داخل الجـولان، لعـل أكبرهـا مـا حـدث في ٧ أبريـل عندما أسقطت إسرائيل ٦ طائرات سورية مـن طـراز ميـغ ٢١، إثنتـان داخـل سوريا وأربع أخـرى مـنهم ثـلاث طـائرات داخـل الأردن،وقـد قـام الملـك الحسين بتسليم الطيارين الثلاثة علي عنتر ومحي الـدين داوود وأحمـد القـوتلي

الذين هبطوا بالمظلات داخل الأردن إلى سوريا.

وفي ١٤ مايو وردًا على العرض الإسرائيلي زار رئيس أركان الجيش المصري محمد فوزي دمشق "للتنسيق بين البلدين"، وفي اليوم التالي أي في ١٥ مايو أعلنت الحكومة المصرية نقل حشود عسكرية وآليات اتجاه الشرق وانعقاد مجلس حرب كبير في القاهرة في مقر القيادة العامة للجيش المصري، وفي ١٦ مايو قدم مندوب سوريا في الأمم المتحدة كتابًا إلى مجلس الأمن قال فيه أن إسرائيل تعد هجومًا ضد بلاده، وفي اليوم نفسه أعلنت حال الطوارئ في مصر. التي طلبت في اليوم التالي، أي في ١٧ مايو، سحب قوات الطوارئ الدولة التابعة للأمم المتحدة في الشرق الأوسط والمعروفة اختصارًا باسم UNEFوذلك لكون هذه القوّات تتواجد على الطرف المصري من الحدود، دون الطرف الإسرائيلي.

في ١٨ مايو زار القاهرة وزير الخارجية السوري إبراهيم ماخوس، ودعا إلى "الجهاد" ضد إسرائيل، وبعدها بيومين أي في ٢٠ مايو، كشفت تقارير صحفية أن إسرائيل قد أعلنت وبشكل سري التعبئة العامة وأنها دعت الوحدات الاحتياطية للالتحاق بالجيش؛ التقارير الصحفية قالت أيضًا أن خمس فرق عسكرية من الجيش الإسرائيلي باتت في صحراء النقب قرب شبه جزيرة سيناء، الأمر الذي أثار جدلاً واسعًا في القاهرة، دفع بجمال عبد الناصر لإعلان التعبئة العامة واستدعاء قوات الاحتياط، في ٢١ مايو تزامنًا مع توجه الأسطول السادس الأمريكي (بالإنجليزية) إلى شرق البحر الأبيض المتوسط رغم أن الحكومة اللبنانية ألغت زيارته إلى بيروت تاضمنًا مع الدول العربية. مثل هذه التقارير غالبًا ما كانت صائبة، فعندما أشيع عن حشود عسكرية قرب الحدود الشمالية لإسرائيل بعث أشكول برقية إلى ألكسي كوسيغين رئيس

الاتحاد السوفياتي ينفي مثل هذه الأنباء، ويطلب منه القدوم إلى الحدود والتأكد بنفسه. رغم ذلك فقد أبلغ مندوب المخابرات السوفييتي في القاهرة مدير المخابرات العامة المصرية بوجود ١١ لواء من الجيش الإسرائيلي على الجبهة السورية، كما كشف محمد حسنين هيكل.

يوم ٢٢ مايو: أعلن عن تصعيد جديد، بإغلاق مصر لمضيق تيران قبالة خليج العقبة أمام السفن التي تحمل العلم الإسرائيلي والسفن التي تحمل معدات حربية لإسرائيل، ورغم أن أغلب صادرات إسرائيل ووارداتها تتم عبر موانئ تل أبيب ويافا وحيفا إلا أن الحكومة الإسرائيلية اعتبرت القرار المصري "فرض حصار بحري" وأنها تعتبره أيضًا "عملاً حربيًا وعدائيًا يجب الرد عليه" في ٢٩ مايو انعقد مجلس الأمن بناءً على طلب مصر، وقال مندوبها في الأمم المتحدة أن بلاده لن تكون البادئة بأي عمل عسكري ضد إسرائيل، وأنها تدعو المجتمع الدولي للعمل على إعادة ترسيخ شروط هدنة ١٩٤٩ بين دول الطوق العربي وإسرائيل. رغم ذلك فكان الاستعداد للحرب مستمرًا: ففي ٣١ مايو زار الملك الحسين بن طلال القاهرة وطوى خلافاته مع جمال عبد الناصر ووقع على اتفاقية الدفاع المشترك التي باتت تضم ثلاث أطراف مصر وسوريا والأردن، وفي اليوم نفسه دخلت مفارز من الجيش العراقي إلى الأراضي السورية، أما في الداخل الإسرائيلي فقد بدأت الحكومة توزيع كمامات غاز لمواطنيها بالتعاون من حكومة ألمانيا الغربية "رغم أنه لا توجد أي دولة عربية تملك أسلحة نووية أو جرثومية حينها وهو ما يدخل ضمن حشد الدعم الإعلامي لإسرائيل في الخارج"، وفي ١ يونيو عدل أشكول حكومته بحيث انتقلت حقيبة الدفاع إلى موشي دايان في حين أصبح مناحيم بيغن وزيرًا للدولة ومعه جوزيف سافير، وثلاثتهم من أحزاب اليمين المحافظ ممثلو "خط التطرف" في التعامل مع العرب كما يقول جون ديزيد، داخل البلاد.

أما الولايات المتحدة فقد كانت علاقاتها مع مصر في تحسن، إذ زار القاهرة الموفد الخاص للرئيس الأمريكي وتقررت زيارة لنائب رئيس مصر ومعه مستشار الرئيس للشؤون الخارجية للقاء جونسون في البيت الأبيض يوم ٦ يونيو، كما كان من المقرر إجراء احتفال رسمي لقبول أوراق سفير الولايات المتحدة الجديد في مصر ريتشارد نولتي، كما سمحت الحكومة المصرية لحاملة الطائرات الأمريكية إنتر بريد المرور في قناة السويس كإشارة إلى حسن النوايا، والذي كان من المفترض أن يؤدي إلى إبعاد العمل العسكري، الذي نصح الملك حسين بتحاشيه، غير أن المعارك قد اندلعت فجر ٥ يونيو، وتبادل كل من مصر وإسرائيل الاتهامات حول البادئ بالهجوم، واستدعت معها انعقاد واحدة من أطول جلسات مجلس الأمن إذ دامت جلسته ١٢ ساعة.

### العمليات العسكرية

### الضربة الجوية

كان تحرك إسرائيل الأول والأكثر أهمية والذي أربك الجيش المصري، الذي كان أكبر الجيوش العربية المشاركة في القتال وأفضلها تسليحًا، هو الهجوم على مطارات ومهابط الطائرات المصرية، بحيث عطلت القدرة على استعمال ٤٢٠ طائرة مقاتلة يتألف منها الأسطول الجوي المصري؛ وقد ذهب بعض الصحفيين والمحللين من أمثال محمد حسنين هيكل للقول أن تعطيل سلاح الجو المصري هو السبب الأبرز لخسارة الحرب. النوع الأبرز للطائرات المصرية كان توبوليف تو-١٦ وهي سوفيتية الصنع كسائر قطع الأسطول الجوي المصري، وبإمكان الطائرة إطلاق مقذوفاتها من علو متوسط.

في ٥ يونيو الساعة ٧:٤٥ بالتوقيت المحلي، دوت صفارات الإنذار في جميع أنحاء إسرائيل، وأطلق سلاح الجو الإسرائيلي العملية العسكرية الجوية ضد المطارات المصرية، بمعدل ١٢ طائرة لكل مركز جوي في مصر. كانت البنية التحتية المصرية الدفاعية سيئة للغاية، وعلى الرغم من وجود بعض المطارات المزودة بملاجئ خاصة للطائرات، قادرة على حماية الأسطول الجوي المصري من التدمير، إلا أن الملاجئ لم تستعمل، وربما "المباغتة" التي قام بها الجيش الإسرائيلي هي السبب، فالطائرات الإسرائيلية حلقت على علو منخفض لتفادي الرادار فوق البحر الأبيض المتوسط قبل أن تتجه نحو الأراضي المصرية من فوق البحر الأحمر، وبكل الأحوال كان من الممكن استعمال صواريخ أرض جو المصريّة لإسقاط أكبر عدد من الطائرات الإسرائيلية تقليص الخسائر، إلا أن البيروقراطية الإدارية حالت دون استعمال هذا السلاح الذي وصفه هيكل بالفعّال، وسوى ذلك فإن القائد العام للجيش المصري المشير عبد الحكيم عامر كان حينها على متن طائرة متجه إلى سيناء ولم يعرف بالضربة الجوية الإسرائيلية إلا حين لم تجد طائرته مكانًا للهبوط في سيناء، بسبب تدمير جميع مدرجات المطارات، وهو ما دفعه للعودة إلى مطار القاهرة الدولي، دون أن يتمكن من تحقيق غايته. يذكر أيضًا أن الرادار التابع للأردن في عجلون استطاع الكشف عن اقتراب سرب من الطائرات الإسرائيلية للأراضي المصرية، وذكر كلمة السر للقيادة المصرية، غير أن مشاكل الاتصالات منعت من وصول التحذير إلى المطارات المستهدفة مسبقًا.

إستراتيجية الجيش الإسرائيلي، كانت تعتمد بشكل أساسي على تفوق سلاح الجو، ولذلك أخذت الطائرات تقصف وتمشط المطارات العسكرية المصرية، واستعملت نوعًا جديدًا من القنابل منتج من قبل إسرائيل وبالتعاون

مع فرنسا، عرف باسم "القنبلة الخارقة للاسمنت" بحيث تنتزع بنية مدرجات الإقلاع، بهدف منع الطائرات في الملاجئ من القدرة على الإقلاع في وقت لاحق، وحده مطار العريش لم يستهدف، إذ إن الخطة الإسرائيلية كانت تقضي بتحويله إلى مطار عسكري للجيش الإسرائيلي بعد السيطرة على المدينة، لتسهيل الاتصالات الجوية بين داخل البلاد وسيناء. كانت العملية ناجحة أكثر مما توقع الإسرائيليون حتى، وبينما تم تدمير سلاح الجو المصري بأكمله على أرض الواقع، فإن الخسائر الإسرائيلية لبثت قليلة: تم تدمير ما مجموعة ٣٨٨ طائرة مصرية وقتل ١٠٠ طيار، أما الجيش الإسرائيلي فقد خسر ١٩ طائرة من بينها ١٣ أسقطت بواسطة المدفعية المضادة للطائرات والباقي في مواجهات جوية.

بعد ظهر ذلك اليوم، تم تنفيذ غارات جوية ضد إسرائيل من قبل الأردن وسوريا والعراق، ردت عليها إسرائيل بالمثل، وفي ختام اليوم الأول، كان الأردن قد خسر أكثر من ست طائرات نقل مدني طائرتين عسكريتين ونحو ٢٠ جنديًا في هجوم شبيه على المطارات الأردنية، أما في سوريا فإن حصيلة الغارات الإسرائيلية كانت خسارة ٣٢ طائرة ميج ٢١ و٢٣ طائرة ميج ١٥، و١٥ طائرة ميج ١٧ وهو ما قدر بكونه ثلثي القدرة الدفاعية السورية. كذلك فقد دمرت عشر طائرات جوية عراقية في مطار عسكري غرب العراق، وكانت الخسارة ١٢ طائرة ميج ٢١ و١٧ طائرة هنتر وثلاثة طائرات قتالية، كما قتل جندي عراقي. قتل أيضًا ١٢ مواطن في لبنان، وذلك عقب سقوط طائرة إسرائيلية فوق الأراضي اللبنانية. وكمحصلة اليوم الأول، أعلن الناطق باسم الجيش الإسرائيلي، أن إسرائيل دمرت ٤١٦ طائرة عربية، في حين خسر الإسرائيليون ٢٦ طائرة فقط خلال اليومين الأولين من الحرب: ستة من أصل ٧٢ طائرة ميراج-٣ وأربعة من أصل ٢٤ من طائرات سوبر مايستر

وثمانية من أصل ٦٠ طائرة مايستر وأربعة من أصل ٤٠ طائة أورغان، وخمسة من أصل ٥٠ طائرة مقاتلة، كما قتل ١٢ طيارًا وجرح خمسة وأسر أربعة؛ وقد قيل أن الصحافة الغربية قد بالغت من تصوير الخسائر التي مني بها العرب، غير أن الوقائع أثبتت أن مصر وسوريا والأردن وغيرها من القوات الجوية العربية، لم تقوم بأي عملية جوية فيما تبقى من أيام الحرب، كما نشرت الإذاعة المصرية خبرًا كاذبًا أنه قد تم إسقاط ٧٠ طائرة إسرائيلية في اليوم الأول من القتال

## اجتياح غزة وسيناء

تألفت القوات المصرية المتواجدة في سيناء من ١٠٠أ٠٠٠ جندي في سبعة فرق عسكرية (أربعة مدرعة واثنين مشاة وواحدة ميكانيكية) وامتلكت هذه القوات ٩٠٠-٩٥٠ دبابة و١١أ١٠٠ ناقلة جنود مدرعة و١أ٠٠٠ قطعة مدفعية، ويعتمد التنظيم العسكري المصري على العقيدة العسكرية السوفيتية التي تقوم بوضع الدبابات في العمق الدفاعي لتوفير الدفاع المتحرك في حين تضطلع وحدات المشاة بالمهام القتالية في المعارك الثابتة.

أما القوات الإسرائيلية المحتشدة قرب الحدود المصرية فقد تألفت من ستة ألوية مدرعة ولواء مشاة واحد ولواء ميكانيكي واحد وثلاثة ألوية مظليين بمجموع ٧٠أ٠٠٠ مقاتل ونحو ٧٠٠ دبابة، موزعة على ثلاثة فرق مدرعة. اعتمدت الخطة الهجومية الإسرائيلية على مباغتة الجيش المصري بهجوم جوي بري متزامن. وقد كانت القيادة العسكرية المصرية تتوقع أن يقوم الجيش الإسرائيلي بذات الهجوم الذي شنه في حرب عام ١٩٥٦ أي من الطريق الشمالي والمتوسط، غير أن القوات الإسرائيلية دخلت من الطريق الجنوبي، ما سبب حالة من الإرباك. بداية، تقدم الجيش الإسرائيلي نحو غزة

وقاوم الجيش المصري بشراسة ذلك التقدم مدعومًا من الفرقة الفلسطينية رقم ٢٠، بقيادة حاكم غزة العسكري المصري؛ غير أن الجيش الإسرائيلي استطاع السيطرة شيئا فشيئًا على القطاع بينما أخذت القوات العربية بالتراجع، بعد يومين كان قطاع غزة بكامله تحت سيطرة الإسرائيليين، وبعد أن تكبد كلا الطرفان خسائر كبيرة، إذ فقد المصريون ٢٠٠٠ مقاتل. ومن غزة انطلق الجيش الإسرائيلي نحو العريش، التي سقطت في اليوم ذاته بعد معركة شرسة على مشارف المدينة، وأما القوات المصرية التي كانت تدافع عنها فأغلبها قتلت أو وقعت في الأسر أو فرّت.

من جهة ثانية وفي الوقت نفسه، كان اللواء أبراهام يوفي ومعه اللواء أرئيل شارون قد دخلا سيناء من الناحية الجنوبية، ووقعت معركة أبو عجيلة في قرب القرية المعروفة بهذا الاسم؛ كانت القوات المصرية المرابطة هناك فرقة واحدة من المشاة وكتيبة من الدبابات تعود لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ومؤلفة بشكل عام من ١٦٫٠٠٠ رجل، في حين كانت القوات الإسرائيلية حوالي ١٤٫٠٠٠ رجل وحوالي ١٥٠ دبابة. دخل لواء شارون إلى سيناء فقسمه وفق الخطة الموضوعة سلفًا بإرسال اثنين من ألويته نحو الشمال مساعدين في احتلال العريش ومن ثم سيطروا على مدينة أم كاتف، في حين قامت سائر قواته بتطويق أبو عجيلة، ودعمته قوات إنزال مظلي خلف مواقع المدفعية المصرية، ما ساهم في زرع البلبلة بين فرق المدفعية وسلاح المهندسين. ثم هاجم مواقع البدو في سيناء، واستمرت المعارك ثلاثة أيام، إذ أبدى المصريون مقاومة شرسة مدعومين من حقول الألغام والكثبان الرملية، غير أنه في النهاية سقطت أبو عجيلة، وكانت كلفة المعاركة ٤٠٠٠ من الجنود المصريين وحوالي ٤٠ دبابة، بينما خسر الإسرائيليون ٣٣ جندي و١٩ دبابة.

بعد معركة أبو عجيلة، كانت القوات الإسرائيلية قد سيطرت على العريش وأم كاتف والجبل البني وعدد من المدن والقرى المحصنة، ولم ينفع سلاح الدبابات المصريّة بسبب حوزة الجيش الإسرائيلي على أسلحة مضادة للدبابات، حتى في المواقع التي كان يبدي فيها المصريون تقدمًا ويقتربون من تحقيق الانتصار على القوات البرية الإسرائيلية كان سلاح الجو الإسرائيلي يتدخل حاسمًا المعركة لصالح القوات البرية الإسرائيلية، ودون أن يلقى مقاومة جوية، بسبب انفراط عقد سلاح الجو المصري في اليوم الأول من الحرب، ومجمل ما تمكن سلاح الجو المصري هو تنفيذ ١٥٠ طلعة خلال أربعة أيام من الحرب فوق سيناء.

رغم سقوط قلب سيناء، إلا أن القيادة المصريّة أوفدت مزيدًا من الجنود نحو غرب البلاد، لمنع سيطرة الإسرائيليين على قناة السويس، رغم ذلك فقد عبر عبد الحكيم عامر عن هزيمة بلاده منذ أن علم بسقوط أبو عجيلة. بين ٦ و٧ يونيو، عبر شارون القسم الجنوبي من سيناء، مصحوبًا بدعم جوي، فسيطر على سيناء الجنوبية وتوقف عند قناة السويس بعد أن سيطر على شرم الشيخ؛ تزامنًا مع ذلك حاولت البحرية الإسرائيلية إنزال غواصين قبالة ميناء الإسكندرية غير أن أغلبهم قد قتل من قبل الجنود المصريين. يجب الأخذ بعين الاعتبار، أن آلافًا من الجنود المصريين إنما قتلوا خلال انسحابهم من وسط سيناء نحو القناة، إذ اضطروا لقطع ٢٠٠ كم سيرًا على الأقدام في بيئة صحراوية جافة، وهو ما أدى إلى قبول مجموعات من الجنود تسليم أنفسها كأسرى للجيش الإسرائيلي، في حين أنه من القوات التي كانت مرابطة في سيناء، نجت مجموعة قليلة جدًا من الجنود. يوم ٨ يونيو يمكن اعتبارها نهاية الحرب في سيناء، مع وصول الجيش الإسرائيلي إلى رأس سودار على الساحل الغربي من شبه الجزيرة، والتي سيطرت عليه زوارق من

البحرية الإسرائيلية مدعمة من قوات مظليين

**احتلال الضفة الغربية**

كان الأردن مترددًا في الدخول بالحرب، في حين اتفق جمال عبد الناصر والملك حسين على دخول الحرب، من أجل تخفيف الضغط عن الجبهة المصرية. بشكل عام، فإن القوات الأردنية صغيرة الحجم ومؤلفة من ١١ لواء موزعة على ٥٥أ٠٠٠ جندي ومجهزة بنحو ٣٠٠ دبابة حديثة غربية الطراز. تم نشر تسعة ألوية أي ٤٥أ٠٠٠ جندي مع ٢٧٠ دبابة و٢٠٠ قطعة مدفعية على كامل الضفة الغربية، بما فيها قوات النخبة، أما الاثنتان الباقيتان فقد انتشرا في وادي الأردن. كان الجيش الأردني معروفًا آنذاك باسم "الجيش العربي"، ويشتهر عن مقاتليه المهنية والتجهيز الجيد والتدريب الجيد؛وفي المقابل فإن القوات الإسرائيلية في الضفة الغربية كانت مؤلفة من ٤٠أ٠٠٠ جندي و٢٠٠ دبابة أي ثمانية ألوية، اثنان منهما متمركزان بشكل دائم قرب القدس مع وجود عدد من الكتائب الميكانيكية. استدعي أيضًا لواء المظليين من سيناء نحو رام الله، واستولى هذا اللواء على اللطرون خلال هذه العملية. كان يوجد أيضًا ثلاثة ألوية بقيادة الجنرال بيليد عاد شمال الضفة العربية، متمركزة في وادي يزرعيل.

حسب الخطة الإسرائيلية، كان من المفترض أن تبقى إسرائيل في موقف دفاعي على طول الجبهة لتركيز الضغط على مصر. غير أنه، وردًا على الضربة الجويّة للجيش الإسرائيلي على سيناء، بدأ الجيش الأردني في صباح ٥ يونيو، مدعومًا من المدفعية العراقية، قصف مواقع في القدس الغربية ونتانيا وكفر سابا على مشارف تل أبيب، وبحسب الرواية الإسرائيلية فإن القصف الأردني والعراقي طال أهدافًا مدنية، غير أن حصيلة هذه الغارات لم تكن سوى

قتيل إسرائيلي واحد وسبعة جرحى. مساء ذلك اليوم، عقد مجلس الوزراء جلسة وقرر بناءً على اقتراح مناحيم بيغن وإيغال آلون إعلان الحرب على الأردن واحتلال الضفة الغربية، لمناسبة كون هذه "فرصة مواتية" للسيطرة على القدس الشرقية، ولكن ليفي أشكول قرر تأجيل اتخاذ أي قرار حتى يستشير موشيه دايان واسحق رابين

دخل الجيش الأردني إلى القدس وهي منطقة منزوعة السلاح بموجب شروط الهدنة لعام ١٩٤٩، وقصف منها جوار تل أبيب، وفي جلسة مجلس الأمن الدولي ليوم ٥ يونيو قال الأمين العام يو ثانت أنه من واجب الأردن الانسحاب من القدس فورًا، كما قال أن مقر الأمم المتحدة في المدينة تعرض لقصف بقذائف الهاون وأن الجيش الأردني احتلّ المبنى، لاحقًا تبيّن أن ثلاث جنود أردنيين فقط هم من دخلوا المبنى لتقديم الاحتجاج على هيئة مراقبة الهدنة بسبب الحشود العسكرية الإسرائيلية قرب القدس، وأنهم غادروا المبنى بعد عشر دقائق تقريبًا.

في ٦ يونيو، سارعت وحدات من الجيش الإسرائيلي لدخول الضفة، وهاجم الطيران الإسرائيلي مطارات الأردن ومراكز التزود بالوقود، وعلى الأرض دارت معارك شرسة بين الطرفين قبالة القدس، التي سيطر الجيش الإسرائيلي على تلة إستراتيجية شمالها، في حين لم يتوقف قصف المدفعية الأردنية للمواقع العسكرية في المدينة؛ بحلول المساء كان لواء القدس قد حاصر جنوب المدينة الشرقية انتشر في المدينة الغربية، في حين كان لواء هرئيل ولواء المظليين قد انتشر شمالها، ما يعني تطويق المدينة، ودارت معركة "تل الذخيرة" التي قتل فيها ٧١ جندي أردني و٣٧ جندي إسرائيلي، ولم يأمر موشي دايان قواته دخول المدينة "خوفًا على الأماكن المقدسة"، غير أن

القتال تجدد في ٧ يونيو، حيث هاجم لواء المشاة اللطرون واستولى عليها عند الفجر، ومنها تقدم نحو بيت حورون وثم إلى رام الله محاصرًا إياها؛ كما وصل لواء جديد سيطر على المناطق الجبلية شمال غرب القدس، وربط حرم الجامعة العبرية في أطراف القدس مع المدينة نفسها، وبختام اليوم كان الجيش الإسرائيلي قد احتل رام الله، وأوقف تقدم قوات أردنية قادمة من أريحا لتعزيز الموقف على القدس.

عندما علم دايان أن مجلس الأمن الدولي قد توصل لشبه اتفاق حول فرض وقف إطلاق النار، أمر قواته بدخول القدس الشرقية ودون موافقة من مجلس الوزراء، دخلت وحدات من الجيش البلدة القديمة عبر بوابة الأسد واستولت على جبل الزيتون والمسجد الأقصى وحائط المبكى، كانت المعارك للسيطرة على المدينة ضارية وغالبًا ما تنقلت شارعًا تلو الآخر، وتزامنًا سيطر الجيش الإسرائيلي على الخليل دون مقاومة، وشرع لواء هرئيل بالزحف شرقًا نحو نهر الأردن، وفي الوقت نفسه هاجمت قوات إسرائيلية بيت لحم مدعومة بالدبابات، وتم الاستيلاء على المدينة بعد معركة قصيرة سقط بموجبها ٤٠ قتيلاً أردنيًا ثم اضطروا للانسحاب لحماية الأماكن المقدسة. أما نابلس فقد دارت على أطرافها معركة شرسة، وكان عدد القتلى من الإسرائيليين يضاهي تقريبًا عدد القتلى من الأردنيين، ولولا تفوق سلاح الجو الإسرائيلي لكان من الممكن تحقيق نصر للجيش الأردني فيها. وفي اليوم نفسه، وصل الجيش الإسرائيلي إلى نهر الأردن وأغلق الجسور العشرة الرابطة بين الضفة الغربية والبلاد، وبعد انسحاب قوات الجيش العراقي، تمت السيطرة على أريحا

## سقوط الجولان

خلال الأيام الأولى من الحرب، اعتمدت القيادة السورية نهج الحذر تجاه الجيش الإسرائيلي، ولم تشارك سوى بقصف وغارات جوية متقطعة على شمال إسرائيل. قبيل أيام من بدأ الحرب، كانت التقارير تشير إلى أن الجيش المصري سيحقق نصرًا ساحقًا وأنه خلال أيام سيصل إلى تل أبيب مستعيدًا إياها، وعندما تمت الضربة الجوية ودمر سلاح الجو المصري بالكامل، انتهجت القيادة السوريّة نهج الحذر، غير أن ذلك لم يعفها من حصتها في الضربة الجويّة، فمساء ٥ يونيو دمرت الضربات الإسرائيلية ثلثي سلاح الجو السوري، وأجبرت الثلث المتبقي على التراجع نحو قواعد بعيدة عن ساحة المعركة، ولم يلعب دورًا آخر في أيام الحرب التي تلت. حاولت الحكومة السورية إجراء تعديلات على خططها الدفاعية في الجولان، ومنها حشد مزيد من الجنود في منطقة تل دان، حيث توجد منابع مياه نهر الأردن التي كانت موضع اشتباكات عنيفة خلال العامين المنصرمين قبل الحرب، لكن عملية الحشد هذه بالمجمل فشلت، بل وبنتيجة الضربات الجوية، عطبت عدة دبابات سوريّة وغرق قسم منها في نهر الأردن، ومن المشاكل الأخرى للدبابات، بطئ حركتها بسبب مد الجسور فوق الأنهر القصيرة المنتشرة حول بحيرة طبرية،إلى جانب افتقار الاتصالات اللاسلكية الحديثة والسريعة بين وحدات المدرعات ووحدات المشاة، فضلاً عن تجاهل بض الوحدات لأوامر صادرة عن دمشق؛ تقرير وزارة الدفاع السورية بعد الحرب قال: "إن قواتنا المسلحة لم تقم بالهجوم، إما لأنها لم تصل أو لأنها لم تكن مستعدة كليًا، فضلاً عن استحالة وجود طرق مخفية لنقل الجند والدبابات، تقيها الضربات الجوية، وهو ما أثر على معنويات الجنود". لاحقًا، عدل الجيش السوري من

خططه، وحشد قواته في منطقة وادي الحولة، وذلك بهدف صد هجوم بري ضخم محتمل من قبل الجيش الإسرائيلي

كان الهجوم البري على سوريا مقررًا في ٨ يونيو، غير أن قيادة الجيش الإسرائيلي أجلت الهجوم، واستمرت في دراسة ما إذا كان نافعًا الدخول بعمل بري في الجولان لمدة ٢٤ ساعة. أخيرًا مالت الآراء إلى الشروع بهجوم بري على سوريا، وقد بدأ الهجوم تمام الثالثة فجر ٩ يونيو، رغم أن سوريا قد أعلنت موافقتها على وقف إطلاق النار. وفي تمام السابعة من صباح ذلك اليوم، أعلن دايان وزير الدفاع الإسرائيلي أنه قد أعطى الأمر بشن عملية حربية ضد سوريا، وذلك لكون سوريا قد شنت غارات على الجليل من جهة، ولدعم الحكومة السوريّة المنظمات الفلسطينية من جهة ثانية. كانت التوقعات الإسرائيلية أن الهجوم سيكون مكلفًا من الناحية البشرية والمادية لإسرائيل، خصوصًا أن اجتياز منطقة جبلية في قتال بري ستكون معركة شاقة، خصوصًا أن هضبة الجولان يصل ارتفاعها في بعض المواقع إلى ٥٠٠ متر (١٧٠٠ قدم) عن الأراضي الإسرائيلية في الجليل وبحيرة طبرية، أما انحدارها من ناحية الداخل السوري فهو أكثر لطفًا. قاد العملية ديفيد أليعازر قائد مفارز الجيش الإسرائيلي في الجبهة الشمالية، ومع بدأ العملية وعدم تدخل الاتحاد السوفيتي، إذ كانت تنتشر مخاوف من تدخل حربي سوفيتي محتمل، أعطي الأمر باستمرار العملية.

كانت قطاعات الجيش السوري في الهضبة مؤلفة من تسعة ألوية مجموع رجالها ٧٥أ٠٠٠ مقاتل، بدعم كمية كافية من المدفعية والمدرعات، أما القوات الإسرائيلية تألفت من لواءين مقاتلين ولوائين مشاة، طوق الجيش الإسرائيلي الهضبة من شرقها ومن غربها في حين ظلت الهضبة نفسها وشمالها

نحو الداخل السوري خاضعًا لسيطرة الجيش السوري، وكانت معلومات الموساد الإسرائيلي التي قدمها بشكل أساسي الجاسوس إيلي كوهين (كشف عن كونه جاسوسًا وأعدم عام ١٩٦٥) هامة جدًا للجيش، بحيث تفادى مناطق الألغام والمناطق الدفاعية المحصنة بشكل جيد في الهضبة. حتى سلاح الجو الإسرائيلي، كان ذو فعالية محدودة في الجولان بسبب قوة التحصينات الثابتة، ومع ذلك فإن القوات السورية كانت غير قادرة على الدفاع بشكل فعال لرد الجيش المهاجم بشكل كامل، سوى ذلك فإن وضع الجنود ومعاملتهم من قبل ضباطهم كانت سيئة، رغم ذلك فقد صمدت الهضبة خلال معارك شرسة طوال ٩ يونيو، ولم تتمكن من إحداث اختراق وكسر التحصينات السورية سوى في مساء ذلك اليوم، وقد فقدت إسرائيل بكمين مسلح في الجولان ٢٤ دبابة من أصل ٢٦ دبابة في الموكب و٥٠ دبابة هي مجمل القوة الإسرائيلية المهاجمة، وبلغ عدد القتلى ١٣ جنديًا و٣٣ جريحًا.

في ١٠ يونيو أطبق الإسرائيليون على الهضبة، وانسحبت القوات السورية من الهضبة قبل تمام الانتشار تاركة أسلحتها في بعض المواقع، ثم سقطت القنيطرة عاصمة الجولان، ووصلت وحدات جديدة لإسرائيل، وتوقفت عند خط من التلال البركانية التي تعتبر موقعًا استراتيجيًا، ومن ثم قبلت بوقف إطلاق النار، واتخذ من خط التلال البركانية خطًا لوقف إطلاق النار وسمي "الخط البنفسجي". وقد ذكرت مجلة التايم، أن إذاعة دمشق قد بثت خبر سقوط القنيطرة قبل ثلاث ساعات من حصوله

**خسائر الحرب**

لقتلى والجرحى والأسرى في جانب الدول العربية أكبر بكثير، إذ إن

نحو ٩٨٠٠ إلى ١٥.٠٠٠ جندي مصري قد قتلوا أو فقدوا، كما أسر ٤٣٣٨ جندي مصري. أما الخسائر الأرْدنية فهي نحو ٦٠٠٠ جندي قتلوا أو في عداد المفقودين كما أسر ٥٣٣ جندي، ونحو ٢٥٠٠ جريح؛ أما في سوريا فقد سقط نحو ١٠٠٠ جندي و٣٦٧ أسير.

خلال الضربة الجويّة المصرية وطبق البيانات الإسرائيلية تم تدمير ٢٠٩ طائرة من أصل ٣٤٠ طائرة مصرية، وحول مجمل خسائر مصر العسكرية، نقل أمين هويدي عن كتاب الفريق أول محمد فوزي أن الخسائر كانت بنسبة ٨٥٪ في سلاح القوات البرية، وكانت خسائر القوات الجوية من القاذفات الثقيلة أو الخفيفة ١٠٠٪، و٨٧٪ من المقاتلات القاذفة والمقاتلات، كما اتضح بعد المعركة أن عدد الدبابات مائتا دبابة تقريبًا دمر منها ١٢ دبابة وتركت ١٨٨ دبابة للعدو. كما دمرت ٣٢ طائرة سوريّة وسجلت نسبة استنزاف كبيرة في المعدات، أما في الأردن فقد بلغ عدد الطائرات المدمرة ٢٢ طائرة، كما فقد العراق جزءًا من سلاحه الجوي بعد أن هاجمت إسرائيل قاعدة جوية في الأنبار، وحسب بعض التحليلات فإن نسب الاستنزاف في المعدات العربيّة وصلت إلى ٧٠ - ٨٠٪ من مجمل طاقتها.

*****

**بعد هذه المقدمة الطويلة نسبيا يأتي الحديث عن "صلاة الشكر" يوم الهزيمة. هزيمة يونيو ١٩٦٧ . الصلاة التي قال الشيخ الشعراوي: إنه أداها يوم الهزيمة وسجد شاكرا لله. بينما القلوب تدمي من جراحها وجراح الوطن.**

وسأل المحاور الأستاذ "سعيد أبو العنين " في كتابه " الشعراوي الذي لا نعرفه " الشيخ قائلاً: كيف يا فضيلة الشيخ؟ كيف تكون " صلاة الشكر يوم المحنة الكبرى. يوم الهزيمة التي لم تشهدها مصر في تاريخها الحديث؟

قل لنا يا فضيلة الشيخ: ما الذي تعنيه " صلاة الشكر " في مثل هذا اليوم الحزين في تاريخ مصر والعرب والمسلمين. خاصة بعد الذي قرأنها من تعليقات للبعض تضع الحقيقة في مأزق داخل الصدور التي تكن التقدير والاحترام للشيخ الجليل؟!.

قال الشيخ: صلاة الشكر يوم الهزيمة هي سجود لله وشكر له. لأن الهزيمة جاءت من عند الله لتصويب أخطائنا التي أرتكبناها. ومن هنا وجب الشكر لله.

وأضاف : رسول الله ﷺ كان مع صحابته يوم " موقعة أحد ". وهزم المسلمون. ولا أريد أن أقول هزم المسلمون بل الأصح القول: لم ينتصر المسلمون. ولم يكن قد مضى على نصرهم في " موقعة بدر " عام.

لقد أمر رسول الله ﷺ " الرماة " يوم أحد بألا يتركوا أماكنهم. قال لهم لا تتركوا أماكنكم حتى ولو أنتصرنا. أو انهزمنا.

لكنهم لم يسمعوا وخالفوا أمر رسول الله.

فعندما شاهدوا الغنائم لهوا بها. وتركوا مواقعهم. فجاء خالد ودار من ورائهم وحاصرهم. وهكذا لم ينتصروا. فالهزيمة هنا. كانت لانخذال المسلمين. وعدم طاعتهم أمر رسول الله. ولو كانوا قد انتصروا مع مخالفتهم لطاعة رسول الله. لقالوا " خالفناه وانتصرنا ".

فالهزيمة هنا جاءت لتصويب خطأ المسلمين الذين لم يطيعوا أمر رسول الله بعدما تركوا مواقعهم.

ولهذا أمر الرسول ﷺ الناس يومها بأن يشكروا الله.

وقف الرسول وناداهم حتى تجمعوا حوله فقال لهم: " استووا حتى

أثني على ربي ". وقال الشيخ: وصلاة الشكر عند الهزائم والمحن والكوارث هي أيضا صلاة امتثال ورضاء بقضاء الله وقدره.وهي بذلك تعد من قبيل " النسك والعبادة "في مثل هذه الأحوال.

وأضاف: إن الهزيمة كانت " تصويبا " من الله سبحانه وتعالى لكل أخطائنا.وإنها أحدثت زلزالا هز الجميع. وأيقظ الوعي في النفوس والعقول. وكشف الطغاة " وعرى " أخطاءهم وخطاياهم.

وأضاف الشيخ أيضا: وشيء آخر. نحن كنا في أحضان روسيا وروسيا كان لها في مصر أماكن لا يستطيع أي مصري أن يدخلها! ولا رئيس الحكومة كان يستطيع أن يدخلها.ولو أننا انتصرنا ونحن في أحضان روسيا. لهان أمر الدين.

وقال الشيخ: لم ننتصر ونحن في أحضان روسيا. وعشنا الهزيمة النكراء. ومع ذلك كان هناك ميلاد النبي. وميلاد لينين.وفي ذكرى ميلاد النبي لم نجد أي مظهر في الشارع يعبر عن ذلك كل الصور واللافتات كانت للاحتفالات بمولد لينين! فهل! فهل نسينا ذلك؟

وقال: لقد كشفت لنا الهزيمة عن وجه " موسكو".. وأوضحت أن "الاتحاد السوفييتي " الذي أنهار أخيرا ، لم يأت ليساعدنا ويعاوننا لكي ننتصر. بل جاء ليبقى. ونظل نحن في حاجة إليه وإلى أسلحته كانت حساباته أن أمريكا لن تتخلى عن إسرائيل.وأن مصر ستبقى دائما في حاجة إلى الإتحاد السوفييتي.

وأضاف الشيخ: وشيء آخر كشفت عنه الهزيمة النكراء ، وهو الصراع المستتر في قمة النظام بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والذي حاولوا إخفاءه عن الناس. لقد عز عليهما أن يظهر هذا الخلاف للشعب. أحدهما كان مركزه قوة بالجيش.والآخر مركزه قوة بالأجهزة السياسية.

وكل منهما أراد أن يأخذ المعركة لنفسه. وأن يصطنع بطولة كدابة. زي نجمة البحر!

وعندما أغلق جمال عبد الناصر " المضيق". لم يكن يحسبها سياسيا.وإنما كان " واخدها فتونة "!

وقال الشيخ:إن الحسابات السياسية الخاطئة كانت وراء النكبات والهزائم التي ابتلينا بها. فالذي جرى في سنة ١٩٥٦ كان سببه الخطأ في الحساب. نعم ، تعرضنا لحرب عدوانية. من دول ثلاث. لكن هذه الحرب كشفت خطأ مصر في الحساب. كما فضحت مخطط أعداء مصر.

كشفت خطأ مصر لأن هذه الحرب جاءت ردا على تأميم " القنال " وتأميم " القنال " كان يجب أن يدرس من عدة نواح: متى ينتهي امتياز القنال؟ وما هو العائد الذي سيعود علينا من تأميمها ألآن؟ وماذا لو انتظرنا حتى تنتهي المدة الباقية من الامتياز وكانت مدة بسيطة؟ لكننا لم نحسب ذلك وتصرفنا بانفعال. وهذا هو الخطأ.

أما فضيحة المتآمرين ضد مصر فقد كشفت لنا عن كل دولة ذات مطامع في مصر. وكنا بنقول: " إسرائيل هي اللي قدامنا ". لكن ظهر واضحا أن فرنسا جاءت وبريطانيا جاءت.ولكل منهما غرض من وقوفها وراء إسرائيل.

فرنسا تعتبر نفسها صاحبة الحق في امتياز القنال.

وبريطانيا تريد أن يبقى لها وجودها ونفوذها في المنطقة. ثم ظهرت أمريكا لتنهي دور بريطانيا في المنطقة.وتأخذ مكانها وقال الشيخ: ناس بتخطط.وبتحسبها صح. وتعرف كيف تستغل وتستفيد من انفعال الآخرين وشغل الفتونة!.

# الشعراوي وآرائه في السياسة وأهلها

ويواصل الشيخ الشعراوي رواية حكايته مع جمال عبد الناصر. كاشفا عن أسرار جديدة! أول هذه الأسرار التي لا يعرفها أحد ،هو أن الشيخ الشعراوي كان على موعد مع جمال عبد الناصر قبل وفاته! وإن هذا الموعد تأجل ثلاث مرات لظروف خارجة عن إرادة عبد الناصر والشيخ الشعراوي! وفي المرة الرابعة مات عبد الناصر قبل موعد اللقاء!.

هناك سر آخر.وهو أن الشيخ الشعراوي كان مرشحا لتولي " أمانة الفكر " في الاتحاد الاشتراكي. في وقت لا يخطر فيه على بال أحد في مصر أن يأتي عبد الناصر بالشيخ الشعراوي ليتولي "أمانة الفكر " في التنظيم السياسي الذي كان يتصارع على قمته بعض الشيوعيين المصريين الذين أمدوا الجسور مع موسكو!.

والسر الثالث الذي يكشف عنه الشيخ هو أنه طلب زيارة بعض أقطاب انقلاب ١٥ مايو الذين أطلق عليهم "مراكز القوى " في السجن! وسمحوا له بذلك.

عن هذه الأسرار وأكثر منها يواصل الشيخ الشعراوي حديثه للأستاذ سعيد أبو العينين قائلاً " سياسة الانفعال وردود الفعل واختلاط الأدوار بين رجل السياسة ورجل الحرب. والصراع في قمة السلطة والنظام بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر. كل ذلك جر على مصر النكبات.

وأضاف الشيخ: " رجل السياسة للسياسة.ورجل الحرب للحرب. دون خلط في الأدوار. هذا ما يقوله لنا التاريخ. وتساءل الشيخ: ما هي السياسة؟ السياسة هي أن تقول كلاما يستشهد به أي واقع.

وقال: زمان أنا قلت إن رجال الفكر معذورون إذا هم لم يقولوا رأيهم في كثير من المسائل. لماذا؟ لأن العلاقات بين الدول لا تدوم على خصام ولا تدوم على مودة! هناك أمور تحتم علينا أن نضحك لبعض، ونأخذ بعضنا بالحضن.

والذي يقول كلمة الحق يصبح عدوا إذا هي تعارضت مع ما يريده الحاكم. فالسياسة لها لغتها. ولها أساليبها.

وقال: خذ مثلا من التاريخ. " معاويل " طلب من " الأحنف " أن يصعد المنبر وأن يسب الإمام علي.

قال للأحنف: لتصعدن المنبر. ولتسبن "عليا" كما يسبه الخطباء.

فقال الأحنف: وكان له وزن كبير:

اعفني من هذا يا أمير المؤمنين.

فقال معاوية: عزمت عليك ألا فعلت..(يعني مفيش فايدة)!

ففال الأحنف: يا أمير المؤمنين سامحني في هذا الموضوع، فإني لو صعدت المنبر فسوف أقول: أيها الناس. إن أمير المؤمنين معاوية طلب مني أن ألعن على بن أبي طالب... فقولوا معي: لعنه الله!

وقال الشيخ: هذه هي السياسة. وهذا هو كلام السياسة.

ولنأخذ مثلا آخر:

المرأة التي حكمت. وهي ملكة سبأ، عندما جاءتها رسالة من سليمان. لم تمزقها في وجه من أتى بها. ولم تشتم. أو تهاجم بل قالت" ألقي إليّ كتاب كريم ". وصفت الكتاب الذي جاءها من سليمان بأنه: " كتاب كريم " فإذا ما

نقلت العبارة إلى سليمان فلن يجد فيها ما يثيره أو يغضبه بل ما يجعله يسر.

هذه هي السياسة.

كتاب سليمان ماذا كان يقول لها؟ كان يقول:

﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ[ ٣٠[ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل:٣٠/ ٣١).

فماذا فعلت هي؟

جمعت رجالها. رجال الحرب.. رجال القوة. وقالت لهم:

﴿ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ (النمل:٢٩). ﴿ مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (النمل:٣٢). فهي تريد أن تسألهم الرأي. أن تستشيرهم. فقالوا لها: نحن لسنا موضع الأخذ. أنت تتكلمين السياسة. أما نحن فرجال حرب ورجال قوة. ﴿ نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ ﴾ (النمل:٣٣).

ورجال القوة لا يعطون رأيا في السياسة. خذي أنت القرار ونحن ننفذ.

لقدح استشارتهم في أمر طارئ وهام. ففوضوا لها الأمر. وقالوا: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ (النمل:٣٣).

وأضاف الشيخ: هذه هي السياسة.. وهذا هو أسلوب السياسة.

فماذا فعلت؟

أرسلت " هدية " إلى سليمان.

هدية من ملكة سبأ. إلى سليمان. للاختبار.

إنها تريد أن تعرف ماذا يريد سليمان بالضبط؟ هل يريد " الملك ". مملكتها؟ أم يريد شيئاً آخ.

فلما وصلت " الهدية " إلى سليمان أعادها. وقال لمن حملها إليه:

﴿ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ [٣٦] ارْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾ (النمل:٣٦/ ٣٧). إن ما عندي أحسن مما عندكم. ﴿ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم ﴾ (النمل:٣٦).

فالله أعطاني فوق ما أعطاكم. وسخر لي ما لم يسخر لكم. أنتم أخذتم من عالم الملك. أما أنا فأخذت من عالم الملك.وعالم الجن. وأخذت الريح أيضا.

الجن يخدمني.والريح يخدمني. فأنا أحسن منكم.وقرر سليمان أن يواجههم.وقال: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾ (النمل:٣٧). وعندما عادت الهدية إلى ملكة سبأ. أدركت هي أن سليمان ليس طالب ملك. فالذي عنده أكثر من الذي عندهم. إذن ماذا يريد؟ ذهبت إليه لترى وتعرف. وعرف سليمان أنها في طريقها إليه.

فقال للجن: هاتوا لنا عرشها. هاتوا رمز القوة والسيطرة والحكم والغنى.

سأل سليمان " للجن ": ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾؟ (النمل:٣٨). من يأتيني بعرشها قبل أن تصل؟ فرد عليه " عفريت " من الجن:

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ (النمل:٣٩). – لكن ماذا قال الذي عنده علم من الكتاب؟ ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (النمل:٤٠)!

وجاء به إليه. جاء " بالعرش ". إلى سليمان.ووصلت ملكة سبأ. فوجدت عرشها عند سليمان. وسألها سليمان: أليس هذا عرشك؟

قالت: كأنه هو!

وأدركت هي في النهاية دعوة سليمان لها وهي الإسلام لله فماذا قالت؟ قالت: " أسلمت مع سليمان "

لم تقل: أسلمت لسليمان. بل قالت أسلمت مع سليمان لله الذي هو أعلى منا ومنه.

ويضيف الشيخ الشعراوي قائلاً: " إن هذه القصة من قصص القرآن الكريم تدل على أن المرآة قد تؤتي حظا من حسن التعقل في المواقف. كما تدل أيضا على أن السياسة لها أساليبها ولها ناسها. وأن القرار السياسي ليس من اختصاص رجال الحرب.ولا خلط في الأدوار.

**

## وفي خواطره حول تفسير القرآن الكريم وحول هذه الجزئية بالتحديد من قصة بلقيس قال الشيخ في سياق خواطره:

" وقالت: ﴿في أَمْرِي﴾ [النمل: ٣٢] مع أن الأمر خاصٌّ بالدولة كلها، لا بها وحدها؛ لأنها رمز للدولة وللملْك، وإنْ تعرض لها سليمان فسوف يُخدش مُلْكها أولاً، ويُنال من هيبتها قبل رعيتها.

﴿ مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حتى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢] يعني: لا أَبُتُّ في أمر إلا في حضوركم، وبعد استشارتكم. وهذا يدل على أنها كانت تأخذ بمبدأ الشورى رغم ما كان لها من الملْك والسيطرة والهيمنة.

فردّ عليها الملأ من قومها: ﴿ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُو قُوَّةٍ ﴾

يعني: نحن أصحاب قوة في أجسامنا، وأصحاب شجاعة وبأس أي جيوش فيها عَدَد وعُدة ﴿والأمر إِلَيْكِ﴾ [النمل: ٣٣] أي: إنْ رأيتِ الحرب، فنحن على أُهْبة الاستعداد، فهم يعرضون عليها رأيهم دون أنْ يُلزموها به، فهو رَأْي سياسي لا رأي حربي، فهي صاحبة قرار الحرب إنْ أرادتْ ﴿فانظري مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ [النمل: ٣٣] يعني: نحن على استعداد للسِّلْم وللحرب، وننتظر أمرك.

وتعرض بلقيس رأيها: ﴿إِنَّ الملوك إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ [النمل:٣٤]، ذلك لأنهم يريدون مُلْكاً، فينهبون كل ما يمرُّون به بل ويُخربون ويفسدون لماذا؟ لأنهم ساعةَ يصل المِلك المغير لا يضمن النصر؛ لذلك يُخرِّب كل شيء، حتى إذا ما عرف أنه انتصر، وأن الأمور قد استقرتْ له يحافظ على الأشياء ولا يُخربها.

﴿ وجعلوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ [النمل: ٣٤] لأن الملْك يقوم على أنقاض مُلْك قديم، فيكون أصحاب العزة والسيادة هم أول مَنْ يُبدأ بهم؛ لأن الأمر

أُخِذ من أيديهم، وسوف يسعَوْن لاستعادته، ولا بُدَّ أنْ يكون عندهم غَيْظ ولَدَد في الخصومة.

أما قوله تعالى: ﴿وكذلك يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤] فللعلماء فيه كلام: قالوا إنه من كلام بلقيس، وكأنه تذييل لكلامها السابق، لكن ماذا يضيف ﴿وكذلك يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤] بعد أن قالت: ﴿إِنَّ الملوك إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وجعلوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤].

فالرأي الصواب أن هذه العبارة من الحق سبحانه وتعالى ليُصدِّق على كلامها، وأنها أصابت في رأيها، فكذلك يفعل الملوك إذاً.

بعد أنْ ترك لها المستشارون الأمر والتدبير أخذتْ تُعمِل عقلها، وتستخدم فطنتها وخبرتها بحياة الملوك، فقالت: إنْ كان سليمان مَلِكاً فسوف يطمع في خيرنا، وإنْ كان نبياً فلن يهتم بشيء منه، فقررتْ أنْ تُرسل له هدية تناسب مكانته كملك ومكانتها هي أيضاً، لتثبت له أنها على جانب كبير من الثراء والغنى.

ولا بد أنها كانت ثمينة لتستميل الملك، أو كما نقول(تلوحه أو تلويه).

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المرسلون﴾ [النمل: ٣٥] فإنْ كان ملكاً قَبِلها، وعرفنا أن علاجه في بعض الخراج والأموال تُسَاق إليه كل عام، وإنْ كان نبياً فلن يقبل منها شيئاً، وهذا رَأْي جميل من بلقيس يدل على فِطْنتها وذكائها وحصافتها، حيث جنَّبتْ قومها ويلات الحرب والمواجهة.

أي: فلما جاء رسول بلقيس إلى سليمان بالهدية ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ آتَانِيَ الله خَيْرٌ مِّمَّآ آتَاكُمْ﴾ [النمل: ٣٦] فأيُّ هدية هذه، وأنا أملك مُلْكاً لا ينبغي لأحد من بعدي؟ ﴿بَلْ﴾ [النمل: ٣٦] يعني: اضرب عن الكلام السابق ﴿أَنتُمْ

بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦].

أضاف الهدية إليهم، لا إليه هو، والإضافة تأتي إما بمعنى اللام مثل: قلم زيد يعني لزيد، أو: بمعنى من مثل: إردب قمح يعني: من قمح، أو: بمعنى في مثل: مكر الليلَ يعني: في الليل.

فقوله: ﴿بِهَدِيَّتِكُمْ﴾ [النمل: ٣٦] إما أن يكون المراد: هدية لكم. أي: فأنتم تفرحون إنْ جاءتكم هدية من أحد، أو لأنني سأردُّها إليكم فتفرحوا بردِّها كمَنْ يقول (بركة يا جامع) أو: هدية منكم. أي: أنكم تفرحون إنْ أهديتم لي هدية فقبلتُها منكم.

فهذه معَانٍ ثلاثة لقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[النمل: ٣٦].

نذكر أن الملكة قالت: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المرسلون﴾ [النمل: ٣٥] فكأنه يستشعر نصَّ ما قالت، وينطق عن إشراقات النبوة فيه،

الملأ: أشراف القوم وسادتهم وأصحاب الرأي فيهم ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨] هنا أيضاً مظهر من إشراقات النبوة عند سليمان، فهو يعلم ما سيحدث عندهم حينما تعود إليهم هديتهم، وأنهم سيسارعون إلى الإسلام، فردُّ الهدية يعني أننا أصحاب كلمة ورسالة ومبدأ ندافع عنه لا أصحاب مصلحة.

والجن في القدرة والمهارة مثل الإنس، منهم القوى الماهر، ومنهم العَيِيّ الذي لا يجيد شيئاً. نقول (لبخة) وكلمة عفريت من تعفير التراب، وكانوا حينما يتسابقون في العَدُو بالخيل أو غيرها، فمَنْ يسبق منهم يُثير الغبار في وجه الآخر فيُعطلّه عن السَّبْق. فقالوا: عفريت يعني عفَّر من وراءه. أو: المعنى أنه يُعفِّر وجه مَنْ عارضه بالتراب فسُمِّي عفريتاً.

إذن: فالعفريت هو الخبيث الماكر من الجنّ، وصاحب القـوة الخارقـة فيهم، وهو الذي تعرَّض لهذه المهمة، وقال: ﴿أَنَا۠ آتِيكَ بِـهِ قَبْـلَ أَن تَقُـومَ مِـن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩].

وهذا كلام مُجْمل؛ لأن مقام سليمان بـين رعيتـه للحكـم أو الطـرف: الجِفْن الأعلى للعين.

تكلم العلماء في هذه الآيـة: أولاً: قـالوا ﴿الكتـاب﴾ [النمـل: ٤٠] يُـراد بـه اللوح المحفوظ، يُعلم الله تعالى بعض خَلْقه أسراراً من اللوح

قوله: ﴿نَكِّرُواْ﴾ [النمـل: ٤١] ضده عرِّفوا؛ لأنه جاء بالعرش على هيئته كمـا كان عندها في سبأ، ولو رأته عـلى حالتـه الأولى لقالـتْ هـو هـو، ولم يظهـر لـه ذكاؤها؛ لذلك قـال: ﴿نَكِّـرُواْ لَهَـا عَرْشَـهَا﴾ [النمـل: ٤١] يعنـي: غيّـروا بعـض معالمه، ومنه شخص متنكر حين يُغيِّر ملامحه وزيّه حتى لا يعرف مَنْ حوله.

﴿ نَنظُرْ أتهتدي أَمْ تَكُونُ مِنَ الذين لاَ يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١] تهتدي إيماناً إلى الإسلام، أو تهتدي عقلياً إلى الجواب في مسألة العرش"

***

# موعد لم يتم

في حوار للشيخ الشعراوي مع الأستاذ سعيد أبو العينين والذي ضمنه كتاب " الشعراوي الذي لا نعرفه " يكشف الشيخ الشعراوي عن سر لا يعرفه أحد. فلندع الشيخ بنفسه يخبرنا عن هذا السر:

يقول الشيخ:

" وجيه أباظة، رحمه الله وغفر له. كان يربطني به ود كبير. وبوده هذا قربني من شعراوي جمعة وزير الداخلية في آخر سنة من سنوات حكم عبد الناصر.. السنة التي مات فيها عبد الناصر اتصل بي وجيه أباظة.والتقينا وذهبنا إلى شعراوي جمعة.وجلسنا نتكلم. وفوجئت بشعراوي جمعة يقول لي:

" يا شيخ شعراوي إحنا اخترناك علشان تتولي مسئولية " أمانة الفكر " بالاتحاد الاشتراكي". كان هذا الكلام مفاجئا لي.

وحاولت الاعتذار.والابتعاد عن هذا الموضوع.

لكنه قال: إحنا اخترناك خلاص.

وتدخل وجيه أباظة وقال. على العموم نتكلم في هذا الموضوع بعد يومين..وأمامك فرصة للتفكير. وبعد يومين ألتقينا نحن الثلاثة. وفوجئت بشعراوي جمعة يقول لي:

يا شيخ شعراوي حتقابل " الريس " الأسبوع القادم! والريس سيتكلم معك في الموضوع اللي اخترناك له.وموضوع " أمانة الفكر " بالاتحاد الاشتراكي. وسوف نبلغك بعد يومين بموعد اللقاء.

قلت: ده أنا جاي علشان أعتذر.

قال: الموضوع أصبح منتهيا.والريس عنده فكرة.

وتدخل وجيه أباظة وقال:

"خلاص يا شيخ شعراوي..مقابلة" الريس الأسبوع اللي جاي.

قلت: سألتكم بالله. من الذي اختارني لهذا العمل؟ ومن الذي رشحني لتولي " أمانة الفكر " بالاتحاد الاشتراكي؟

قال شعراوي جمعة: بعدين حتعرف من الذي اختارك.

وقال وجيه أباظة:بعدين يا شيخ شعراوي المهم دلوقت مقابلة " الريس "!

وقال الشيخ الشعراوي: وهكذا وجدت نفسي في " مطب " على الرغم مني! ودعوت الله أن يخلصني من هذا المطب. وهذا المأزق مالي أنا والاتحاد الاشتراكي؟!

ما لي أنا و " أمانة الفكر " هذه التي يتكلمون عنها؟!

بل مالي أنا وجمال عبد الناصر؟!

لقد وضعوني في مأزق. فكيف الخروج من هذا المأزق!

وقال الشيخ: اتصل بي شعراوي جمعة بعد ذلك وقال لي:

المقابلة مع " الريس يوم الثلاثاء القادم! أي بعد يومين. فاليوم هو السبت.

وقلت: حاضر. إن شاء الله.

وقال الشيخ: وشاء الله ألاّ تتم المقابلة في الموعد الذي حددوه!

وقالوا: المقابلة تأجلت.وسوف يتم تحديد موعد آخر.

كان سبب التأجيل العقيد معمر ألقذافي الذي جاء فجأة في نفس اليوم المحدد للمقابلة. والتقى بعبد الناصر في" برج العرب".

واتصل بي شعراوي جمعة وقال:

يا شيخ شعراوي. الموعد الجديد للمقابلة مع " الريس يوم الثلاثاء القادم.

قلت: حاضر. إن شاء الله.

لكن الله شاء ألا تتم المقابلة في هذا الموعد.ونشرت إعلانا عن الوفاة في الصحف. ولم يكن هذا من عادتي.لكني وجدتها مبررا للتأجيل!

واتصلت بوجيه أباظة وشعراوي جمعة وقلت لهما إن " عمتي " ماتت. وإنني نشرت عن وفاتها إعلانا في الصحف.وإنني أرجو تأجيل الموعد.

فقال شعراوي جمعة: وإيه يعني " عمتك " يا شيخ شعراوي؟!

قلت: أنت عارف إن إحنا ناس فلاحين. ولازم أكون موجود وأقف آخذ العزاء.و أشكر الناس اللي جايين يقوموا بالواجب!

وقال: على العموم سأتصل بك بعد ساعة وأقول لك إيه اللي حيحصل.

قلت: إن شاء الله.

واتصل بعد ساعة وقال:

موعد مقابلة " الريس " تأجل للأسبوع القادم.

وحدد لي يوم الأثنين.

وشكرته وقلت: إن شاء الله.

لكن الله شاء ألا تتم المقابلة في الموعد الجديد أيضاً.

كانت الأحداث قد تطورت.

وكانت الدعوة لاجتماع قمة عربية عاجلة في القاهرة قد أعلنت. واتصل بي شعراوي جمعة. وقال:

يا شيخ شعراوي. موعد المقابلة مع " الزعيم عبد الناصر " تأجل إلى يوم الاثنين التالي لاجتماع القمة!

قلت: إن شاء الله.

لكن الله شاء ألا تتم المقابلة مع " الزعيم عبد الناصر " في الموعد الجديد الذي حددوه بعد انتهاء اجتماعات القمة!

كنت وقتها مريضا. وكنت قد سافرت إلى بلدنا دقادوس. وفوجئت بابني عبد الرحيم يدخل إلى غرفتي. ويقول لي وأنا في " السرير ". التلفزيون قطع البرنامج العادي.و أخذ يذيع القرآن.

وقمت من السرير.وذهبت للصالة.وجلست أمام التليفزيون وطلع أنور السادات.وأعلن خبر وفاة عبد الناصر. وهكذا شاء الله ألا يكون هناك لقاء مع عبد الناصر. وبعدها سافرت إلى الجزائر باعتباري رئيس بعثة الأزهر للتعريب.

*****

## الشعراوي والسادات

لم يكن الشيخ الشعراوي بعيدا عن الأحداث أو صناع القرار. فهو لم يسعى إليهم بل هم الذين كانوا يسعون إليه. "فنحن نحسبه والله حسبه ولا نزكي على الله أحداً" من العلماء الربّانيين. فلم يكن من أولئك الذين يتملقون الحكام كي يحصلوا على الحظوة أو النفوذ. فالرجل عاش حياته للدعوة في سبيل الله ولم يكن منْ طلاب الدنيا. وكان لشيخنا مع الرئيس الراحل أنور السادات حكايات كثيرة ففي عصره عيّن الشيخ " وزيراً للأوقاف " وحدثت بينهم أموراً وأيضاً خلافات. فلندع شيخنا رحمه الله يروي لنا بنفسه من معين ذكرياته عن تلك الفترة:

قال الشيخ:

" أنا ألتقيت بأنور السادات لأول مرة وهو في الظل! كان وقتها نائبا للرئيس عبد الناصر. والسادات. كما نعرف. مرت عليه عهود. مرة يكون فيها في الشمس المتوهجة.ومرة يكون في الظل الظليل!

قابلته في بيت صديقه وصديقي الدكتور محمود جامع أطال الله حياته.والدكتور جامع طبيب أمراض جلدية.

وكان عضوا لامعا من الأخوان المسلمين..وربما كان هذا هو السبب في الالتقاء الأول بين الدكتور محمود جامع وأنور السادات. ومحمود جامع يتميز بأنه إنسان وفّي جدا لمعارفه وأصدقائه وعندما كان السادات في أشد أزماته مع الحكم كان هو قريبا من السادات. وكان حضور السادات لزيارة الدكتور جامع يعني أنه قد أصبح في الظل. أي خارج دائرة الحكم والسلطة والجاه والأضواء!

ويذكر الدكتور جامع أنه احتضن فيما مضى أهل الكثيرين من الإخوان المسلمين وأولادهم أيام الشدة. وقدم لهم المساعداتِ إلى أن تخرج الأولاد في الجامعات.

كان السادات يزور الدكتور جامع كما قلت. وكان وجيه أباظة صديق الدكتور جامع أيضاً. وكان يزوره.

وكنا نلتقي نحن الثلاثة أحيانا في زيارة الدكتور جامع.

وقال الشيخ: كان أولاد الدكتور جامع وهم صغار يضحكون ويلعبون حول السادات. ويركبون على كتفه! وكان الولد خالد يشير بإصبعه إلى "زبيبة " الصلاة في جبهة السادات ويسأله " إيه دي "!

وكان السادات يضحك. وكنا نحن نضحك أيضا على لعب العيال!

ويضيف الشيخ قائلاً: " لم يكن السادات يتحدث كثيرا عندما رأيته أول مرة في بيت الدكتور محمود جامع. كان يستمع.

ولا أذكر أنني ألتقيت به بعد ذلك. إلى أن أصبح رئيسا للجمهورية وحتى بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية لم أكن ألتقي به.ولم أكن قريبا منه. إلى أن اختارني وزيرا للأوقاف!

وقال الشيخ: لكنني قمت بمهمة بعد أن تولي السادات الرئاسة.

**الشعراوي والسادات والعلاقات مع السعودية:**

يقول الشيخ: " كانت العلاقات مقطوعة بين مصر والسعودية بسبب الخلاف الذي كان قائما بين عبد الناصر والسعودية. وكانت البعثة التعليمية الأزهرية التي تعمل في السعودية والتي كنت أتولى رئاستها قد سحبت عند الخلاف وقطع العلاقات.

ومع تولي السادات للرئاسة أراد أن يعمل على تنقية الأجواء مع السعودية وإزالة الجفوة بين البلدين الشقيقين تمهيدا لإعادة العلاقات الطبيعية بينهما.

ويسأل السادات: فين الشعراوي؟

فقالوا له: في الجزائر.. إنه يتولى رئاسة البعثة الأزهرية التي ذهبت إلى هناك للقيام بمهمة " التعريب " الذي أتجهت إليه الجزائر بعد الاستقلال ليعود لها " لسانها العربي " الذي تواري في ظل الاستعمار الفرنسي حتى أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة الكلام!

فقال السادات: هاتوه. هاتوا الشعراوي من الجزائر وقولوا له يطلع على السعودية. ويمهد لعودة البعثة التعليمية الأزهرية للسعودية. كخطوة أولى في تنقية الأجواء وإزالة الجفوة وإعادة العلاقات بين البلدين الشقيقين.

وقال الشيخ الشعراوي: لقد اتصل بي السفير المصري في الجزائر. وأبلغني بالمهمة التي كلفت بها من جانب الرئيس السادات وفعلا سافرت فورا إلى السعودية. وقابلت الأخوة هناك، وتكلمنا وعادت البعثة الأزهرية إلى السعودية وعدت معها رئيسا لها. كما عدت أستاذا بكلية الشريعة في مكة المكرمة.

وكانت عودة البعثة الأزهرية إلى السعودية هي بداية تنقية الأجواء وإزالة الجفوة وإعادة العلاقات الطبيعية إلى ما كانت عليه بين البلدين الشقيقين.

*****

## الشعراوي وزيراً للأوقاف:

تولى الشيخ الشعراوي وزارة الأوقاف في عصر السادات ، فعن توليه الوزارة والظروف التي تولى فيها الشيخ هذا المنصب والذي كان هو نفسه يعده محنة وليست منحة. قال الشيخ عن هذه الفترة في حواره الممتع مع الأستاذ سعيد أبو العينين:

" وأسأل الشيخ: لماذا؟ لقد عشت تجربة الوزارة وجلست على كرسي الوزير. وخضت معارك سياسية وغير سياسية خلال وجودك في هذا المنصب الذي استمر عامين إلا قليلا – إلا ٢٨ يوم -!

قال الشيخ: " نعم. كانت تجربة مثيرة وكانت معاركي فيها كثيرة وعلى عدة جبهات. لكنني حين أنظر إليها الآن وأتأمل ما جرى أقول: أنها كانت أسوأ ما في حياتي!

ويسكت الشيخ لحظات ثم يقول: نعم كانت أسوأ تجربة في حياتي. يوم أصبحت وزيرا!ويضيف معبرا عن ضيقه: " أوف "

قلت: ولماذا لم تتركها يا مولانا؟

قال: حاولت كثيرا.ولكن الأمر لم يكن بيدي!

لقد قلت لممدوح سالم رئيس الحكومة مرارا وتكرارا: اعتقني لوجه الله فكان رحمه الله يقول ضاحكاً: سوف نخرج منها معا إن شاء الله! وشاء الله أن نخرج معاً.

ويضيف وهو يضحك من قلبه: اعتقنا يوم "ما رفدونا " وكان هذا من فضل الله علينا.!

ويضيف الشيخ قائلاً:

" الشيخ عبد المنعم النمر رحمه الله كان زميلا وصديقا من أيام ما كنـا في الأزهر.. وقد تولى هو الآخر وزارة الأوقاف في مرحلة تالية من بعدي.

كان الشيخ النمر بعد خروجه من الوزارة يقول لي ضاحكاً:

أنت حتفضل طول عمرك " فلحوس"؟!

وكنت أقول له: ليه يا وله؟

فيقول: كلنـا كنـا وزراء أوقـاف. وكلنـا بنكتـب أسـماءنا ألآن ونقـول: "وزير الأوقاف السابق. أو الأسبق" أما أنـت فعمـرك مـا فعلتهـا! عمـرك مـا كتبت إلى جانب اسمك" وزير الأوقاف السابق أو الأسـبق" ليـه بقـى؟. عـالم نفسك " فلحوس"؟!

وكنت أضحك وأقول له: أولا أنا كنـت وزيـرا "لـوزارتين ". الأوقـاف وشئون الأزهر. أما أنت ومـن جـاء بعـدك فكنـتم وزراء لـوزارة واحـدة هـي الأوقاف! يعنـي أنـا كنـت أحـسن مـنكم. أنـا " اترفـدت "بـوزارتين! وأنـتم "اترفدتم " بوزارة واحدة!

وكنت أقول أحيانا عندما نكون وسط جمع بين الأصدقاء:

. أنا باستحي أقول أو أكتب " الوزير السابق" أو "الوزير الأسـبق لأننـي أعتبر نفسي فشلت فيها! فهي بالنسبة لي " عيب " أحرص على أن " أستره " في نفسي! أما أنت وغيرك فمن الجـائز تكونـوا قـد نجحـتم في الـوزارة وعملـتم حاجة "كويسة " تجعلكم تتفاخورن بانتسابكم إليها. سابق وكنا نضحك.

*****

**الظروف التي أحاطت بتولي الوزارة كما رواها الشيط نفسه:**

" كنت وقتها أعمل أستاذا بكلية الشريعة في مكة المكرمة. فاتصل بي السفير المصري في السعودية تليفونيا وقال لي " طالبينك في مصر "

وأذكر أن الاتصال كان مساء يوم الأحد. وكنت لحظتها ألقي محاضرة على طلبة الكلية.

سألته: من الذي يطلبني؟

قال: الرياسة! تعال إلى مكتبي. وسوف يحدثونك في التليفون.

ورحت على السفارة في جدة.

وقابلت السفير المصري وكان اسمه أحمد ثابت.

وجلست في مكتبه في انتظار المكالمة التليفونية من القاهرة. وجاءت المكالمة.. وكان المتحدث هو ممدوح سالم الذي كان يقوم بتشكيل الوزارة الجديدة.

قال لي ممدوح سالم: أنهم اختاروني لوزارة الأوقاف.

فحاولت أن أعتذر عن عدم قبولي للوزارة شاكرا لهم تفضلهم باختياري. وتكلمنا طويلا. وشرحت له ظروفي. وقلت له: إنني غريب عن مصر منذ ٢٦ عاما وليس لي جلد على مثل هذا العمل. فرد بعبارات طيبة مشجعا لي على قبول تولي الوزارة للنهوض بها وبرسالتها السامية.

فقلت له موضحا الأسباب التي تجعلني لا أقبل عملا في ظل ظروف وأوضاع تحول دون تحقيق ما هو مطلوب لإنجاز تلك لمهمة السامية التي يتكلم عنها.

وقلت: هناك قانون للأزهر.وكان هناك وزيـران. وزيـر للأزهـر ووزيـر للأوقاف.

ومثل هذا الوضع المزدوج لا يـستقيم معـه العمـل لا في الأزهـر ولا في الأوقاف. وهناك أشياء كثيرة في حاجة إلى تصحيح.

فقال: تعال واكتب المذكرة التي تريـدها في هـذا الخـصوص لتـصحيح الوضع كما تراه. وأعاهدك بأنني سوف أدافع عن وجهة نظرك وأقف جانبك.

فقلت له: حاضر يا سيدي.

ويمضي الشيخ في روايته فيقول: لم تكن الأمور قد استقرت في نفسي، أو حسمت بالرفض أو القبول. وأخذت أفكر في هـذا الموضـوع الجديـد الـذي وجدتني فيه دون مقدمات.

وكان معي في السعودية ابني سامي وهو أكبر أبنائي.

فسألته: ماذا ترى؟ ما رأيك يا ابني؟

فقال: صحيح إنك غريب عن مصر منذ ٢٦ سنة. ومواقفك معروفة مـع جمال عبد الناصر. فإذا ما جاء السادات وترك كـل مـن يعرفـه في مـصر وأخـذ يسأل عن رجل يعمل في مكة. فمن الجائز أنه يريد أن يعمل تغييرا وأن في ذهنه شيئا. فتوكل على الله.

واسترحت لكلام سامي ابني.

وأخذت جواز السفر ورحت لعميد الكلية وقلت لـه أريـد أن تعمـل لي تأشيرة خروج وعودة في أسرع وقت.وفعلا عملها.وسافرت إلى القاهرة.

سافرت بتذكرة من فلوسي أنا ورفضت التذكرة التـي قـدمها لي الـسفير

وفي المطار قابلني بعض من أصدقائي..وكانوا فريقين.

فريق يقول: " لا " لا تقبل الوزارة. وهذا الفريق كان على رأسه الصديق الدكتور سيد جلال.

وأخذ هذا الفريق يعدد لي المتاعب والصعاب التي سأواجهها والتي ستشغلني عن أي عمل مفيد.

أما الفريق الآخر فكان يرى أنها تجربة يجب أن أخوضها لعل فيها الخير لخدمة الوطن والرسالة. وكان هذا الفريق يؤيد وجهة نظر ابني سامي وهي أن أقبل.

وقلت: سوف أستخير الله الليلة.

واستخارت الله فوجدتني أقابل ممدوح سالم!

سؤال: عفوا فضيلة الشيخ ، كيف استخرت الله؟

قال الشيخ: قلت دعاء الاستخارة. قلت: " اللهم إني أستخيرك بعلمك " وأستقدرك بقدرتك. وأسألك من عظيم فضلك. فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم و أنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله ، فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله ، فاصرفه عن واصرفني عنه. واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ".

هذا هو دعاء الاستخارة.

وقد قلت هذا الدعاء بعد أن قمت بصلاة ركعتين ثم نمت.

ويعود الشيخ إلى سياق الحديث ويقول: ذهبت لمقابلة ممدوح سالم. وقابلته. وتحدثت معه طويلا. واتفقنا على المذكرة التي سأكتبها بخصوص إصلاح الأوضاع والعلاقة ما بين الأزهر والأوقاف، ومنصب شيخ الأزهر. ووعدني ممدوح سالم بأنه سوف يؤيدني في كل ما أراه ،وسوف يرفع المذكرة للرياسة ويعمل على الاستجابة لها.

وفي نهاية المقابلة قال لي ممدوح سالم: غدا إن شاء الله موعدك مع الرئيس من أجل " حلف اليمين ".وسوف أرسل لك سيارتي لتوصلك إلى القصر الجمهوري.

وفي اليوم التالي جاءني سائق ممدوح سالم بسيارته وأخذني القصر. وحلفت اليمين.

كان اليمين مكتوبا في ورقة. وأقسمت بما كتب فيها ثم أضفت كلمة في نهاية القسم من عندي. وهي: " إن شاء الله "؟ وقد قلتها وأنا أطوي الورقة وأضعها في جيبي. فضحك السادات!

وأدركت أنه سعد بسماع هذه الكلمة عملا بالآية الكريمة " " ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ".

لكنهم حذفوا كلمة "إن شاء الله " في الإذاعة وفي التليفزيون "!

وأضاف الشيخ: " إنه لم يذهب إلى الوزارة في اليوم التالي لحلف اليمين وإنما بعد عشرة أيام.

وكان المهندس عبد العظيم أبو العطا وزير الري وقتها قد جاءها في بيته في اليوم العاشر يستفسر عن عدم ذهابه إلى الوزارة وقال له: إنه موفد إليه بهذا الخصوص من قبل ممدوح سالم رئيس الوزراء. فقال له الشيخ الشعراوي: إنه

أمضى هذه الأيام يفكر في أحوال الوزارة. وفي دراسة أوضاعها. وإنه سيذهب إلى مكتبه في اليوم التالي.

وفي اليوم التالي دخل "الوزير الجديد " الشيخ الشعراوي إلى مكتبه بوزارة الأوقاف لأول مرة!.

*****

## تجربة الوزارة وأحوالها:

لم يكن دخول الوزارة إلا بداية لمجموعة من الأحداث المثيرة والمرهقة للشيخ ولنسمع من الشيخ نفسه عن هذه التجربة فقال رحمه الله:

" كتبت المذكرة التي اتفقت بشأنها مع ممدوح سالم. رئيس الوزراء وقدمتها له. ورفعها إلى الرئيس السادات. وانتظرت. وأخذت أعمل في ظروف بالغة الصعوبة. وأخيرا قررت الاستقالة. وقابلت ممدوح سالم. وقلت له: الاتفاق الذي جئت على أساسه لم يتحقق. والمذكرة التي كتبتها لك ورفعتها أنت إلى الرياسة لم تلق استجابة حتى ألآن وأنا أريد أن أستقيل.

وابتسم ممدوح سالم رحمه الله وقال: اصبر يا شخ شعراوي ، وعندما وجد مني إلحاحا وتكرارا لمطلبي في الاستقالة قال: في العهود الثورية لا يسمح للوزير بأن يستقيل!

فقلت: يعني لازم " يترفس "؟!

قال: اصبر شويه. وسوف نحاول الكلام في موضوع المذكرة التي كتبتها. وسوف نتعاون معا في حل الصعوبات التي تواجهها.

وقال الشيخ الشعراوي: " من الأوضاع الغريبة والعجيبة أنهم بعد الثورة أصدروا قانونا جديدا أسموه قانون تطوير الأزهر. وهو القانون ١٠٣ الذي صدر ١٩٦١ . والذي أقره مجلس الأمة في ليلة واحدة دون أن يأخذوا رأي الأزهر فيه! وجعلوا لشيخ الأزهر " هيمنة شكلية فقط " فلم يعد باستطاعته أن يعين "فراشا "! كل شيء في الأزهر كان يتبع "وزير شئون الأزهر ". وكان شيخ الأزهر لا يستطيع أن ينفذ قرارا إلا إذا اعتمده الوزير! وكان ذلك من الأوضاع المؤسفة التي حاولت أصلاحها وتناولتها في المذكرة التي كتبتها.

وأضاف الشيخ: عندما توليت وزارة الأوقاف وشئون الأزهر. كان الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله هو شيخ الأزهر. وكنت أحبه وأقدره وأجله لعلمه وخلقه. وكنت لا أقبل ولا أسمح لنفسي أن يرسل لي بالقرارات التي يريد تنفيذها لكي أوقعها باعتباري! حسب ما تقوله اللائحة!

# من هو الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله وما هو تاريخه؟

" شيخ الإسلام وشيخ الجامع الأزهر الشيخ عبد الحليم محمود.

**الاسم والنسب:**

عبد الحليم محمود، وينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما.

**المولد والنشأة:**

*وُلد الشيخ عبد الحليم محمود في قرية «أبو أحمد» من قرى مدينة «بلبيس»، بمحافظة الشرقية، في الثاني من جمادى الأولى، سنة ١٣٢٨هـ، الموافق الثاني عشر من مايو سنة ١٩١٠م، والقرية منسوبة إلى جده (أبي أحمد) الذي أنشأ القريةَ وأصلحها، وتُسمَّى الآن باسم (السلام)

*نشأ الشيخ الإمام في أسرة كريمة شريفة ميسورة، مشهورة بالصلاح والتقوى، وكان والده - رحمه الله - صاحب دينٍ وخلقٍ وعلم، ذا همةٍ عاليةٍ وثقافة، وكان ممن شغفوا بالثقافة الدينية وحلقات الأزهر العلمية، فدرس في الأزهر فترة طويلة، حضر فيها على كبار الأساتذة آنذاك، منهم: الشيخ محمد عبده، مما كان له الأثر في توجيه ابنه للدراسة بالأزهر.

**مسيرته العلمية:**

*حفظ الشيخ القرآن الكريم في سِنٍّ مبكرة، مِمَّا أثار إعجاب مُحفِّظه وأهل قريته.

*دخل الشيخ عبد الحليم الأزهر سنة ١٩٢٣م، وظل به عامين ينتقل

بين حلقاته، حتى تم افتتاح معهدْ (الزقازيق) سنة ١٩٢٥م، فألحقه والـده بـه؛ لقربه من قريته، ثـم التحـق بعـدها بمعهـد المعلمـين المـسائي، فجمـع بـين الدراستين، ونجح في المعهدين، ثم عُيِّن مُدَرِّسًا، ولكـن والـده آثـر أن يكمـل الشيخ عبد الحليم دراسته.

*تقدم الشيخ لامتحـان إتمـام الـشهادة الثانويـة الأزهريـة فنالهـا عـام ١٩٢٨م في سنة واحدة؛ حيث يقول هو عن ذلك: «فلما نقلت إلى السنة الأولى من القسم الثانوي، رأيت أن الوقت فيها بالنسبة لي ضائع أو شبه ضائع؛ لأن ما لدي من علوم ومعرفة تتخطى حدود المقـرارات في هـذه الـسنة ومـا يليهـا.. وكانت نُظُم الأزهر –حينذاك - تبيح للطالب بالسنة الأولى الثانوية، أن يتقـدم مباشرة لامتحان الشهادة الثانوية الأزهرية مـن الخـارج.. ونجحـت وأرضـى ذلك آمال والدي وشعوره نحوي، والحمد لله.»

استكمل الشيخ الإمام دراسته العليا، فنال العَالِمية سنة ١٩٣٢م.

***السفر إلى فرنسا:**

كان والده –عليه رحمـة الله - يحـب أن يـرى ابنـه الـشيخ عبـد الحلـيم مُدَرِّسًا بالأزهر؛ لكنه فوجئ برغبة الشيخ المُلِحَّة في السفر إلى فرنـسا؛ لإتمـام الدراسة في جامعاتها، وذلك على نفقته الخاصة، وأخذ يحاول أن يثنـي الـشيخ عن رأيه بشتى الوسائل، ولكن محاولاته لم تفلح.

وآثر الـشيخُ عبـد الحلـيم أن يَـدْرس تـاريخَ الأديـان والفلـسفة وعلـم الاجتماع وعلم النفس.

* وفي سنة ١٩٣٨م التحق بالبعثة الأزهرية، التي كانـت تَـدْرس هنـاك، وقد تم له النجاح فيما اختاره من علومٍ لعمل دراسة الدكتوراه.

في البداية فكر الشيخ رحمه الله أن تكون رسالته في مجال يتصل بـ «فن الجمال» لكنه رفض الموضوع، ففكر ثانيًا في أن تكون في مجال يتصل بـ «مناهج البحث» فرفض أيضًا، وبعد تجارِب هنا وهناك في مجالات مختلفة من الموضوعات، وبعد تردد في هذا الموضوع أو ذاك، هداه الله إلى موضوع «التصوف الإسلامي» ولم يكن هذا مصادفة، وإنما هي الهداية والتوفيق من الله سبحانه وتعالى، وكان موضوعها: «أستاذ السائرين: الحارث بن أسد المحاسبي»، وفي أثناء إعداد الرسالة قامت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر سنة ١٩٣٩م، وآثر كثير من زملائه العودة، ولكنه بالإيمان القوي والعزيمة الصلبة أصرَّ على إتمام الرسالة، وكان له ما أراد.

*نال درجة «الدكتوراه» بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى، وقررت الجامعة طبعها بالفرنسية يوم ٨ من يونيه سنة ١٩٤٠م.

**مسيرة الشيط العملية:**

*بدأ الشيخ الإمام حياته العملية مُدَرِّسًا لعلم النفس بكلية اللغة العربية، ثم نقل أستاذًا للفلسفة بكلية «أصول الدين» سنة ١٩٥١م، ثم عميدًا للكلية سنة ١٩٦٤م، وعين عضوًا بمَجمع البحوث الإسلامية، ثم أمينًا عامًّا له، وبدأ عمله بدراسة أهداف المَجمع، وكوَّن الجهاز الفني والإداري من خيار موظفي الأزهر، ونظَّمه خيرَ تنظيم، وأنشأ المكتبةَ به على أعلى مستوًى من الجودة، وبعدها أقنع المسئولين في الدولة بتخصيص قطعة أرض بحي «مدينة نصر» لتخصيصها للمَجمع؛ لتضم جميع أجهزته العلمية والإدارية، إلى جانب قاعات فسيحة للاجتماعات؛ فكان هو أولَ من وضع لبنات مجمع البحوث الإسلامية، كما اهتم بتنظيمه، وواصل الشيخ عبد الحليم محمود اهتمامه بالمجمع بعد تعيينه وكيلًا للأزهر، ثم وزيرًا للأوقاف وشئون

الأزهر، ثم شيخًا للأزهر.

في سنة ١٩٧٠م صدر قرار جمهوري بتعيينه وكيلًا للأزهر؛ فازدادت أعباؤه، واتسعت مجالات جهوده، فراعى النهضة المباركة في مجمع البحوث، وبدأ يلقي محاضراته في كلية أصول الدين، ومعهد الدراسات العربية والإسلامية، ومعهد تدريب الأئمة، إلى جانب محاضراته العامة في الجمعيات والأندية الكبرى، بالقاهرة وغيرها من الأقاليم، وكان مع هذا كله يوالي كتابة الدراسات والمقالات في كبرى المجلات الإسلامية، ويواصل الدراسات ويصنف المؤلفات القيِّمة، ويشرف على رسائل الدكتوراه، ويشارك في المؤتمرات والندوات العلمية، وامتد نشاطه إلى العالم الإسلامي كله بنفس الهمة والنشاط.

**قال عن شيوخه:**

-الإمام الأكبر: محمود شلتوت:

عالم، مفكر، قوي الحجة، متحدث لبق.

-الشيخ حامد محيسن:

عالم، مستقل التفكير، لا يعرف التقليد في رأي، ولا يسوق الرأيَ دون برهان.

-الشيخ سليمان نوار:

أديب، طاهر القلب، له ذوق في البلاغة راق.

-الدكتور محمد عبد الله دراز:

يمثل الاتزان المتزن، والخلق الكريم، ثَقَّف نفسه كأحسن ما تكون

الثقافة، آراؤه موفقة، يتدفق في البيان عذبًا شهيًّا لا يمل.

-الشيخ محمد عبد اللطيف دراز:

ثائر مناضل، خطيب ممتاز، لا يسأم من مساعدة الآخرين، ولا يتواني عن السعي في مصالح الضعفاء، حديثه ممتع، وفي أسلوبه عذوبة.

-الشيخ الزنكلوني:

على قمة اللامعين من رجال الأزهر، عالم من كبار العلماء، فيه جرأة نادرة، وله في الثورات سهم، وله في المشاورات السياسية سهم كذلك، أما في النضال العلمي فله أسهم مرموقة، وكان يعتبر نفسه أبًا لكل من سَمَتْ به آمالُه، وارتفع به طموحُه عن مرتبة المعاون، يأخذ بيده، ويعاونه، ويدفع عنه مكر الماكرين.

-الإمام الأكبر: الشيخ محمد مصطفي المراغي:

عالِم، ذكي، ذو شخصية جارفة، مهيب، صاحب رأي في العلم، وصاحب رأي في السياسة، بليغ الأسلوب، أما صوته في الخطابة وفي الدرس، فإنه نغمةٌ موسيقية عذبة، ولعل الإذاعة تتنبه إلى ذلك فتعيد إذاعة ما عندها من خطبه وأحاديثه، بين الحين والحين، لينعم الناس بنعمة جميلة، ويستفيدوا علمًا غزيرًا.

-الإمام الأكبر: الشيخ مصطفي عبد الرزاق:

عالم، فيلسوف، حيي، حليم، كريم بماله ووقته لطلبة العلم، خرَّج جيلًا من النابهين في الجامعة، وأسهم في الحركة العلمية بجهود عظيمة؛ ألَّف، وحاضر، وكتب المقالات، ووجَّه تلاميذه إلى التحقيق، والتأليف، والترجمة، وفتح مكتبته الغنية بشتى الكتب، ونوادرها، لكل طالب علم مجدّ.

مؤلفاته:

اتسم الإمام الأكبر بغزارة إنتاجه الفكري الذي يربو على مائة كتاب، تأليفًا وتحقيقًا وترجمة، وكان أول ما نُشر له: قصة ترجمها عن الفرنسية، من تأليف أندريه موروا، عام ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، ثم تتابعت مؤلفاته الغزيرة في كثير من المجالات، وبخاصَّة في مجال «التصوف» الذي يُعَدُّ من أسبق رواده في العصر الحديث، فقد تبدى مثالًا للصوفية المُقَيَّدةِ بكتاب الله، البعيدة عن الإفراط والتفريط، حتى لُقِّبَ بـ«غزالي مصر»، و«أبي المتصوفين»، فكانت كتاباته الصوفية لها الحظ الأوفر من مؤلفاته؛ فكَتَبَ «قضية التصوف: المنقذ من الضلال» والذي عرض فيه لنشأة التصوف، وعلاقته بالمعرفة وبالشريعة، وتعرض بالشرح والتحليل لمنهج الإمام الغزالي في التصوف، كما ترجم لعشرات الأعلام الصوفيين، مثل: سفيان الثوري، وأبي الحسن الشاذلي، وأبي مدين الغوث.. وغيرهم الكثير.

كما كتب في الفلسفة الإسلامية، ويعد كتابه: «التفكير الفلسفي في الإسلام» من أهم المراجع التي تتناول علم الفلسفة من منظور إسلامي؛ حيث يؤرخ فيه للفكر الفلسفي في الإسلام، ويستعرض التيارات المذهبية المتعددة فيه؛ ليبين أصالة الفلسفة الإسلامية، وسَبْقَها الفلسفة الغربية في كثير من طرق التفكير.

كما تعرَّض للغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام في عدة كتب، مثل: «الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام» و«فتاوى عن الشيوعية.«

كما ظهر اهتمامه بالسنة النبوية فكتب العديد من الكتب عن الرسول ﷺ وسنته، ويعد كتابه «السنة في مكانتها وتاريخها» من أهم كتبه في هذا المجال، كما كتب عن دلائل النبوة ومعجزات الرسول ﷺ.

واستعرض الإمام سيرته الذاتية في كتابه «الحمد لله، هذه حياتي» والـذي جاء خلاصة لأفكاره ومنهجه في الإصلاح أكثرَ منه استعراضًا لمسيرة حياتـه، وعَبَّر عـن منهجـه التفـصيلي في الإصـلاح في كتابـه القـيم: «مـنهج الإصـلاح الإسلامي في المجتمع.«

كما قام بتحقيق الكثير من أمهات الكتب مثـل: «لطـائف المـنن» لابـن عطاء الله السكندري، و«اللمع» لأبي نـصر الـسراج الطوسـي، و«المنقـذ مـن الضلال» لحجة الإسلام الغزالي.. وغيرها.

وتـرجم العديـد مـن الكتـب في الفلـسفة اليونانيـة والأخـلاق، مثـل: «الفلسفة اليونانية أصـولها وتطورهـا» لألبيـر ريفـو، و«الأخـلاق في الفلـسفة الحديثة» لأندريه كريسون.

مشيخة الأزهر:

تولى الشيخ عبد الحليم محمود مشيخة الأزهر في ظروف بالغة الحـرج، وذلك بعد مرور أكثر من ١٠ سنوات على صدور قـانون الأزهـر سـنة١٩٦١م الــذي توسـع في التعلـيم المـدني ومعاهــده العليـا، وألغـى جماعـة كبـار العلماء،وقلص سلطات شيخ الأزهـر، وغـلّ يـده في إدارة شـئونه، وأعطاهـا لوزير الأوقاف وشئون الأزهـر، فقـد صـدر قـرار تعيـين الـشيخ الإمـام عبـد الحليم محمود شَيْخًا للأزهر في ٢٧ من مارس عام ١٩٧٣م، وقـد باشـر فيـه السعي لتحقيق أهدافه العلمية السامية، التي بدأها وهـو أسـتاذ بكليـة أصـول الدين، ثم وهو أمين عام لمجمع البحوث الإسلامية، ثم وهو وكيـل للأزهـر، ثم وهو وزير للأوقاف وشئون الأزهر.

*تولى الشيخ عبد الحليم محمود مشيخة الأزهر في وقـت اشـتدت فيـه الحاجة لإقامة قاعدة عريضة من المعاهد الدينية التي تقلص عددها وعجـزت

عن إمداد جامعة الأزهر بكلياتها العشرين بأعداد كافية من الطلاب، وهو الأمر الذي جعل جامعة الأزهر تستقبل أعدادا كبيرة من حملة الثانوية العامة بالمدارس، وهم لا يتزودون بثقافة دينية وعربية تؤهلهم أن يكونوا حماة الإسلام.

وأدرك الشيخ خطورة هذا الموقف فجاب القرى والمدن يدعو الناس للتبرع لإنشاء المعاهد الدينية، فلبى الناس دعوته وأقبلوا عليه متبرعين، ولم تكن ميزانية الأزهر تسمح بتحقيق آمال الشيخ في التوسع في التعليم الأزهري، فكفاه الناس مئونة ذلك، وكان لصلاته العميقة بالحكام وذوي النفوذ والتأثير وثقة الناس فيه أثر في تحقيق ما يصبو إليه، فزادت المعاهد في عهده على نحو لم يعرفه الأزهر من قبل.

*صدر قرار جمهوري كان قد استصدره وزير شئون الأزهر، كاد يسلب به من الشيخ كل سلطةٍ، ويجرِّده من البقية الباقية من نفوذه، فغضب الشيخ الإمام عبد الحليم محمود، لا لنفسه، وإنما غضب للأزهر، ولمكانة شيخه التي اهتزت، واهتز باهتزازها مقام الأزهر في مصر وفي العالم العربي، بل في العالم الإسلامي كله، فلم يجد الإمامُ بُدًّا من تقديم استقالته في ١٦ من يوليو سنة ١٩٧٤م، ثم شفعها بخطاب آخر، قدَّمه إلى السيد رئيس الجمهورية، شَارِحًا فيه موقفه، وأن الأمر لا يتعلق بشخصه، وإنما يتعلق بالأزهر وقيادته الروحية للعالم الإسلامي كلِّه، مبيِّنًا أن القرار الجمهوري السابق يغُضُّ من هذه القيادة ويعوقُها عن أداء رسالتها الروحية في مصر وسائر الأقطار العربية والإسلامية، وقبل هذا أخطَرَ وكيلَ الأزهر بموقفه؛ ليتحمل مسؤوليته حتى يتم تعيين شيخ آخر.

ورُوجع الإمام في أمر استقالته، وتوسط لديه الوسطاء فأصرَّ عليها كل

الإصرار؛ لأن الموقف ليس موقف انتقاص من حقوقه الشخصية، وإنما هو انتقاص لحقوق الأزهر، وهضم لمكانة شيخه،ولو كان الأمر يتعلق بحقوق الإمام عبد الحليم محمود لتساهل فيه؛ لأنه صديق قديم لوزير شئون الأزهر؛ ولأنه بفطرته زاهد في المناصب، عازف عن المظاهر، منصرف عن متاع الحياة الزائل وزخرفها الباطل، مؤمن كل الإيمان بأن الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا وخير أملًا، فأَصَرَّ على تقديم استقالته، وامتنع عن الذهاب إلى مكتبه، ورفض تناول مرتبه، وطلب تسوية معاشه، ووجه إلى وكيل الأزهر -وقتها- الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار خطابًا يطلب منه أن يُصرِّف أمور مشيخة الأزهر حتى يتمَّ تعيين شيخ جديد.

وأحدثت الاستقالة آثارها العميقة في مصر وفي سائر الأقطار الإسلامية، وتقدم كثيرون من ذوي المكانة في الداخل والخارج يُلحِّون على الإمام راجين منه البقاء في منصبه، لكنه أبى، ولم يعُد لمنصبه إلا بعد إلغاء القرار وصدور اللائحة التنفيذية التي تخوِّل للأزهر شئونه.

**التصوف في حياته:**

يقول الإمام عبد الحليم عن نفسه بعد إعداده رسالة الدكتوراه: «بعد تردد بين هذا الموضوع أو ذاك، هداني الله - وله الحمد والمنة - إلى موضوع التصوف الإسلامي، فأعددت رسالةً عن (الحارث بن أسد المحاسبي) فوجدت في جوِّ (الحارث بن أسد المحاسبي) الهدوءَ النفسي، والطمأنينة الروحية، هدوء اليقين، وطمأنينة الثقة، لقد ألقى بنفسه في معترك المشاكل، التي يثيرها المبتدعون والمنحرفون، وأخذ يصارع مناقشًا مجادلًا، وهاديًا مرشدًا؛ وانتهيت من دراسة الدكتوراه، وأنا أشعر شعورًا واضحًا بمنهج المسلم في الحياة، وهو منهج الإتباع. لقد كفانا الله ورسوله كل ما أهمنا من

أمر الدين، وبعد أن قرَّ هذا المنهج في شعوري، واستيقنته نفسي، أخذتُ أدعو إليه كاتبًا ومحاضرًا، ومدرسًا، ثم أخرجت فيه كتاب «التوحيد الخالص» وما فرحت بظهور كتاب من كتبي، مثل فرحي يوم ظهر هذا الكتاب؛ لأنه خلاصة تجربتي في الحياة الفكرية.«

لم يكن تصوفه هروبًا من الحياة؛ بل كان علاجًا لمعضلاتها، لقد كان الشيخ عبد الحليم لا يفارق الناس إلا عند نومه، فهو يزور ويرحل، ويجتمع ويناقش، ويدفع إلى الخير، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر. والفرق بينه وبين سواه من النظريين، أنه يصدر عن يقين، وينفعل عن عقيدة، وينصح عن إدراك، وقد فهم رسالة المسلم في الحياة، فهم أنه خليفة في الأرض.

لقد اهتدى الإمام بعد عناء طويل في رحلته الفكرية إلى أن القلب موضع إقناع المؤمن، فالمؤمن لا يتطلب تغلغل العقل كي يقتنع، ولكنه يلتمس ماء الهداية كي يرتوي!

**قال عن التصوف:**

» *إنه نظام الصفوة المختارة، إنه نظام هؤلاء الذين وهبهم الله حسًّا مرهفًا، وذكاءً حادًّا، وفطرة روحانية، وصفاء يكاد يقرب من صفاء الملائكة، وطبيعة تكاد تكون مخلوقة من نور * «من هو الصوفي في رأي الإمام؟

قال الإمام: «الصوفي هو الذي التزم بتعاليم الإسلام سيرةً وسلوكًا، وقولًا وعملًا، وهو الذي يستحضر ذكر ربه في كل وقت؛ فإذا وصل المؤمن إلى إسلام حقيقي يجعله مستحضرًا ربه في كل وقت فلن يهتم بمعصيته، ولن يأمر بمنكر، ولن ينهى عن معروف.«

**وقال أيضًا:**

»فالصوفي لا يكون صوفيًّا بالقراءة أو الدراسة والبحث، حتى ولو كانت هذه القراءة والدراسة في الكتب الصوفيَّة نفسها، وفي المجال الصوفي خاصَّة، وقد يكون شخص من أعلم الناس بهذه الكتب، درسها دراسة باحث متأمل، وعرف قديمها وحديثها، وميز بين الزائف منها والصحيح، وصنفها زمنًا وميزها أمكنة، وهو مع ذلك لا سهم له، في قليل ولا في كثير في المجالات الصوفية.«

**وقال في موضع آخر:**

»فالتصوف ليس ثمرة لثقافة كسبيَّة؛ إن الوسيلة إليه ليست هي الثقافة، ولكن الوسيلة إليه إنما هي العمل، إن الطريق إليه إنما هو السلوك، والمعرفة الناشئة عن العمل والسلوك هي إلهام، وهي كشف، وهي ملأ أعلى انعكس على البصيرة المجلوَّة فتذوقه الشخص حالًا، وأحس به ذوقًا، وأدركه إلهامًا وكشفًا.«

**أثره في المجتمع:**

أفلح الشيخ رحمه الله في تكوين مجتمع يستشعر وجود الله في كل وقت، المجتمع البريء من الذنب، المتطلع إلى الخير، البعيد عن التنازل والتضاد، وإذا جاهد الشيخ في سبيل إنشاء هذا المجتمع، فما أعظم ما جاهد في سبيل الإصلاح.

*حارب الشيخ في عدة جهات من أجل إقامة المجتمع السويِّ، فقد حارب (الوجودية)، حين هبت فئة تدعو إليها.

*وصمد الإمام أمام (الماركسية) صمود الفارس الصنديد، فأخذ يزيل

الغشاء الخادع عن الماركسية الحاقدة، ليراها الناس في وجهها الكالح البسيط.

*وطالب الإمامُ بالشريعة الإسلامية تطبيقًا والتزامًا، وقد سارع رحمه الله فألف لجنة علميَّة لصياغة قوانين الشريعة في مواد محددة؛ لتسهل مهمة التطبيق، وأخذ يتصل بأعضاء مجلس الشعب ليحدث تكتلًا إسلاميًّا ينادي بتطبيق الشريعة.

**المؤتمرات والملتقيات والرحلات:**

*سافر الشيخ إلى العراق بدعوة من حكومتها؛ لتنظيم وزارة الأوقاف العراقية، وتنظيم المؤسسات الدينيَّة بها، ووضع تقريرًا مفصلًا عن وجوه الإصلاح فيها، ومكث في مهمته شهرًا.

* تمثيله للأزهر في مهرجان الإمام الغزالي الذي عقد بدمشق سنة ١٩٦١م.

- سافر إلى باكستان أستاذًا زائرًا بدعوة من وزير الأوقاف والشئون الإسلامية.

- سافر إلى ماليزيا أستاذًا زائرًا للمركز الإسلامي لإلقاء محاضرات دينية وتنظيم شئون المسلمين بها.

- سافر إلى قطر بدعوة من حكومتها ووضع قواعد بناء التعليم الديني وألقى كثيرًا من المحاضرات بها.

- سافر إلى الكويت بدعوة من حكومتها لإلقاء محاضرات دينية في شهر رمضان المعظم.

- سافر إلى دولة الإمارات العربية بدعوة من حكومتها لافتتاح الموسم

الثقافي لعام ١٩٧٤م، وإلقاء المحاضرات الدينية بها.

- سافر إلى ماليزيا بدعوة من حكومتها سنة ١٩٧٤م لحضور إشهار عدد كبير من المواطنين الماليزيين إسلامهم بلغ تعدادهم أربعة آلاف مواطن.

- مشاركته في مؤتمر السيرة النبوية بباكستان في فبراير سنة ١٩٧٦م.

- سافر إلى لندن لحضور مهرجان العالم الإسلامي في ٣٠ من مارس سنة ١٩٧٦م.

-سافر إلى مكة المكرمة لحضور مؤتمر رسالة المسجد، في ١٦ من أبريل سنة ١٩٧٦م.

- استجابته لدعوة الأمين العام للمؤتمر الاقتصادي الإسلامي المنعقد في لندن، في الفترة من ٣٠ من يونيه إلى ١٦ من يوليو سنة ١٩٧٧م، وقد التقى فضيلته بكثير من علماء اللاهوت، وأساتذة مقارنة الأديان بالجامعات الإنجليزية، وبمشاهير علماء الاقتصاد، وتقدم بمقترحات مهمَّة لوضع أسس متينة مقتبسة من الإسلام تتيح نهضة اقتصادية كبرى للشعوب الإسلامية.

**وفاته:**

بعد عودة الشيخ الإمام عبد الحليم محمود من رحلة الحج في ١٦ من ذي القعدة ١٣٩٨هـ، الموافق ١٧ من أكتوبر ١٩٧٨م قام بإجراء عملية جراحية بالقاهرة فتُوفِّيَ على إثرها، وتلقت الأمة الإسلامية نبأ وفاته بالأسى، وصلى عليه ألوف المسلمين الذين احتشدوا بالجامع الأزهر ليشيعوه إلى مثواه الأخير، تاركًا تُرَاثًا فِكْرِيًّا زَاخِرًا، ما زال يعاد نشره وطباعته.

**مصادر ترجمته:**

-الحمد لله هذه حياتي، تأليف: الإمام الأكبر عبد الحليم محمود.

-المدرسة الشاذلية، تأليف: الإمام الأكبر عبد الحليم محمود.

" قضية التصوف: المنقذ من الضلال، الإمام الأكبر عبد الحليم محمود

*****

**ولندع شيخنا الشيخ الشعراوي يكمل ذكرياته عن هذا الفترة وعن الشيخ عبد الحليم رحمه الله، قال الشيخ:**

كنت لا أقبل أن يرسل لي الشيخ الجليل عبد الحليم محمود شيخ الأزهر القرارات إلى مكتبي في الوزارة لكي أوقعها له. وقلت له: يا مولانا كل القرارات تبقى عندك وأنا الذي أحضر إليك لكي أوقعها! واتفقت معه على أن أذهب إليه في يوم محدد كل أسبوع لأوقع له القرارات!

وتساءل الشيخ الشعراوي مستغربا: هل هذا معقول! هل من المعقول ألا يكون لشيخ الأزهر الشريف سلطة إصدار القرار! وأن يكون للوزير – أي وزير – سلطة فوق سلطة شيخ الأزهر الشريف؟!!

وأضاف الشيخ: " هذا الوضع المقلوب كان قائما وقد حاولت أصلاحه في المذكرة التي كتبتها.

لقد طالبت في المذكرة بأن يكون شيخ الأزهر " نائبا لرئيس الجمهورية". وألا يحال إلى المعاش مهما تقدمت به السن.وأن لا يقيله أحد من منصبه. ولكنهم – فيما بعد – جعلوا شيخ الأزهر بدرجة رئيس الوزراء. وأخذوا بعدم إحالته إلى المعاش مهما تقدمت به السن. ولكنهم سكتوا وأغمضوا عيونهم عن " حتة" الإقالة ١

وعندما يكون شيخ الأزهر بدرجة رئيس الوزراء. فلابد أن تنتقل "التبعية " من وزير الأوقاف وشئون الأزهر إلى رئيس الوزراء. ويصبح رئيس الوزراء هو الذي يقوم بإقرار ما يريده شيخ الأزهر وليس الوزير.

وهذا ما حدث فيما بعد في مرحلة تالية بعد خروجي من الوزارة.. إنني أنفقت كل ما كان معي من مدخرات في الفترة التي عملت فيها وزيرا.

كان مرتبي كوزير للأوقاف وشئون الأزهر هو ٢٧٠ جنيها وأكرر فقط مائتان وسبعون جنيها وكنت أنفق مما جمعته من عملي في السعودية على احتياجاتي في الوزارة. وكنت أجد نفسي في مأزق عندما يحضر وفد من الخارج ويتحتم على أن أدعوه على الغداء أو العشاء. فالوزارة ليس فيها فلوس. وكان صديقي الحاج أحمد أبو شقرة يرفع عني الحرج ويتحمل هو دعوة وفود الوزارة على الغداء أو العشاء!

وجاء اليوم الذي لم يعد يتبقى فيه من رصيدي في البنك سوى ٣٢٥ جنيها وكنت أنفقت كل ما جمعت خلال عملي في السعودية. أنفقته خلال عملي في الوزارة.

وأذكر أنني أخذت " كشف حسابي في البنك " والذي يوضح أن رصيدي أصبح ٣٢٥ جنيها. وقدمته لممدوح سالم. وقلت له: أنني أصرف من " لحم الحي " وعندي التزامات. ولم يعد عندي فلوس وأنا زهقت فاتقوني لوجه الله.

وابتسم ممدوح سالم يومها وقال كلمته المعتادة: اصبر يا شيخ شعراوي. هانت. أنت وأنا سنخرج معا قريباً إن شاء الله!.

*****

## معركة الحوت

الحوت كان موظف كبير في وزارة الأوقاف ولم يكن موظفا عادياً بل كان ذات نفوذ طاغ وكبير وذلك بسبب علاقاته الرهيبة والمتشعبة مع من هم في سدة الحكم، وكان للشيخ مع هذا "الحوت "وهو اسم شهرة له. معركة رهيبة وانتصر فيها الشيخ بفضل الله. على هذا الأفاق. وعن هذه المعركة ومعارك أخرى داخل الوزارة يتكلم شيخنا عن كيف بدأت المعركة؟ وكيف دارت المواجهة بين الشيخ وزير الأوقاف وشئون الأزهر وبين " الحوت " إمبراطور المجلس الأعلى للشئون الإسلامية!

يقول الشيخ " كان الحوت يشتم اجدع وزير وبألفاظ بذيئة وخارجة!

وكانت قد صدرت له "تفويضات " من وزراء الأوقاف السابقين لي.

كان يقف على باب الوزير ويشتمه ويسبه بأقبح الألفاظ!

كان الآمر الناهي في وزارة الأوقاف.

وكانت قد صدرت له " تفويضات " من وزراء الأوقاف السابقين لي. استطاع بهذه " التفويضات ". وبنفوذه وبعلاقاته الواسعة الوثيقة بالمسئولين أن يفرض سطوته وسيطرته وجبروته.وأن يطلق لسانه على كل وزير من الوزراء الذين سبقوني في الوزارة.

وأضاف الشيخ: " كنت أعرف كل ذلك قبل دخولي إلى مكتبي بالوزارة واستلامي العمل.

وفي أول أيامي في الوزارة كان ثالث قرار أصدره هو قرر إنهاء "الحوت" وتصفية " الإمبراطورية " التي صنعها من المجلس الأعلى للشئون

الإسـلامية.وإعـادة المجلـس إلى ووظيفتـه الحقيقيـة وإلى دوره ومهمتـه الأساسية في خدمة الدعوة.

وبعد ساعة واحدة مـن صـدور القـرار فوجئـت بممـدوح سـالم رئـيس الوزراء يتصل بي. ويرسل لي شخصا يـسألني ويستفـسر عـن إصـداري لهـذا القرار الخاص بإنهاء دور "الحوت " و" تصفية " إمبراطوريتـه بهـذه الـسرعة التي أعتبرها " تسرعا "!

سألني مبعوث رئاسة الوزراء؟

فقلت: ما فعلته هو من اختصاصي كوزير! فهل أستشير في شيء يـدخل في دائرة اختصاصي؟! مسئوليتي وحقي؟!

وإذا كان مطلوبا مني أن أستشير في أمور هي من اختصاصي ومسئولياتي وحقي. فماذا يبقى لي كوزير؟!

وقلت: إن المجلس الأعلى للشئون الإسـلامية أنـشئ بقـرار " وزاري " من الوزير أحمد عبد الله طعيمة سنة ١٩٥٩ . وكانت تحت المسئولية المباشـرة لوزير الأوقاف. وعندما تـولي " الحـوت " رئاسـة المجلـس في مرحلـة تاليـة انحرف به وحصل على تفويـضات مـن بعـض وزراء الأوقـاف اسـتخدمها في تحويـل المجلـس إلى إمبراطوريـة سـيطرت عـلى وزارة الأوقـاف ووزرائهـا. عندما وجدت هذا الوضع كان لابد من تصحيحه.

كان كل ما استند إليه " الحوت " في إقامة إمبراطوريته وفـرض سـيطرته هي " قرارات وزراية ". قرارات من وزراء. فأنا ألغيتها كوزير. وهذا حقي!.

وأضاف الشيخ " لقد غضب "الحـوت "وقعـد في بيتـه! وتـصورت أن الموضوع قد أنتهى عند هذا الحد. لكن تبين لي أن قـراري بإنهـاء "الحـوت "

وتصفية إمبراطوريته كان بداية لمواجهة ساخنة بدأت من يوم صدر القرار في أول يوم لي في الوزارة واستمرت إلى آخر يوم لي في الوزارة!

كانت معركة! وهي معركة تكشف عن أساليب الحيتان واحتيالهم في النفاذ إلى قمة السلطة. لقد فوجئت بأن ردود فعل القرار الذي أصدرته بإنهاء "الحوت "وتصفية " إمبراطوريته "قد وصلت إلى الرئيس السادات!

وقالوا: إن " الحوت " نجح في إفهام الرئيس بأنه يستخدم إمبراطوريته لخدمة سياسة الدولة في داخل مصر وخارجها!

وقالوا أيضا أنني أغضبت بعض القريبين إلى الرئيس بقرار إنهاء "الحوت "!

وتحولت المواجهة مع " الحوت " إلى " استجواب لي " في مجلس الشعب استجواب لي من أجل الحوت!

وكان هذا شيئاً غريباً.

ويوم الاستجواب ، وقبل أن أذهب إلى مجلس الشعب ، دخل إلي مكتبي سكرتيري الأستاذ خليفة عبد السلام وقال لي: إنه أعد لي ملفا كاملا بالوثائق والبيانات التي يمكن أن أستعين بها في الرد على " الاستجواب " في مجلس الشعب. ولكنها وثائق ومستندات تدين " الحوت " وتكشف عن انحرافاته وتجاوزاته. لكنني رفضت أن آخذ هذا الملف وقلت له: لن آخذ ورقة واحدة من هذا الملف معي.ولن أخل بورقة في يدي!.

وفعلا ذهبت إلى مجلس الشعب.. ودخلت وليس في يدي ورقة. وبدأ الاستجواب.وقالوا كل ما عندهم ،.. ووقفت لقول كلمتي.. وقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: يعلم الله أني ما جئت لأرد على

استجواب..وإنما جئت لأردد الاستجواب!

أنتم تسألونني مستجوبين.وأنا أرد عليكم الأمر مستجوبا!

قلت: ديوان المحاسبة أن يدرس تصرفات فلان "الحوت ".

وقام ديوان المحاسبة بالدراسة. وكتب تقريرا مودعا لديكم. والتقرير تم توزيعه على أعضاء المجلس.وهو يتضمن الانحرافات والتجاوزات التي تدين فلان " الحوت "! فلماذا لم تتخذوا قرارا فيه؟ أن المجلس هو الذي يجب أن يوجه إليه الاستجواب! لماذا ترك فلان " الحوت "؟ لماذا لم يتخذ بشأنه قرارا؟!

وقال الشيخ معلقا على صدى كلمته وردود فعلها في مجلس الشعب:

" أنا فرقعت " القنبلة " دي في المجلس يا مولانا. فأصبح المجلس حاجة تانية: المجلس " اتلخبط " ومعدش حد قادر يقول كلمة!

وأضاف الشيخ: أنا كنت شايل في جيبي التقرير اللي عمله ديوان المحاسبة عن انحرافات وتجاوزات الحوت. كنت " مدكنه" في جيبي وطلعته. وقلت لهم: " التقرير أهه " لماذا لم تتخذوا أي إجراء بشأنه! وقال الشيخ: كل الجرايد والصحافة كتبت عن اللي حصل في الجلسة الصاخبة لمجلس الشعب. واعتقدت أنا أن " الحوت " قد انتهى.

لكن تبين لي بعد ذلك أن " الحوت " لم ينته!

وأن محاولات " الحوت " مستمرة لاستعادة إمبراطوريته ونفوذه وفرض سيطرته وسطوته على وزارة الأوقاف ووزير الأوقاف!.

لقد لجأ "الحوت " إلى المحكمة الدستورية العليا ليبطل القرار الذي أصدرته بإنهاء دوره وتصفية إمبراطوريته، عادة المجلس الأعلى للشئون

الإسلامية إلى وظيفته الحقيقية.ولم أستغرب أن يفعل " الحوت " ذلك.

لكن الذي استغربت له هو أنني فوجئت بصدور قرار من الرئيس السادات مكتوبا "بخط اليد " بإعادة " الحوت " إلى عمله " رداً لاعتباره "! وتصورت في أول الأمر أن هناك " اتفاقا " لإعادة " الحوت ". وأن المحكمة ستصدر حكمها لصالحه. وإلا فكيف يصدر الرئيس قرارا بإعادة "الحوت "قبل أن تفصل المحكمة في أمره!

لكن الذي حدث بعد ذلك كان شيئا مثيرا.

لقد أصرت المحكمة حكمها بإدانة " الحوت"!

وقررت في حكمها ألا يتولى " الحوت "أي منصب في الدولة لأنه" غير مأمون على منصبه" حسب ما نص عليه الحكم.

وكان الحكم " بالإجماع ". أي إجماع أعضاء المحكمة الدستورية العليا.وليس "بالأغلبية "!

وكان الذي استوقفني وأثار حيرتي هو " لماذا الحرص في نص الحكم على أنه صدر بالإجماع "

وحاولت أن أعرف السر!

وعرفت أن المستشارين قد حصل بينهم نقاش.وأنهم كانوا قد عرفوا بأن هناك قرارا صدر بعودة "الحوت ".وأن صدور حكم يتضمن في نصه أن بعض المستشارين كان مع إعادة " الحوت " والبعض الآخر لم يكن مع إعادته. هذا الحكم بهذا النص سيجعل البعض مع القرار الذي صدر من الرئيس والبعض الآخر ضد القرار. ولذلك حرصوا جميعا على أن ينص في الحكم بأنه صدر "بالإجماع "!

وكان هناك شيء آخر قد حدث صباح يوم صدور الحكم وأثار الاستياء!

فقد ذهب " الحوت " مع عدد من أنصاره إلى المحكمة وصحب "قطيعا من الأغنام والعجول " ليذبحها أمام المحكمة فور صدور الحكم!

وكان تصرفه هذا يعني أنه كان واثقا من أن الحكم سيكون لصالحه!

وقد شاهد كل الذين دخلوا المحكمة صباح ذلك اليوم المظاهرة التي أعدها " الحوت " أمام باب المحكمة! مظاهرة قطيع الأغنام والعجول!

وسخروا منه بعد صدور الحكم!

ويضيف الشيخ قائلاً: " كانت حكاية الحوت " هي السلبية الوحيدة في العلاقة التي كانت بيني وبين السادات.ومع ذلك فأنا كنت أحبه لجرأته وأعماله الكبيرة التي لم يكن غيره يستطيع القيام بها.

وقال أيضا: وأنا أعتبر أن مواجهتي " للحوت " وإنهاءه" وتصفية " إمبراطوريته " هي واحدة من ثلاثة أعمال كبيرة قدمتها خلال تجربتي كوزير للأوقاف وشئون الأزهر.

** أما العملان الآخران فهما:

**أولاً**: أنني أعززت العلماء ووضعت التقاليد التي تجعل الشيخ الأزهري يتبوأ المناصب الكبيرة في وزارة الأوقاف ويأخذ حظه منها. قبلي لم يكن هناك وكيل وزارة من المشايخ! كلهم كانوا من قبل الأفندية! وكانوا يأتون بهم من خارج الوزارة ومن غير المشايخ

ولكنني اخترت أول " وكيل وزارة " من المشايخ وتمسكت برأيي. كان المشايخ يقفون عند درجة " مدير عام " ولا يتعدونها. فأنا عملت تقريرا

قلت فيه: إنني سأختار " وكيل وزارة " من المشايخ.

واخترت فعلا الشيخ إبراهيم الدسوقي ليتولى " وكيل الوزارة"فكان نموذجا طيبا شرفني. وصار بعد ذلك وزيراً للأوقاف.

**ثانيا:** أنني عملت أول بنك إسلامي في مصر وهو " بنك فيصل . ولا أنسى هنا أن أذكر بالتقدير موقف الدكتور حامد السايح وزير الاقتصاد والمالية حينذاك الذي وقف في مجلس الشعب وقال: " هذه تجربة جديدة على الاقتصاد المصري وأنا لا أعرفها ولكني تنازلت عن حقي فيها لأخي الشيخ محمد متولي الشعراوي وزير الأوقاف. وأنني أفوضه في اتخاذ ما يراه من قرارات بشأنها.

***

## ثورة جياع. أم انتفاضة حرامية؟

في كتابه"الشعراوي وجه المؤلف سؤالا للشيخ هذا نصه:

بعيدا عن معركة الحوت شهدت الفترة التي تولى فيها الشيخ الشعراوي وزارة الأوقاف وشئون الأزهر. الكثير من الأحداث الخطيرة التي تدخل فيها الشيخ بشكل أو بآخر وكان له موقف منها / . أول هذه الأحداث على الصعيد الداخلي كانت أحداث ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ التي وقعت بعد شهرين وثمانية أيام من تولي الشيخ للوزارة.

اليساريون والشيوعيون قالوا: أنها " انتفاضة شعبية " من أجل الخبز والحرية في مواجهة الفساد.

والرئيس السادات قال: إنها " انتفاضة حرامية "!

والشيخ الشعراوي قال يومها أنها " فتنة ومحنة ". وذهب ليلتها إلى ألإذاعة والتليفزيون ليلقي بيانا. ثم ذهب إلى الجامع الأزهر وصعد المنبر وخطب في الناس حول ما جرى. ما الذي قاله الشيخ للناس في الإذاعة والتليفزيون وفي الأزهر عن تلك الأحداث؟ ثم ما هو تقييمه لها، عندما يتذكر ما جرى؟

وقبل أن نقرأ إجابة الشيخ على هذا السؤال سنورد بشيء من التفصيل ما حدث من أحداث في هذين اليومين ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ والرؤى المختلفة في تفسير ما حدث ثم نعود لشيخنا الجليل لنسمع منه روايته لهذه الأحداث وكذلك لوجهة نظره حولها

### أحداث ١٨ و ١٩ يناير: " إنتفاضة الخبز ١٩٧٧

هي لم تكن انتفاضة حرامية كما اطلق عليها ذلك محمد أنور السادات ولكنها انتفاضة شعب بكل فئاته ضد الظلم الاقتصادي الواقع علية في عصر الانفتاح في مصر

### بداية الأحداث:

قبل ٧٧ قامت قطاعات عمالية كثيرة بإضرابات وانتفاضات في ٧٥ و ٧٦ فقد كان شعب مصر يحلم بالرخاء الاقتصادي الذي وعد به أنور السادات بعد حرب ٧٣ وتحولة من الاشتراكية للرأسمالية وتقربة من الولايات المتحدة الأمريكية إلا انه في يوم ١٧ يناير ١٩٧٧ أعلن نائب رئيس الوزراء للشئون المالية والاقتصادية الدكتور عبدالمنعم القيسونى في بيان له أمام مجلس الشعب مجموعة من القرارات الاقتصادية منها رفع الدعم عن مجموعة من السلع الأساسية وبذلك رفع أسعار الخبز والسكر والشاي والأرز والزيت والبنزين و٢٥ سلعة أخرى من السلع الهامة في حياة المواطن البسيط بدأت الانتفاضة بعدد من التجمعات العمالية الكبيرة في منطقة حلوان بالقاهرة في شركة مصر حلوان للغزل والنسيج والمصانع الحربية وفي مصانع الغزل والنسيج في شبرا الخيمة وعمال شركة الترسانة البحرية في منطقة المكس بالإسكندرية وبدأ العمال يتجمعون ويعلنون رفضهم للقرارات الاقتصادية وخرجوا إلى الشوارع في مظاهرات حاشدة تهتف ضد الجوع والفقر وبسقوط الحكومة والنظام رافعة شعارات منها:

»ياساكنين القصور الفقرا عايشين في قبور

يا حاكمنا في عابدين فين الحق وفين الدين

سيد مرعى يا سيد بيه كيلو اللحمة بقى بجنيه

عبد الناصر ياما قال خللوا بالكم م العمال

هو بيلبس آخر موضة واحنا بنسكن عشرة ف أوضة

بالطول بالعرض حنجيب ممدوح الأرض

لا اله إلا الله السادات عدو الله«

**تطورات الانتفاضة الشعبية :**

ابدات نفس المظاهرات في الجامعات وانضم الطلاب للعمال ومعهم الموظفين والكثير من فئات الشعب المصري في الشوارع والميادين القاهرة والمحافظات يهتفون ضد النظام والقرارات الاقتصادية وحدثت مظاهر عنف منها حرق أقسام الشرطة وابنية الخدمات العامة ومنها أقسام الشرطة (الأزبكية والسيدة زينب والدرب الأحمر وقسم شرطة إمبابة والساحل وحتى مديرية أمن القاهرة)، واستراحات الرئاسة بطول مصر من أسوان حتى مرسى مطروح واستراحة الرئيس بأسوان، ووصل الهجوم إلى بيت المحافظ بالمنصورة وتم نهب أثاثه وحرقه، ونزل إلى الشارع عناصر اليسار بكافة أطيافه رافعين شعارات الحركة الطلابية، واستمرت هذه المظاهرات حتى وقت متأخر من الليل مع عنف شديد من قوات الأمن وتم القبض على مئات المتظاهرين وعشرات النشطاء اليساريين.

**إخماد الانتفاضة:**

استمرت الانتفاضة يومي ١٨ و ١٩ يناير وفي ١٩ يناير خرجت الصحف الثلاثة الكبرى في مصر تتحدث عن مخطط شيوعي لإحداث بلبلة واضطرابات في مصر وقلب نظام الحكم وقامت الشرطة بإلقاء القبض علي

الكثير من النشطاء وزاد العنف في ذلك اليوم ثم أعلن في نشرة أخبار الثانية والنصف عن الغاء القرارات الاقتصادية ونزل الجيش المصري لقمع المظاهرات وأعلنت حالة الطوارئ وحظر التجول من السادسة مساءا حتى السادسة صباحا

**وعن هذه الأحداث يقول الشيط الشعراوي:**

**" وفي يوم الجمعة التالية للأحداث ذهبت للجامع الأزهر وصعدت المنبر وقلت: إننا نعيش فتنا ونعيش أحداث خطيرة وحين نتجه إل العلاج نتجه إلى ظواهر الأمراض ولا نتجه أبدا إلى منابع الأمراض.وشفاء الظاهر لا يجدي. فالذي يداوي البشرة من بثور ونتوءات فيها لا يداوي أصل العلة ، ولكنه يداوي فقط ظاهر العلة. وإذا ما نظرنا إلى الأحداث التي تمر بنا داخليا ، وخارجيا أيضا في محيطها البعيد في أمتنا الإسلامية وأمتنا العربية ، لوجدنا أن الأصل هو العزوف من منهج الله.**

وقلت: هناك نقابات للعمال انتخبها العمال بمحض إرادتهم واختيارهم فإذا أراد أي عامل شيئا فعليه أن يرفعه إلى نقابته والنقابة ترفعه للمسئولين ليتفاهموا فيه.وكذلك للطلاب اتحادات.

وفي مجلس الشعب من يمثل العمال ومن يمثل الفلاحين ومن يمثل الفئات الأخرى التي تعني الطائفة.

وإن كنا قد امتحنا بهذه المحنة فإن لله في محنه منحة. والمنحة إننا وجدنا طبقات شعبنا واعية متفهمة.

فالعمال حياهم الله ، وأحييهم من على هذا المنبر ، لم يستجيبوا لشعار مزيف ولا أقول مزخرف ، وفهموا النية المبيتة. وظلوا أمناء على عملهم ،

أمناء على آلائهم ، وأدوا واجبهم أراء كاملا. ولم يغير من ذلك الموقف أن يوجد بعض الهمج الذين يقومون بتنفيذ أغراضهم.

وكذلك الطلاب أحييهم ، حياهم الله ، فقد انتبهوا إلي الفتنة وانتبهوا إلى مثيريها ، ووجدنا مظاهرات حاول أن تخرجهم من معاهدهم فستحصنوا بالمعاهد وبالعلم وردوا كيد هؤلاء جميعا في نحورهم.

لقد وجدنا الوعي وأصبحنا نعرف الذين يعلنون الشعارات المزيفة.

وقلت: هناك من يجب أن ينعم بجهد غيره ،وهؤلاء هم " الطفيليون " الذين لا حركة لهم في الحياة.

والإسلام لا يؤوي إلا الضعيف العاجز عن العمل. أما الذي يريد أن يعمل غيره ليفيد هو ، فذلك ما يرفضه الإسلام حتى ولو بالسؤال: فالإسلام لايحمي البطالة ولكن يطلب من ولي الأمر أن يوجد لكل فرد ميدان عمل ، وأن يحمله على ذلك. يعينه أولا فإن استجاب فيها..وإلا فعليه أن يحمله بالقوة ليعمل ، فالإسلام إنما جاء لينظم حركة الحياة.

وإذا نظرنا إلى الأحداث التي واجهناها وجدنا له جذورا ،وهي أننا لم نبصر الأمة بواقعها الحقيقي ظنا بأننا سنفصح أمر اقتصادنا ونحن في مواجهة عدو ولنا معه معركة.ولكن شاء الله ما شاء حتى نتبين مواقعنا. لا شك أننا عرفنا ما أصابنا من هذه الهوسة واللوثة التي سبقت ونعرف أن أضرارا قد وقعت. لكن علينا أن نعرف أن خير الواحد منا هو من خير أمته ، وأننا قبل أن نمد أيدينا إلى أحد خارج أمتنا ، يجب أن نمدها أولا إلى جيوبنا. فأي فرد يجد أمته في مأزق ، وجب عليه أن يتطوع سريعا وأن يعاون. أما أن نطلب شيئا من سوانا فذلك مما يقدح في مروءتنا وفي كرامتنا وشهامتنا. ونحن بإذن الله لن نمد يدنا إلى أحد. ولكن أن امتدت إلينا يد بالمعونة فلن نرفضها حتى لا نكون

متكبرين على قدر الله فينا. فنحن لا نطلب، ولكننا لا نرفض "

وأضاف الشيخ " نعم. كانت الظروف قاسية جدا وحاول المغرضون بالشعارات المزيفة استغلال الظروف القاسية. لإثارة الفوضى والتحريض على السلب والنهب. وحاول الرئيس السادات يومها أن يفعل كل ما يستطيع لاحتواء الموقف الصعب.

وأضاف الشيخ: هناك مساءل أكبر من الرؤساء.. هناك ظروف سياسية أكبر من الرؤساء.. وهم يفعلون المستحيل للخروج من المآزق التي يجدون أنفسهم فيها بفعل الظروف الصعبة والقاسية التي قد لا يدركها سوى القريبين من قمة السلطة.



## الشعراوي وقضية الشباب

في حوار للأستاذة الكاتبة / سناء السعيد مع الشيخ الشعراوي وقد ضمنته في كتابها " الشعراوي بين الدين والسياسة " وفي هذا الجزء من الحوار يتكلم الشيخ الشعراوي عن الإسلام كنظام. ويتكلم عن الحكم كمسئولية وتكليف لا تشريف. ويعارض مبدأ " تسييس " الشباب مشيرا إلى أن تربية الشباب سياسيا وإقامة التكتلات الطلابية لا يتفق مع واقع الحياة ومتطلباتها. مؤكدا أن سياسة الدولة يجب ألا يضطلع بها إلا من نضج وصقلته التجربة.

**فلنقرأ هذا الجزء من الحوار الرائع والتي أجرته المؤلفة مع الشيخ:**

**** الإسلام كنظام سياسي. إلى أي حد أمكن تبني الإسلام كمنهج سياسي للمجتمع؟**

يجيب الشيخ: ما المقصود بالسياسة؟ إن السياسة إدارة حركة الحياة. فأنا كإنسان وفرد أدير حركة الحياة في نفسي. ورب الأسرة يديرها في أسرته. وحاكم الإقليم يديرها في إقليمه. والحاكم العام يديرها في دولته. وإدارة هذه الحركة تتطلب أن تكون هناك سياسة وأن توضع أصلا لكي تدار. وهنا نتسائل من الذي يضعها؟ المفروض في الحاكم ألا يعمل بنفسه. وإنما يختار من يعمل ويراقبه. ولهذا فيوم أن تأتي الحكومة لتضطلع هي بالعمل تقول لها ا،ت فاشلة. الحكومة التي تتكفل بالمباني أو بشي السمك وقليه تكون حكومة فاشلة لأن الحكومة يجب أن تختار من يعمل لها وتراقبه. لأنها عندما تعمل ستعمل بجهاز وهذا الجهاز سيعمل للآخرين. فلا يمكن أن يقال أن إنسانا يعمل لنفسه يساوي في إخلاصه إنسانا يعمل لغيره. يجب على الحكومة أن تدع كل فرد يعمل لمصلحته بحيث يكون مدفوعا للعمل بحب نفسه ولو

حدث هذا ما ظهرت الرشوة وإستشرت وما إنهارت العمارات. إن العمارات تتصدع وتنهار لأنني أنا لست الباني. كما أنني لا أجلب الحديد أو الأسمنت ولا أشرف على الرمل أو الكم أو النوعية- لأن غيري هو الذي يشرف وهو المنتفع ولهذا شتان بين فرد بيني بنفسه وآخر يشرف مقاول على بنائه ، وثالث يشرف على البناء مقاول من الحكومة. فالأول سيجيد ولن يؤخذ منه شيء أما الثالث فستتعدد المصافي وسيكثر الاستغلال وعدد المنتفعين.

**** هذا يحمل ضمنا وصراحة تشجيعا وإعلاء للقطاع الخاص بل وتغلبيه على القطاع العام ويستشف منه تنحية القطاع العام على أساس أنه مليء بالثغرات والمثالب؟**

إنه فيه حثا على القطاع الذاتي بحيث يتكفل كل بعمليته ، ولهذا عندما أقحمت الحكومة نفسها وتدخلت في أرزاق الناس وتصنيفهم وفق أن هذا لديه وهذا ليس لديه ترك الله لهم العملية بأكملها ليتحملوها كلها. من أخذ ما ليس له حمله الله ما ليس عليه.

وأتسائل من قال بأن دولة متخلفة في العالم الثالث ما زالت في بدء المحاولات لكي تنهض تشرع بمهمة توظيف كل أفرادها وتأخذ على عاتقها تعليم الأغلبية بالجامعة. إننا ننسي أن من يتعلم بالجامعة في الولايات المتحدة يدفع الكثير حتى يمكن له ذلك.

**** هذه دعوة ضمنية إلى قصر التعليم الجامعي على فئة قادرة على تمويل تعليمها – بل إن ما أردتموه ألآن دعوة تحريضية ضد مجانية التعليم؟**

هذه ليست مجانية – فلو أننا حسبنا ما تدفعه الأسرة على الدروس الخصوصية لأولادها لوجدناه يساوي عشرة أمثال ما كانت تتكلفه الدراسة يوم أن كانت بمصاريف – فدعونا من نفاق الجماهير ولنشرع في علاج مثل

هذه القضايا بروح جديدة – ذلك أننا إذا لم نعالج المسائل بوقفة صريحة وواضحة فإن الأمور ستزداد تفاقما ومشاكلنا ستتراكم. لقد حسبنا العطلة في الدولة فكانت ١١٤ يوما – من سخرية القدر أن اليوم الذي نحب أن نمجد فيه عملا نأخذه كعطلة أي أننا نمجد العمل بتركه.

** ورغم هذا فكل يدع الأمور تسير كيفما أتفق؟

نعم والآثار تتراكم. وكل يسوس عمره إلى أن ينفد ويترك المسائل معلقة فيما بعد لمن يظل على قيد الحياة كي يعاني الأمرّين.

**** معنى هذا أنكم غير راضين عما يسود واقعنا اليوم من أوضاع مغلوطة ومعايير مقلوبة ومفارقات مضادة؟**

غير راض عن الكثير

**** نقطة الصراع بين الإسلام والعصرية في التفكير السياسي – والتي ينظر إليها البعض على أنها أحد الأسباب لعدم الاستقرار؟**

التفكير السياسي صراع فكري بشرى لفكر بشري – فليس هناك فكر بشري أولي من فكر طالما نحكم بأنفسنا – ولكن حينما أخضع أنا وأنت لمن هو أعلى مني ومنك فهنا لن تكون لديك غضاضة ولن تكون على غضاضة خاصة وأن من نتلقى منه – باتفاقنا كمؤمنين- أعلى مني ومنك – ومن ثم يوم تخضع له لن يقال أنني خاضع لك أو أنك خاضعة لي. فكلانا خاضع لأله أعلى.

**** هذا لا يمنع من وجود جزئيات يخضع فيها المتلقي إلى فكر بشر مثله؟**

الفكر البشري يكون في الأمور التي ترك الله لنا أمر التفكير فيها بشريا.

بمعني أننا لا نقترب من أمور حسمها الله بإحكام. أما الأمور التي لم يحسمها الله بإحكام فقد أباح لنا أن نفكر فيها بشريا.

**** حتى في الأمور التي أباح لنا الله فيها أن نتبع فكرنا البشري فإن الحكم تحول إلى معضلة؟**

ما يرهق ويتعب الآخرين أن طائفة تريد أن تحكم طائفة. دولة تتطلع إلى حكم دولة. ولكن عندما يثبت أنه لا أنا ولا أنت نريد أن نحكم ينتهي الأمر وتصفي القلوب وتطمئن. فالله هو الذي يحكم. وعليه يكون الحكم تكليف لا أبهة وتشريف وترفيه ومنهجية فالحكم متاعب ومسئوليات ومهام جسام.

**** في محاولة تهيئة الإنسان للحكم وإعداده تمهيدا للاضطلاع به قد ينظر وجوب خلق الكوادر الجديدة وتربيتها سياسيا أو ما اصطلح بتسميته تسيس الطلبة؟**

تربية الشباب سياسيا وإقامة التكتلات الطلابية لا يتفق مع واقع الحياة ومتطلباتها. فنحن نتعرض لإرهاق وكد في محاولة منحهم منهجا لاستذكاره والنجاح فيه - فكيف بمن لا يستطيع أن يسوس أمور نجاحه في بعض المواد أن نأتي كلي نسيسه ونطالبه بأن يتحدث في سياسة الدولة؟ إن هذا محض هراء. ذلك أن سياسة الدولة يجب أن تكون قاصرة على قوم نجحوا بالفعل في حياتهم الخاصة ونضجوا وصقلتهم التجربة فحق لهم بالتالي أن يضطلعوا بمسئولية الأمة. فلأن الفرد منهم قد جرب في مسائله الخاصة ونجح - فإننا نطالبه بأن يحمل مهمة أمته ويقدم لها بعض الخير. فهو يضطلع بالمهمة بعد أن وصل إلى حد الإشباع في الشهوة والأهواء والنزعات. وبعد أن وصل إل الشعور بأنه قريب إلى الله فكل هذا يصبح عاصما له من أن يزل أو ينحرف. ومن ثم لا يمكن أن أتوجه للأطفال المعجزة لأطالبهم بأن يأتوا ليجربوا في

الأمة. إننا نقول لهؤلاء جربوا في حياتكم الشخصية أولا ، فإذا نجحوا وجرب الإنسان منهم بأمانة في مسائله الخاصة – حينئذ وفقط يمكن أن أئتمنه على المسائل العامة وأطالبه بعد النضج أن يتوج حياته بخدمة أمته. فثمار نضجه وتجاربه لابد أن يمنحها لأمته.

**** هذه دعوى صريحة لرفع الأيدي عن تسييس الطلبة وإقحامهم في مجالات العمل السياسية وما يطلق عليه تربية الكوادر السياسية الجديدة؟**

لا يمكن أن آتي للشباب منذ البداية لأقول له إنني سأتعهد بتعليمك وفي الوقت نفسه أقوم بتسييسه. كيف هذا وهو لا ينجح إلا بصعوبة؟ كيف يتأتي له التفرغ والنجاح في مسائل أخرى أكبر وأكثر أهمية بالنسبة للمرحلة التي يعيشها حينئذ؟ إن اللجوء إلى تسييس الطلبة هو ض٢رب من تملق الشباب ومنافقته ويجب أن نبعد عن هذا لأنني إن فعلت سأوقع الشباب في المحظور وسيعاني منه الشباب كثيرا على المدى البعيد. من السخرية أن نتطلع إلى تسييس الشباب في الوقت الذي قدر أرى فيه شابا في الخامسة والعشرين أو الثلاثين وما زال يتعلم. أي أنه ما زال طفلاً يمد يده لوالده لكي يحصل على مصروفه. بمعنى أن طاقته مضيعة مهددة من سن الثالثة عشر حتى الخامسة والعشرين. فكيف أشغله بتيارات أخرى؟

**** ولكن قد ينظر إلى التسييس بوصفة أحد المجالات التي تلبي طموح الشاب وتصقل ذاتيته؟**

الطفل كأي ثمرة من الثمار حين يبلغ نضجه تصبح له ذاتية – وهي التي يجب أن تستغل أولاً – بمعنى أنه إذا تطلع إلى طموحات ما فلابد أن يشقى من أجلها ويتعب ويستوفي شروط الحصول عليها ليستحقها بجدارة – فلا يمكن أن أعهد إليه بمهمة أمة وهو خواء وفراغ.

**** ما دمنا بصدد الحديث عن الحكم أتساءل ماذا عما يردده البعض من دعوى مفادها أن علماء الدين يجب أن يقودوا بدلا من أن يحكموا؟**

إن مبدئي دائماً يتركز في أنني أريد أن أحكم بالإسلام - ولا أريد أن أحكم. فعندما يأتي عالم الدين ويقول هذا يتبين لنا إخلاصه في دعوته. فكأن الإسلام لديه أمين في أن يدير الكون ويدير ما فيه. أما إذا حدث العكس وتطلع عالم الدين إلى أن يحكم فهنا تكون شهوة. وهنا نقول له لا.

وعليه ألا ينسى أن الشهوة - شهوة الحكم - قد تكبت وتحصر وتحاصر. لأنه من البديهي أن من يملك الحكم لا يريد ولا يسمح لأحد بأن يستولي عليه. ولهذا ستثار العقبات في طريقه وهو في حل عن هذا كله. وعليه فمن أراد الصالح العام من هؤلاء - أعني علماء الدين - نحن نفسه عن شهوة الحكم وتطلع فقط إلى أن يحكم من غيره الإسلام.

**** هذه دعوة إلى أن يربأ علام الدين بنفسه عن الحكم؟**

نعم. بل إن السبب في فشل أكثر من حركة إسلامية أن القائمين عليها يريدون في الحقيقة أن يحكموا لا أن يحكموا بالإسلام. وهؤلاء حري بكل منهم أن ينأي بنفسه عن الحكم وعن أن يمسك بمقاليده فلم يعد هناك من يملك المحاباة بالنسبة لأي حاكم كان - ولذا علينا أن نطلب من الحاكم أن يحكمنا ونحاول أن نحتويه.

**** معنى هذا أنه لا خوف على الحاكم من أن يرتدي ثوب الحكم الإسلامي؟**

بالطبع لا. لأنه أن أراد حقا أن يطبق الحكم الإسلامي فعليه أن يطبقه أولاً على نفسه. حين يفعل ذلك فلن يجد له أحد من رعاياه تميزاً له في شيء. وبالتالي لن يتطلع أبداً إلى أن يكون حاكماً، طالما أن الحاكم غير متميز. فإذا

غاب التميز ولا تفرد للحاكم بالنسْبة لرعيته غاب المحرك للأطماع بالنسبة للحكم. فعندما يتطلع المرء العادي فيرى الحاكم ومن حوله من حاشية يرتعون في ترف وبذخ يتطلع بدوره إلى أن يكون حاكماً. ولكن عندما يتطلع فيجد الحاكم شقياً بالحكم سيبعد عنه ويطلب من الله سبحانه وتعالى أن يعينه ويأخذ بيده على ما هو فيه. ولهذا عندما يقال أن عمر بن الخطاب قد حكم الدنيا – نقول لا لم يحكم الدنيا وإنما حكم نفسه أولا فحكمت له الدنيا. كان عمر أجل من أن يجامل قريباً له – إنما كان يجامل الناس لا لإتصالهم به أما أهله وعشيرته فكان يقول لهم: نويت أن أفعل كذا وكذا فمن خالفني فيه فساجعلنه نكالاً للمسلمين.

لقد وقف عمر ليخطب قائلاً: اسمعوا واطيعوا.

فإذا بواحد من الحاضرين يقاطعه قائلاً: لا سمع ولا طاعة. فقال: له عمر: ولم؟ قال الرجل: ثيابك أطول من ثيابنا. وهنا نظر عمر لأبنه عبد الله وقال له قم لتتحدث. فقال عبد الله: أبي رجل طوال فأعطيته ثوبي فوصله بثوبه. وهنا قال الرجل: ألآن نسمع ونطيع.

وهذا يعني أن السمع والطاعة واجبة حينما يجد المرء أن الحاكم ليس متميزاً عنه في شيء. بل على العكس متعب ومرهق وشقي بالحكم الذي يضطلع به.

وهناك قصة أخرى أسوقها.. فلقد جاء رجل ورفض ألا أن يأكل مع أمير المؤمنين ظناً منه أن موائد أمير المؤمنين تختلف عن موائد العامة وأنها عامرة بأشهى الأصناف – فترك الرجل الناس تأكل الثريد والبعير. وانتظر هو ليأكل مع أمير المؤمنين. كم كانت دهشته أن وجد على مائدة أمير المؤمنين القديد وبعض الخل.

فشخص مثل هذا رأي ما عليه الحاكم لا يمكن أن يفكر في يوم من الأيام أن يصبح حاكماً. وبالطبع سيتغير الأمر لو أنه رأي الحكم ترفاً ورفاهية. وعليه أقول حين يأتي الحاكم ويكون إسلامياً حقيقاً فهو لا يخشى شيئاً البته.

**** مهمة الحكم تظل تكليفا بمسئولية شاقة وتبعة جسيمة بل إن الحاكم مهما انصف وعدل قد لا يسلم في النهاية من اللوم أو الإيذاء؟**

على الحاكم أن ينجز ما أنيط به. أما إذا جاءه بعد هذا من لا يرضى عنه أو من يغتاله أو ينال منه فسيكون له جزاؤه. تماما مثلما حدث لعمر بن الخطاب. فكأن الإله يقول له. أنت قدمت عملا كبيراً. وعملك في الدنيا لا يكفي للجزاء الذي أريده لك وعليه أميتك شهيداً لكي أجزيك خير الجزاء.

**** خرج علينا أحد علماء المسلمين.ويدعي عبد الرحمن وحيد – زعيم منظمة نهضة الأمة في اندونيسيا ليؤكد أن ما ذكره القرآن من تشكيل دولة إسلامية أمر غير واقعي – وأن هذا حلم يراود البعض؟**

كل هذه أبواق مدفوعة من خصوم الإسلام – تماما كما دفع – ميرزا غلام أحمد – في باكستان فانشأ القديانية لكي يبطل الجهاد الذي يؤرق أعداء الإسلام. والذي أرق الصليبين والإلحاديين دائماً. فهؤلاء مدفوعون من قبل خصوم الإسلام. ولهذا تري أن كل دعوة من هذه الدعوات تجنح إلى التخفيف وهذا يصدق أيضاً على ما قام في إيران من بابية وبهائية – إذ لجأ أتباعها إلى التخفيف.

فكل دعوة من هذه الدعوات تلجأ إلى تخفيف الإسلام بغية تخليصة من قوة تفرض سيطرتها في حركة الحياة بما لا يتدخل في عقيدة ولذلك هم يقولون ويشيعون خطأ بأن الإسلام كان بالسيف. وهو ليس كذلك – إذ لو كان بالسيف حقاً لما بقي هناك من يدفع الجزية في الدول التي فتحها. فإبقاء

الإسلام على من يدفع الجزية معناه أنه ترك لأصحاب العقيدة حريتهم طالما أن نظام الإسلام يسير. وطالما كان له فكر يسوس به الدنيا بل إن من نضج في حضن الإسلام صلح لكي يقود ويسوس الدنيا أمثال عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد.

**** الإسلام كنظام يسوقنا إلى الحديث عن أسلوبه في الحروب خاصة وأن هناك وجهة نظر تؤكد وتسوق الشواهد على أن الإسلام لم يشن حرباً هجومية قط وأن كل غزوات الرسول ﷺ كانت دفاعية بدءاً " ببدر " وانتهاء بتبوك؟**

من قال أن حروب الإسلام كانت للدفاع؟ هذا أيضاً ما يريد خصوم الإسلام أن يوقعوا الإسلام من خلاله.

إنني حر في أن أعلن عن ديني وأحمي اختيار الفرد كما يجب.

فأنا إن حاربت أحارب لكي أحمي إختيار الفرد بعدما أعلنها صريحة بأن من يعارضني في أن أقول كلمة الحق سأحاربه وأهاجمه.

**** هل يمكن أن أهادن؟**

بالطبع لمن لا يعارضني ولكن من يعارضني أهاجمه. إذن أقول كلمة الحق ثم بعد ذلك له مطلق الحرية في أن يسمعها أو لا يسمعها. فالإسلام جاء بقوته ليحمي حرية اختيار الفرد.

****ولكن كل غزوات الرسول ﷺ بدءاً من بدر حتى تبوك كانت كلها دفاعية؟**

ليست دفاعية أبداً فعندما أعلم أن هناك من يريد أن ينقض علّي أو أن هناك من يعين غيره للانقضاض عليّ فماذا أفعل؟ يجب أن أحاربه.

**** هل يعني هذا أن الإسلام يحض على أن تكون الحرب هجومية؟**

هجومية لمن أظن فيه أنه سيقف أمام دعوتي.

**** ألا يتعارض هذا مع قوله تعالى: لا إكراه في الدين؟**

أنا لا أكرهه – ولكن أحمي الاختيار. بدليل أن الجزية قد فرضت – ففرض الجزية يعني أن هناك أناسا تركوا على دينهم. فأنا لم أرغم أحدا – من استمر على دينه استمر – فحربي كله من أجل أن أفسح لكلمة الحق أن تقال ولكي أحمي اختيار الفرد.

**** كان لدي انطباع بأن الحروب في الصدر الأول من الإسلام كانت دفاعية ولم تتحول إلى هجومية إلا في الداخل فقط بالنسبة للمرتدين؟**

المرتد موضوع آخر. وهناك من عاب الارتداد على الإسلام. وهؤلاء أغبياء. لأنني حينما أقول للمرء إنك إن دخلت الإسلام ثم خرجت منه تدفع حياتك ثمناً له. حينئذ لن يدخل الإسلام إلا إذا جعل الغاية من الإسلام مقابل حياته بمعنى ألا يدخل هكذا جزافا وبدون تفكير وإلا كان الموت ثمناً لجزافيته.

**** ألا يمكن أن يكون رد فعل هذا التحذير هو الحد من عدد الداخلين إلى الإسلام؟**

إنني أحذر من مغبة الأمر. ومن الجزافية حتى لا يدخل عندي ثم يعود قائلاً لقد جربت الإسلام فلم يصلح لي. ولهذا أنصح قبل أن يدخل إلى الإسلام بأن يدرس العملية أولاً حتى يكون دخوله الإسلام بعد تدبر وتمعن.

**** قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ [١٧] وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ [١٨] وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ [١٩] وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**

[٢٠] فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ [٢١] لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية:١٧/ ٢٢). **مع ما تدعو إليه الآية من تمعن تدبر ونظر هل أحاسب المرء إذا لم يهتد؟**

عليه أن يتمعن بداية قبل أن يعلن إسلامه. لن الرجوع عنه ثمنه حياته أنني هنا أحول بينه وبين النظر إلى عملية إسلامه على أنها مجرد نظرية سطحية. بحيث يعلن إسلامه ثم يرتد عنه بعد ذلك. فانا أحذره. لا تجعل منها نظرية سطحية لأنك إن فعلت ستدفع حياتك ثمناً لها. إنني أنبهه " إياك أن تدخل إليها إلا وأنت واثق بأن ما دخلت إليه أثمن من حياتك ".

**** ولكن ألا تؤخذ عملية النضج في الحسبان. فالمتغيرات التي تعن للمرء على مدى سنوات العمر كفيلة بتغيير مسارات فكره ومبادئه ودرجة النضج لديه؟**

ما دام الإنسان أصبح قادراً على إنجاب مثله – يكون قد نضج هذا هو حد النضج فإذا أصبح الشاب بالغاً قادراً على إنجاب مثله يكون النضج قد استوفي واستوي ولهذا لم يكلف الله المرء إلا بعد الوصول إلى القدرة على إنجاب مثله.



# الشعراوي ومعاهدة السلام

الزيارة التاريخية للرئيس السادات للقدس ،والتي كانت مفائجة للعالم كله ، وكان ذلك في مساء ١٩ نوفمبر عام ١٩٧٧ ، كانت لها تداعيات ستبقى من أهم الأحداث وأخطرها ، في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي. ولكن وقبل أن نتعرف على رأي شيخنا حول هذا الحدث وتداعياته وروايته لهذه الأحداث وتأثيرها عليه.سنتعرف على ماهية معاهدة السلام وكيف اختلفت حولها الآراء ما بين مؤيد ومعارض وحتى متهماً بالخيانة وبيع الوطن.

**معاهدة كامب ديفيد:**

اتفاقية كامب ديفيد عبارة عن اتفاقية تم التوقيع عليها في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ بين الرئيس المصري محمد أنور السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن بعد ١٢ يوما من المفاوضات في المنتجع الرئاسي كامب ديفيد في ولاية ميريلاند القريب من عاصمة الولايات المتحدة واشنطن. حيث كانت المفاوضات والتوقيع على الاتفاقية تحت إشراف الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر. ونتج عن هذه الاتفاقية حدوث تغييرات على سياسة العديد من الدول العربية تجاه مصر، وتم تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية من عام ١٩٧٩ إلى عام ١٩٨٩ نتيجة التوقيع على هذه الاتفاقية ومن جهة أخرى حصل الزعيمان مناصفة على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٨ بعد الاتفاقية حسب ما جاء في مبرر المنح للجهود الحثيثة في تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط. وتوجد مطالب بالإفصاح عن تفاصيلها التي تبقى سرية حتى اليوم، كما أنّها لم تُعرض على البرلمان المصري.

في افتتاح دورة مجلس الشعب في ١٩٧٧، وفي هذه الجلسة الشهيرة أعلن السادات استعداده للذهاب للقدس بل والكنيست الإسرائيلي، وقال: "ستُدهش إسرائيل عندما تسمعني أقول الآن أمامكم إنني مستعد أن أذهب إلى بيتهم، إلى الكنيست ذاته ومناقشتهم". وانهالت عاصفة من التصفيق من أعضاء المجلس، ولم يكن هذا الهتاف والتصفيف يعني أنهم يعتقدون أنه يريد الذهاب فعلا إلى القدس.

ألقى السادات خطابا أمام الكنيست الإسرائيلي في ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧. وشدد في هذا الخطاب على أن فكرة السلام بينه وبين إسرائيل ليست جديدة، وأنه يستهدف السلام الشامل، دعا السادات بيجن لزيارة مصر، وعقد مؤتمر قمة في الإسماعيلية وبدأ بيجين يتكلم عن حق إسرائيل في الاحتفاظ بالأراضي المحتلة، وعدوان مصر على إسرائيل.

بعد اجتماع الإسماعيلية بشهر واحد اجتمعت اللجنة السياسية من وزراء خارجية مصر وإسرائيل والولايات المتحدة في القدس. وفي أثناء انعقاد تلك اللجنة شرعت إسرائيل في بناء مستوطنات جديدة في سيناء، لاستخدامها كورقة مساومة على مصر. لم يكن بيجن مستعدًا لقبول تنازلات، وقال وزير الخارجية الإسرائيلي "موشى ديان": "إنه من الأفضل لإسرائيل أن تفشل مبادرة السلام على أن تفقد إسرائيل مقومات أمنها".

وعرض الإسرائيليون على مصر ترك قطاع غزة للإدارة المصرية مقابل تعهد بعدم اتخاذها منطلقًا للأعمال الفدائية، وكان هدفهم من ذلك عدم إثارة موضوع الضفة الغربية، شعر السادات أن الإسرائيليين يماطلونه؛ فألقى خطابًا في يوليو ١٩٧٨ قال فيه: إن بيجن يرفض إعادة الأراضي التي سرقها إلا إذا استولى على جزء منها كما يفعل لصوص الماشية في مصر.

أنشأ السادات الحزب الوطني الديمقراطي وتولى رئاسته، وزادت قبضته العنيفة على القوى المعارضة لتوجهاته، ثم لجأ إلى الاستفتاء الشعبي على شخصه، ترددت مصر بين المضي في المبادرة أو رفضها، ولكن تدخل كارتر بثقله، ودعا السادات وبيجن إلى اجتماعات في كامب ديفيد.

**محادثات ما قبل الاتفاقية:**

وصل الوفدان المصري والإسرائيلي إلى كامب ديفيد يوم ٥ سبتمبر ١٩٧٨ . ذهب السادات إلى كامب ديفيد وهو لا يريد أن يساوم، وإنما ردد مشروع قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ كأساس للحل. أما كارتر والإسرائيليون فكانوا مقتنعين أن السادات لن يوافق قط على أي وجود إسرائيلي في سيناء.

في اليوم الأول من المحادثات قدم السادات أفكاره عن حل القضية الفلسطينية بجميع مشاكلها متضمنة الانسحاب الإسرائيلي من الضفة وغزة وحلول لقضية المستوطنات الإسرائيلية واستنادا إلى مبارك فإن السادات لم يركز في محادثاته كما يعتقد البعض على حل الجانب المصري فقط من القضية حاولت الإدارة الأمريكية إقناع الجانبين أن يتجنبوا التركيز على القضايا الشائكة مثل الانسحاب الكامل من الضفة الغربية وغزة ويبدؤا المناقشات على قضايا أقل حساسية مثل الانسحاب الإسرائيلي من سيناء كان الهيكل العام للمحادثات التي استمرت ١٢ يوما تتمحور على ثلاثة مواضيع رئيسية

**الضفة الغربية وقطاع غزة:** استند هذا المحور على أهمية مشاركة مصر وإسرائيل والأردن وممثلين عن الشعب الفلسطيني في المفاوضات حول حل هذه القضية التي إقترحت الولايات المتحدة إجراءات انتقالية لمدة ٥ سنوات لغرض منح الحكم الذاتي الكامل لهاتين المنطقتين وانسحاب إسرائيل

يرى البعض إنه وحتى هذا اليوم لم ينجح السفراء الإسرائيليين في القاهرة ومنذ عام ١٩٧٩ في اختراق الحاجز النفسي والاجتماعي والسياسي والثقافي الهائل بين مصر وإسرائيل ولا تزال العديد من القضايا عالقة بين الدولتين ومنها:

مسألة محاكمة مجرمي الحرب من الجيش الإسرائيلي المتهمين بقضية قتل أسرى من الجيش المصري في حرب أكتوبر والتي جددت مصر مطالبتها بالنظر في القضية عام ٢٠٠٣.

**امتناع إسرائيل التوقيع على معاهدة منع الانتشار النووي.**

مسألة مدينة أم الرشراش والواقعة تحت سيطرة إسرائيل ويطلق على المدينة اسم "إيلات" من قبل الإسرائيليين[بحاجة لمصدر]. حيث إن البعض مقتنع إن قرية أم الرشراش أو إيلات قد تم احتلالها من قبل إسرائيل في ١٠ مارس ١٩٤٩ وتشير بعض الدراسات المصرية أن قرية أم الرشراش أو إيلات كانت تدعى في الماضي (قرية الحجاج) حيث كان الحجاج المصريون المتجهون إلى الجزيرة العربية يستريحون فيها.

قضية الأموال التي تعتبرها مصر "أموال منهوبة" نتيجة استخراج إسرائيل للنفط في سيناء لمدة ٦ سنوات.

استغل بيجن الأيام التي تلت كامب ديفيد مباشرة للإعلان عن عزمه على إقامة مستوطنات في الأراضي المحتلة، ثم بلغت ذروة تصريحاته عام ١٩٨١م عندما أقسم أنه لن يترك أي جزء من الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان والقدس.

**تأثير الاتفاقية استراتيجيا وسياسيا**

أنهت حالة الحرب بين مصر وإسرائيل.

تمتعت كلا البلدين بتحسين العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع الدول الأوروبية والولايات المتحدة.

فتح الاتفاق وإنهاء حالة الحرب الباب أمام مشاريع لتطوير السياحة، خاصة في سيناء.

وتم تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية من عام ١٩٧٩ إلى عام ١٩٨٩ نتيجة التوقيع على هذه الاتفاقية.

**ردود الفعل**

أثارت اتفاقيات "كامب ديفيد" ردود فعل معارضة في مصر ومعظم الدول العربية، ففي مصر. استقال وزير الخارجية محمد إبراهيم كامل لمعارضته الاتفاقية وسماها مذبحة التنازلات، وكتب مقال كامل في كتابه "السلام الضائع في اتفاقات كامب ديفيد" المنشور في بداية الثمانينيات أن "ما قبل به السادات بعيد جداً عن السلام العادل"، وانتقد كل اتفاقات كامب ديفد لكونها لم تشر بصراحة إلى انسحاب إسرائيلي من قطاع غزة والضفة الغربية ولعدم تضمينها حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

وعقدت هذه الدول العربية مؤتمر قمة رفضت فيه كل ما صدر. ولاحقاً اتخذت جامعة الدول العربية قراراً بنقل مقرها من القاهرة إلى تونس احتجاجاً على الخطوة المصرية.

على الصعيد العربي كان هناك جو من الإحباط والغضب لأن الشارع العربي كان آنذاك لا يزال تحت تأثير أفكار الوحدة العربية وأفكار جمال عبد

الناصر وخاصة في مصر والعراق وسوريا وليبيا والجزائر واليمن.

يرى البعض أن الاتفاقية أدت إلى نشوء نوازع الزعامة الإقليمية والشخصية في العالم العربي لسد الفراغ الذي خلفته مصر وكانت هذه البوادر واضحة لدى القيادات في العراق وسوريا فحاولت الدولتان تشكيل وحدة في عام ١٩٧٩ ولكنها انهارت بعد أسابيع قليلة وقام العراق على وجه السرعة بعقد قمة لجامعة الدول العربية في بغداد في ٢ نوفمبر ١٩٧٨ ورفضت اتفاقية كامب ديفيد وقررت نقل مقر الجامعة العربية من مصر وتعليق عضوية مصر ومقاطعتها وشاركت بهذه القمة ١٠ دول عربية ومنظمة التحرير الفلسطينية وعرفت هذه القمة باسم " جبهة الرفض ". وفي ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩ عقدت قمة تونس العادية وأكدت على تطبيق المقاطعة على مصر. وازداد التشتت في الموقف بعد حرب الخليج الأولى إذ انضمت سوريا وليبيا إلى صف إيران وحدث أثناء هذا التشتت غزو إسرائيل للبنان في عام ١٩٨٢ بحجة إزالة منظمة التحرير الفلسطينية من جنوب لبنان وتمت محاصرة للعاصمة اللبنانية لعدة شهور ونشأت فكرة "الإتحاد المغاربي" الذي كان مستنداً على أساس الانتماء لأفريقيا وليس الانتماء للقومية العربية.

*****

## كامب ديفيد. ثلاثون عاما من التطبيع المرتبك

جاء إغفال القاهرة عن الاحتفال الرسمي بمرور ثلاثين عامًا على توقيع اتفاقية كامب ديفيد مع إسرائيل، في ٢٦ من مارس ١٩٧٩ والتي أنهت ثلاثين عامًا من حالة الحرب بين البلدين؛ لتكشف حالة التوتر التي تسود العلاقات الثنائية (المصرية – الإسرائيلية) في ضوء الحرب الأخيرة على قطاع غزة.

هذا التوتر ازداد بعد نتائج الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة وصعود اليمين المتطرف وعلى رأسه أفيجدور ليبرمان، زعيم حزب إسرائيل بيتنا القومي المتطرف؛ فليبرمان هو المرشح القوي لتولي منصب وزير الخارجية، وهو منصب سيلزمه بالتوجه كثيرا إلى القاهرة. وكانت العاصمة المصرية صرحت -بشكل غير مباشر- عبر الصحف القومية بأن "ليبرمان شخص غير مرحَّب به" بعد الإهانات التي وجهها الأخير إلى الرئيس المصري حسني مبارك، ومطالبته بضرب السد العالي بقنبلة نووية.

هذا التوتر قد لا يعكس شكل العلاقة الرسمية القائمة حاليًا بين البلدين على طول الخط، والتي لم تكن يومًا علاقة نمطية. فتارة كانت تحدث توترات تصل إلى حد سحب السفراء. وتارة أخرى كانت تصل إلى أفضل حالاتها، فيوقع البلدان اتفاقيات تجارية مشتركة (تصدير الغاز المصري، والكويز التي تلزم بإدخال منتجات إسرائيلية في صناعة النسيج المصرية المصدرة إلى الولايات المتحدة بنسبة تصل إلى ١١٪، إلخ). لكن جميع حالات التوتر كانت نتيجة للسياسات الإسرائيلية تجاه الدول العربية الأخرى، ولم تكن نتيجة تأزم في أي قضية مشتركة.

لكن على المستوى الشعبي، فإن العلاقة كانت أبعد ما تكون عن أي

حالة تقارب بين الشعبين خلال الثلاثين عاما. بل إنها اتسمت في أغلب الأحيان بالرفض المطلق لأي قادم من تل أبيب؛ رغم المحاولات المضنية التي بذلت من الحكومتين باتجاه إحداث قبول لفكرة "التطبيع" التي تحولت بمرور الوقت إلى "تهمة" يحاول الكثيرون أن ينأوا بأنفسهم عنها.

لكن ما الأسباب التي دفعت إلى أن يتحول التطبيع إلى تهمة؟ وهل هذا يعني أن حالة السلام بين البلدين فشلت، وأن كلاهما لم يخرج رابحًا من تلك الصفقة التي غيّرت شكل المنطقة حتى الآن ولسنوات طويلة مقبلة؟

الأسباب أكثر من أن تُحصى في هذه المساحة الصغيرة، لكن أبرزها يتمثل في أن قرار مصر "السلام مع إسرائيل" كان سياسيًّا ومفاجئًا، ولم تكن هناك مقدمات ما قد يدفع إليه بالشكل الذي تم به، ولم يكن ناتجًا عن تغييرات سياسية أو اجتماعية تبرر قبوله لدى الشارع المصري. بل إن قطاعات كثيرة من الشارع والمثقفين رفض هذه الخطوة من الرئيس الراحل أنور السادات وأدت حالة الرفض العربي أيضًا إلى تعزيز النفور الشعبي من الاتفاقية، رغم ما أنجزته من تحرير الأراضي المصرية.

**اتفاقية ورقيّة**

هذا الخلاف أو الانشقاق بين النظام والجماهير كان اللبنة الأولى في أن يتحول السلام مع إسرائيل إلى "اتفاقية ورقيّة" لا تسمح بتطوير العلاقة بين القاهرة وتل أبيب إلى صداقة، وأن يتحول التطبيع إلى "حالة ارتباك" تصيب الداعين إليه بخشية التعرض لاتهامات بالخيانة والتبعية. إضافةً إلى أن استمرار سياسات إسرائيل العدوانية ضد الفلسطينيين والعرب ساعدت على ترسيخ هذا النهج، وأدخلت التطبيع في ثلاجة فشل الكثير من المحاولات في إذابة ثلوجها. توازى مع ذلك زيادة مد الحركات الإسلامية التي رفضت

التطبيع واتخذت من الموقف الرسمي الداعم له ذريعة أساسية للهجوم على النظام، وشحن الشارع المصري المهموم بمشاكله الاقتصادية ضده؛ ومن هنا بدأ ارتباط خفي بين موقف النظام من إسرائيل وبين سياساته الداخلية، التي واجهت وتواجه صعوبات اقتصادية، حيث أصبح كثير من الأدبيات السياسية في مصر يتحدث عن قبول النظام لضغوط دولية خاصة من الولايات المتحدة، لإبداء مرونة مع إسرائيل تؤثر على سياساته الخارجية مقابل المزيد من المعونات والاستثمارات لإنقاذ الاقتصاد من عثراته المتكررة ومِن ثَم ضمان بقاء النظام.

### المأزق الاقتصادي

لكن المشكلة أن أزمات الاقتصاد المصري استمرت ولم تفلح محاولات إنقاذه من عثراته إلا في مرات قليلة، وعبر اتفاقيات دولية جاءت نتيجة التطورات التي حدثت في المنطقة، وعبر حروب الخليج الثلاثة، في الوقت الذي استمرت فيه إسرائيل بسياساتها العدوانية، والاستخفاف بمصر ما أجج من مشاعر الكراهية ضدها، وأفشل كل محاولات الترويج للسلام معها. واستغلت المعارضة هذه السياسة للمزيد من الشحن ضد النظام خاصة بعد انتشار ظاهرة ما سمي بالمبيدات المسرطنة، وتزايد نسبة الإصابة بالأمراض السرطانية والوبائية بين المصريين وسرعان ما توجهت أصابع الاتهام إلى التطبيع وأنصاره الذين سمحوا بدخول هذه المواد الإسرائيلية لتدمير المجتمع المصري، وهو الأمر الذي رسخ في الوجدان الشعبي الترابط بين تردي الوضع الصحي والنفسي والاقتصادي وبين إسرائيل بوصفها العدو الأول لمصر الهادفة إلى القضاء على المصريين وجدانيًا بعد أن عجزت عن ذلك عسكريًا.

اللافت أن هذه الكراهية انتقلت من الجيل الذي حارب إلى الجيل التالي الذي لم يشاهد أي حرب مع إسرائيل بل إن من ناهز على الأربعين لم يعِ آخر الحروب في عام ١٩٧٣ . ورغم ذلك فإن كراهية الشارع المصري لإسرائيل متأصلة، وتكاد تمثل أحد عناصر التربية التي يتم تلقينها للأطفال حتى الآن من آبائهم. وحاول البعض الترويج بأن كثيرًا من الشباب المصري لم يعُدْ يهتم بفكرة العداء مع إسرائيل، وأن أعدادًا كبيرة منهم يتوافدون على الكيان الصهيوني للبحث عن فرصة عمل بعد أن فشل في إيجادها في مصر.

**الخاسر والرابح**

هذه النظرة ترى أن مصر خسرت من الاتفاقية أكثر مما كسبت فهي وإن استردت أرضها، فإنها خسرت كثيرًا من نفوذها الإقليمي؛ ما أدى إلى انفراط عقد الإقليم، ودخل في صراعات لم يخرج منها حتى الآن، وأن المردود الاقتصادي من السلام لم يَفِدِ الاقتصاد المنهك بالكثير، بل إن المعونة الأمريكية وبعض المعونات الأوروبية، التي وإن ساعدت على إحداث إصلاح ملحوظ في البنية الأساسية، فإنها تحولت إلى أداة ضغط من واشنطن وأوربا وفشلت في إحداث تحول في الاقتصاد المصري الذي ما زال حتى الآن في مرتبة متأخرة على المستويين الدولي والإقليمي. في المقابل فإن إسرائيل ربحت كثيرًا من الاتفاقية؛ فهي نجحت في احتواء أكبر وأكثر خطر يهدد وجودها، فقوة مصر لا تقتصر على القوة العسكرية فقط، وإنما على قوة بشرية هائلة قادرة، إذا أتيح لها فرصة حقيقية، على إحداث تحولات جذرية قد تغير وجه المنطقة بما يهدد الوجود الإسرائيلي نفسه، إضافةً إلى أن العرب اتخذوا النهج المصري دليلاً، وقدموا يد السلام في الوقت الذي تأبى فيه تل أبيب في تقديم أي مؤشر على قبولها للسلام، بل وتتفنن في آليات الهروب منه بعد أن

حولت عملية السلام إلى "إدارة صراع" بدلاً من حله.

**عدو إسرائيل الأول:**

لقد تحولت إسرائيل إلى أهم مراكز استقطاب الاستثمار الغربي في مقابل الفتات إلى مصر، ما ساعدها في تحسين مستواها الاقتصادي من جهة ودعم مخططاتها العسكرية الاستعمارية من جهة أخرى. كما سعت إلى ترويج نفسها بأنها واحة الديمقراطية والفرص الحرة في المنطقة.

واستغلت تل أبيب الفرصة للتهرب من التزامات السلام بل ومن التطبيع نفسه الذي إذا طُبِّق بشكل حقيقي قد يمثّل خطرًا داهمًا عليها؛ فالسلام يعني أن يكون هناك قبولاً إسرائيليًّا بدخول مئات، بل وآلاف العرب، إلى أراضيها، سواء للسياحة أو العمل، وهذا ما ترفضه تل أبيب؛ فحتى لو ظلت تروّج لنفسها بأنها ضحية وتناشد العرب التطبيع معها، فهي تريد سلامًا مفصّلاً على مقاسها، ويخدم أهدافها. أما السلام والتطبيع الحقيقيان ففيهما هلاكها.(1)

******

(1) المصدر: موقع قصة الإسلام للدكتور / راغب السرجاني.

## قالوا عن معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية:

مناحيم بيغن: لم يكن مواطن في إسرائيل يمكن أن يصدق قبل عامين أنه في الثاني من أبريل ١٩٧٩ سيذهب رجل بمنصب رئيس وزراء إسرائيل إلى القاهرة وتستقبله هناك وحدة من الجيش بسلاحها وتعزف نشيدنا القومي هاتفا.

أنور السادات: عشرات المليارات نازلة علينا وبحمد الله من غير الأمة العربية، مضت السنين العجاف لأننا عرفنا طريق السلام، مضت كل المعاناة.

ايهود اولمرت في مقابلة مع صحيفة جيروزاليم بوست: عندما أفكر فيما يمكن أن تكون الأمور لو أننا نتعامل مع أشخاص غير مبارك أصلي يوميا من أجل سعادته وصحته.

السفير السوري لدي واشنطون عماد مصطفي في مقابلة مع CNN: من الأفضل التعامل مع شخص مثل وزير الخارجية الإسرائيلي أفيغدور ليبرمان، بدلاً من الوزيرة السابقة تسيبي ليفني، ليبرمان شخص يتحدث علانية عما يجول في خاطره، فيما ليفني وأعضاء الحكومة التي تنتمي إليها، كانوا يتحدثون دائما عن رغبتهم في إحلال السلام، في الوقت الذي يقومون فيه بارتكاب أعمال وحشية في غزة.

*****

# رأى الشعراوى فى معاهدة السلام

فماذا قال شيخنا الجليل نسأل الله أن يتغمده بوافر رحمته عن معاهدة السلام وكيف كان يراها من وجهة نظره وغير ذلك من الأمور. مما رواها هو بنفسه في حواره مع الأستاذ / سعيد أبو العنينين في كتابه. الشعراوي الذي لا نعرفه ".

قال الشيخ: " كنت على جبل عرفات في تلك الليلة. لقد علمت بزيارة الرئيس للقدس وأنا على جبل عرفات ليلة العيد. وكان الأمر مفاجأة لي ، مثلما كان مفاجأة لغيري. علمت ليلتها من الدكتور محمد عبده يماني وكان وقتها وزيرا للإعلام في السعودية. كان معي الدكتور الزبير والسيد أمين غطاس والسيد اسحق رحمه الله.

وقد سألني السيد اسحق ليلتها: ألم يتحدث معك الرئيس السادات؟.. ألم يبلغك بما كان يعتزمه؟ ألم تقابله قبل سفرك للحج؟

قلت: لم يتحدث معي الرئيس السادات في هذا الأمر. ولم يشاورني. ولا أعتقد أنه شاور أحدا. وقد قابلته قبل سفري للحج وقلت له: " أنت موش حتيجي تحج السنة دي يا ريس؟ " فقال: " موش باين ". وأضاف: "أبقوا ادعوا لي. اقرءوا لي الفاتحة هناك "!

وقال الشيخ: هذا ما جرى من كلام بيني وبين الرئيس السادات عندما قابلته قبل سفري للحج بأيام قليلة.

لم يكن أحد يعلم بما كان ينتويه. كانت مفاجأة للعالم كله..

وهنا وجه المحاور سؤالاً للشيخ قائلاً: " ولكن الرئيس السادات ألمح في خطابه في مجلس الشعب يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٧ – أي قبل عشرة أيام من

تبركاً بها فقط.. وها أنذا أردها إليك ".

فضحكا سوياً.

**أنا تحية كاريوكا ألا تعرفني**

ويضيف فضيلة الدكتور ناجح موقفا آخر فيقول:

حكي لي د.محمود جامع أنه كان مع الشعراوي في الحرم ورأته تحية كاريوكا.. وكانت قد اعتزلت الرقص ولبست الحجاب.. وكانت هيئتها في منتهى التدين.

فأخذت تنادي علي الشيخ الشعراوي وهو لا يسمعها من الزحام حتى جاءته قائلة له:

يا شيخ شعراوي بح صوتي وأنا أنادي عليك.

فقال لها: معذرة.. والله لم أسمع.

وكان يكلمها وهو ينظر إلي الأرض.. فقالت له في جرأة: انظر إليَّ حتى تعرفني.

فلما نظر إليها قال لها: معذرة.. أنا لم أعرفك.

فقالت عاتبة عليه: "أنا تحية كاريوكا.. ألا تعرفني؟"

فقال لها: معذرة.. لو عرفتك لأتيتك ولو رقصا.

فأنهي بهذه الطرفة هذا الموقف وتخلص به من عتابها وحدة لسانها.

*****

# الفهرس

# رأى الشعراوى فى معاهدة السلام

فماذا قال شيخنا الجليل نسأل الله أن يتغمده بوافر رحمته عن معاهدة السلام وكيف كان يراها من وجهة نظره وغير ذلك من الأمور. مما رواها هو بنفسه في حواره مع الأستاذ / سعيد أبو العنينين في كتابه. الشعراوي الذي لا نعرفه ".

قال الشيخ: " كنت على جبل عرفات في تلك الليلة. لقد علمت بزيارة الرئيس للقدس وأنا على جبل عرفات ليلة العيد. وكان الأمر مفاجأة لي ، مثلما كان مفاجأة لغيري. علمت ليلتها من الدكتور محمد عبده يماني وكان وقتها وزيرا للإعلام في السعودية. كان معي الدكتور الزبير والسيد أمين غطاس والسيد اسحق رحمه الله.

وقد سألني السيد اسحق ليلتها: ألم يتحدث معك الرئيس السادات؟.. ألم يبلغك بما كان يعتزمه؟ ألم تقابله قبل سفرك للحج؟

قلت: لم يتحدث معي الرئيس السادات في هذا الأمر. ولم يشاورني. ولا أعتقد أنه شاور أحدا. وقد قابلته قبل سفري للحج وقلت له: " أنت موش حتيجي تحج السنة دي يا ريس؟ " فقال: " موش باين ". وأضاف: "أبقوا ادعوا لي. اقرءوا لي الفاتحة هناك "!

وقال الشيخ: هذا ما جرى من كلام بيني وبين الرئيس السادات عندما قابلته قبل سفري للحج بأيام قليلة.

لم يكن أحد يعلم بما كان ينتويه. كانت مفاجأة للعالم كله..

وهنا وجه المحاور سؤالاً للشيخ قائلاً: " ولكن الرئيس السادات ألمح في خطابه في مجلس الشعب يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٧ - أي قبل عشرة أيام من

قيامه بالمبادرة – إلى أنه على استعداد للذهاب إلى أي مكان في العالم سعيا وراء السلام وحقنا للدماء ، ولو كان هذا المكان هو " الكنيست الإسرائيلي ". فهل استرعى انتباه الشيخ ما ألمح إليه السادات في هذا الخطاب للمرة الأولى.

فأجاب الشيخ: " هذا الكلام لم يتوقف أبدا ، لأن مثل هذا الكلام كان يقال كثيرا. وهو كلام إجمالي. ولم يكن واضحا فيه أن السادات قرر القيام بتلك المبادرة التي فاجأ بها العالم.

ورداً على سؤال يقول " كان كلام السادات في مجلس الشعب عن استعداده الذهاب إلى الكنيست الإسرائيلي سعيا للسلام وحقنا للدماء يوم ٩ نوفمبر.

وفي يوم ١٥ نوفمبر بعث مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلي بدعوة رسمية للرئيس السادات لزيارة القدس عن طريق السافرتين الأمريكيتين في تل أبيب وفي القاهرة. وقبل السادات الدعوة. وتحدد لبدء الزيارة مساء يوم السبت ١٩ نوفمبر. وكان يوافق يوم وقفة عيد الأضحى المبارك.

فهل كان الشيخ يعلم بشيء من هذه الوقائع والتطورات التي حدثت متلاحقة وفي سرعة بعد خطاب السادات في مجلس الشعب؟

قال الشيخ: لم أكن أعلم بشيء من هذا.

أضاف الشيخ: السادات كان رجل دولة.. وكان يريد أن يسقط الورقة التي كانت إسرائيل تلعب بها. وتقول للعالم أنها دولة مسالمة وتريد أن تعيش وأن العرب وحوش ودعاة حرب وهم الذين يريدون تدميرها وإلقاءها في البحر!

السادات أراد أن ينزع هذه الورقة من يد إسرائيل والتي خدعت بها

العالم. والرأي العام العالمي سنوات طويلة.

وقال الشيخ: قبل قيام السادات هذه المبادرة ، حدث أن كنت في زيارة لإحدى الدول الأوروبية. التي يغيب عن ذهني ذكرها الآن ، وكنا قد ذهبنا على هناك على مركز إسلامي ، وقد فوجئنا بالكثيرين يقولون لنا أنهم يقيمون في عمارات ، وأنهم يجدون تحت " عقب الباب " جوابات ورسائل موجهة إليهم من اليهود يقولون فيها: "أيتها الأسرة المحترمة.نرجو أن تخطرونا كم عدد الأفراد الذين يستطيعون أن يلجأوا إليكم لأن مصر والدول العربية يريدون أن يرمونا في البحر!

هذا كان من الدعايات الإسرائيلية المضللة.

والسادات أراد أن ينزع من إسرائيل هذه الورقة التي كانت تلعب بها. وهو لم يقم بالمبادرة إلا وهو منتصر..

وعن الحجيج وموقفهم من هذا الحدث وكانوا حينها على جبل عرفات وكان ذلك ليلة زيارة السادات للقدس فقال الشيخ: أنهم انقسموا إلى قسمين:

قسم زعلان وغضبان لأن السادات ذهب لزيارة القدس.

وقسم آخر كان مؤيدا للسادات ، وكان يدعو له بالتوفيق في مهمته، ويعتبرها شجاعة تحسب له في تاريخه.

وأضاف الشيخ: " صحيح أن المبادرة التي أقدم عليها السادات كانت مفاجأة للعالم كله، ولم يكن أحد يتوقعها. لكنها عندما حصلت. تبين أنها تتمشى مع واقع الحال والظروف في ذلك الوقت. وقد أثبتت الأيام بعد ذلك أن السادات كان بعيد النظر. فقد أخذ الأرض بدون إراقة الدماء. وخصومه في المبادرة هم أنفسهم الذين قالوا بعد ذلك: " يا ريتنا قبلنا " !

وأضاف الشيخ: زمان. لما حصل التقسيم. تقسيم سنة ١٩٤٧ كان من رأيي يومها أننا لا يجب أن تأخذنا الحمية. بل يجب أن نقبل هذا التقسيم. لأنه يضع إسرائيل في بقعة محدودة ويعمل على "تحجيمها" وحصارها .،لكن عدم القبول أدى إلى التوسع في ظروف لم نكن قادرين على التحكم فيها أو السيطرة عليها.

فالذي يرفض شيئا يجب أن يكون لديه حيثيات لهذا الرفض، بحيث يرتقي في رفضه ولا ينزل عنه. وهذه هي السياسة. السياسة أن تقول كلاما يستشهد به أي واقع.

سؤال: ماذا قال فضيلة الشيخ للرئيس السادات في أول مقابلة معه بعد زيارة القدس؟ قال الشيخ: قلت له " قبل الله مسعاك. وجزاك على نيتك. وإن لم تأت بشيء ".

وقال الشيخ: بعد المبادرة كانت هناك ردود فعل غاضبة في بعض الدول العربية وحدث في مصر هنا أن بعض الفلسطينيين عملوا " هيصة" في مصر الجديدة. ويمها اجتمع الوزراء لمناقشة هذه المسألة.

وتكلم الوزراء. كل وزير قال الكلام الذي تمليه عليه روحه الوطنية.

وكان الرأي الغالب هو أن يأخذ معهم إجراء. وأن يقبض عليهم ، ويتم ترحيلهم من مصر. واستمع السادات إلى كل الآراء. ثم قال رأيه هو في النهاية:

قال السادات: مع احترامي لمشاعركم. وآرائكم. ووطنية اقتراحاتكم ، وغضبكم لما حدث. لكن لي رأي. وهذا الرأي هو ألا نقبض عليهم ، ولا نعمل على ترحيلهم. بل نبقيهم.. لأنهم إذا خرجوا فمن الجائز أن يعملوا أي

حاجة للإساءة إلى أبنائنا في الخارج. فهم هنا أمام أعيننا. ووافق المجلس على رأي السادات.

*****

سؤال: هناك تصريح منسوب لفضيلة الشيخ الشعراوي ورد في سياق حديث له بعد المبادرة التي فاجأ بها الرئيس السادات العالم بالذهاب إلى القدس... وهذا التصريح يقول: أن الشيخ الشعراوي قال بأعلى صوته موجها كلامه إلى السادات: " إن من يصنع مبادرة مع اليهود، عليه أن يصنع مبادرة مع الله".

فما الذي كان يعنيه الشيخ بهذه العبارة؟

قال الشيخ: كنت أعني تحديدا أننا إذا كنا نرى أنه في سلام الأرض أن نهادن أعداءنا ، ونصنع معهم مبادرة لنطفئ نار الغل والحقد. ولنجنب أمتنا الدماء. فهلا نصنع هذه المبادرة مع الله حتى يأتوا إلينا صاغرين؟.

*****

ويأتي الحديث عن مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق الذي كان طرفا مع الرئيس السادات منذ بعث إليه بدعوة رمية لزيارة القدس وحتى توقيع كامب ديفيد أو اتفاق السلام. وهنا سؤال موجّه للشيخ الشعراوي: ألم يلتق الشيخ بمناحم بيجين في القاهرة ولو بالصدفة ، خلال تلك الأيام التي كان يترد فيها مناحم بيجين على القاهرة للقاء الرئيس السادات؟

قال الشيخ: أبدا. لم يحدث.

وسؤال آخر: وماذا عن الشكوى التي كان يردها مناحم بيجين من الشيخ الشعراوي والتي طلب من سعد مرتضى سفير مصر في إسرائيل أن

يبلغها للرئيس السادات ، لماذا كان بيجين يشكو من الشيخ الشعراوي؟

قال الشيخ: الحكاية رواها أنيس منصور.

والذي رواه أنيس منصور عن شكوى بيجين من الشيخ الشعراوي يقول: حدث مرة أن جاءني سفيرنا في إسرائيل سعد مرتضى في حالة من الفزع والاضطراب. قال: مصيبة. لابد أن نبلغها للرئيس السادات. مصيبة كبرى. معي رسالة من السيد مناحم بيجين يشكو من أحاديث الشيخ الشعراوي في التليفزيون.. لأنه دائم الهجوم على اليهود وليس على إسرائيل أو على الصهيونية العالمية. وأن هذا الذي يفعله الشيخ الشعراوي يعطل مسيرة السلام.

قلت لسعد مرتضى: أرجو أن تعيد الذي قلت.

فأعاد. قلت: لا أعرف كيف أنقل هذه الشكوى إلى الرئيس: سوف يغضب غضبا شديدا. فليس من حق بيجن أن يتدخل في شؤوننا ولا أن يتعرض لرجال الدين. فرجال الدين أكثر دراية وعلما. والرئيس السادات يحاول أن يضيق مجالات الخلافات بين مصر وإسرائيل. وهذا الذي يقوله بيجن سوف يوسع الخلافات. والموضوعات الدينية حقول ألغام مروعة. فأعطني بعض الوقت لكي أفكر في طريقة نقلها للرئيس. ولابد أن أنقلها إليه.

ويمضي أنيس منصور في روايته فيقول: وفي لقاء الرئيس السادات لمحت له بما يقال في إسرائيل عن الأحاديث الدينية في التليفزيون وفي المساجد.

وكان رد الرئيس السادات: إن هؤلاء المتطرفين في إسرائيل هم الذين أقاموا الدولة وهم الذين سوف يهدمونها أيضا. بضيق الأفق والخرافات التي

يجهدون أنفسهم في تفسيرها على أنها حقائق!

ثم تلقيت من د. بطرس غالي وزير الدولة للشئون الخارجية صورة من الخطاب الذي ألقاه السيد هامير وزير التعليم الإسرائيلي ، وهو من المتدينين المتطرفين. أما الخطاب فشنيع ولا يمكن نشره أو الإشارة إليه وتكهربت الدنيا هناك وهنا.

ولكن وجدت أن هذا الخطاب بالذات هو الذي يمكن أن نرد به على شكوى بيجن. فقلت للرئيس السادات: إن بيجن له شكوى غريبة فهو يزعم أن الشيخ متولي الشعراوي يهاجم اليهود كيهود. وأن هذا من شأنه أن يعطل عملية السلام.

وقبل أن يرد الرئيس قلت: سيادة الرئيس أنه ليس على يقين مما يقول.ولكننا على يقين من الذي قاله السيد " هامير " وزير التعليم الإسرائيلي فهو يقول: إنه لا أمل في أن يتحقق السلام بين مصر وإسرائيل إلا إذا حذف المصريون الآيات القرآنية التي تهاجم اليهود. إنه رجل مجنون.فهو لا يعرف معنى القرآن. ولا معنى الكلمات البشعة التي تفوه بها وهو بالذات الذي يستطيع أن يشعل حروبا بين مصر وإسرائيل. وهو كواحد من أقطاب المتطرفين لا يريد السلام مع مصر.

وتضايق الرئيس السادات. وطلب مني أن أسافر إلى إسرائيل وأن أرد وأن أوضح خطورة هذا الذي قاله بيجن وقاله وزيره هامير..

وتلاشت هذه الزوبعة التي كان من الممكن أن تصبح إعصارا مدمرا.

انتهت رواية أنيس منصور عن شكوى بيجن من الشيخ الشعراوي للرئيس السادات.

وعن هذه الواقعة قال الشيخ الشعراوي في حواره مع الأستاذ / سعيد أبو العينين:

" ليست إسرائيل فقط التي طالبت بإسكاتي ، وقالت على لسان رئيس وزرائها مناحم بيجن أن تفسيري للآيات التي تتناول اليهود في القرآن الكريم. من شأنه أن يعطل عملية السلام بين مصر وإسرائيل.

فالصحف الأمريكية التي تسيطر عليها الصهيونية العالمية هاجمتني هي الأخرى وكتبت تقول: " أسكتوا هذا الرجل "!

هم يريدون أن يسكتوني.ولكنني لن أسكت.

ومن التعليقات التي انتشرت كردود أفعال لشكوى مناحم بيجن من الشيخ الشعراوي:

" إن إسرائيل لا تملك أن تغير الحقيقة ، ولا أحد يستطيع أن يجامل إسرائيل على حساب الله والتاريخ – كل التاريخ – فليس من حق بيجن أن يتدخل في شؤوننا ولا أن يتعرض لرجال الدين."

ومن التعليقات التي نشرت في تلك الآونة أيضاً" إننا لا نستطيع أن نتخيل أنه من الممكن أن يغير الشعراوي هذا العلاّمة والداعية الإسلامي الكبير من طريقته التي اتبعها في التفسير والتي يطلق عليها " خواطره الإيمانية " والتي كانت هديا من الله تعالى لعبده لكي ينتفع بها. عباده الآخرون. كما أننا لا نتخيل مطلقا أن يخضع أكثر الناس علما وفقها وإيمانا ، وأقواهم وأقدرهم في شرح وتأويل القرآن الكريم. لا نتخيل أن يخضع أبدا لإرادة غير إرادة الله. لأنه إذا ضاع الإسلام من القائمين عليه ، فقل على الدنيا السلام."

### مقالة الأستاذ أنيس منصور:الشعراوي يهاجم اليهود

دفع الرئيس السادات بخطاب ضاق به، وظل يدفعه حتى سقط على ساقي. وقال: اقرأ وقل لي أعمل إيه في ابن الأيه ده!!أما الخطاب فهو من رئيس وزراء إسرائيل مناحم بيجين يشكو من أن الشيخ متولي الشعراوي يهاجم اليهود ليلا ونهارا ومن غير مناسبة، وخاصة في الحلقتين الأخيرتين!وذهبت إلى التليفزيون أطلب مشاهدة الحلقتين الأخيرتين للشيخ الشعراوي ولم أجد شيئاً مما نقلوه إلى بيجين. فالشيخ الشعراوي أحد الخبراء في البلاغة القرآنية. وتفسيره البلاغي للقرآن الكريم متعة. وقدرته على تحليل المعاني الإلهية شيء عجب، كما تغني أم كلثوم..

وشاهدت حلقات أخرى للشيخ الشعراوي فالرجل لا يهاجم اليهودية ولا المسيحية فهو فقيه مسلم يفتش في كنوز المعاني البديعة. وعدت للرئيس أنقل إليه ما وجدت. ولكن الرئيس السادات كان مشغولا بهذا الخطاب الذي ضايقه. ورأي أن بيجين قد زودها وحشر أنفه في ما لا شأن له، وخير له أن يطلق الرصاص على هؤلاء الجهلاء الذين سمعوا الشيخ الشعراوي وأساءوا الترجمة تماماً، كما حدث بعد إلقاء خطابه في الكنيست!ومن دون أمر من السادات توقفت إذاعة حلقة واحدة للشيخ الشعراوي وتضايق السادات جداً..وفجأة تلقيت خطاباً من د. بطرس غالي وزير الخارجية وفي الخطاب نص خطبة وزير التعليم الإسرائيلي، وفي الخطبة يقول:لن يتحقق السلام بيننا إلا إذا حذفتم بعض آيات من القرآن الكريم!!

وقال لي السادات سافر إلى إسرائيل فوراً وقل لبيجين على لساني: إذا لم يكف عن الادعاء بأن الشعراوي يهاجم اليهود وليس الصهاينة، فإنه سوف ينشر خطبة وزير التعليم الإسرائيلي على جميع القنوات في مصر والعالم

العربي..ورفع بيجين يديه بما معناه إنه لن يفعل وإن هذا يكفي!ومنذ أيام عثرت على خطاب بيجين وترجمته كاملا وكذلك خطبة وزير التعليم وعبارة كتبها السادات على ورقة صغيرة يقول: يا أنيس.. اقرأ وقل لي، واكتب واعرض علي ما كتبت قبل إن تسافر إلى إسرائيل"

وفي مقالة أخرى بعنوان " لماذا الشعراوي ظاهرة لن تكرر " في عموده " مواقف " بتاريخ ٢٧ مايو ٢٠٠٦. كتب الأستاذ أنيس منصور عن الشيخ الشعراوي يقول " لماذا كان الشيخ متولي الشعراوي ظاهرة لا تتكرر، فالرجل له أسلوبه البسيط في الحديث إلي الناس، ولغته الريفية الجذابة واقترابه من الناس والتسلل إلي قلوبهم قبل عقولهم.. والتلقائية في الأداء..

والشيخ الشعراوي ليس من كبار المفكرين ولكنه من كبار المتحدثين والشارحين. وهو قد تخصص في بلاغة القرآن الكريم، فقد استطاع الشعراوي بموهبته أن يتعمق في معاني القرآن الكريم وأن يجتهد في شرحها بأسلوب بسيط ليس متعاليا علي مستمعيه وإنما عند رءوسهم لا يعلو عليها ولا يهبط دونها، فهو يتحدث في آذن كل مستمع حديثا خاصا، ويشرك مستمعيه ويتجاوب معهم، ويطلب منهم أن يكملوا الآيات وينتظر..

وأحيانا ـ ولم يكن موفقا دائما ـ يتهجم علي قشور الفيزياء والكيمياء والطب ويقول، ويفتي، مع أن المسافة كبيرة بين القرآن الكريم والأحاديث النبوية وروشتات الأطباء ولكنه من أجل الشرح والإقناع ويلجأ إلي الإشارة إلي بعض الحقائق العلمية، وكثيرا ما أفلتت منه الحقيقة أو المقارنة الصحيحة، ولكن عذره انه يريد أن يكون واضحا.

ونحن الكتاب أو المدرسين كثيرا ما لجأنا إلي ذلك.. والهدف واحد.

وقد جنح الشيخ متولي الشعراوي في أيامه الأخيرة إلي الذهاب في رفع

معنويات مريديه بأن راح يدعو لهم بالشفاء ويؤكد لهم ـ وهذا هو الخطأ ـ أن شفاءهم غدا.. أي بعد أن دعا لهم ولمسهم بيديه هنا وهناك والناس الطيبون استراحوا إلي بركات الشيخ..

ويمكن التجاوز عن فرط الثقة بالنفس وبالناس.. ولكنه كان رجلا مقتدرا علي التفسير والتنوير والإقناع ـ وهذا ما لم يبلغه أحد من الفقهاء في زماننا!"

****

## الشعراوي في مكة المكرمة

كيف قضى الشيخ الشعراوى ليلته الأولى في مكة المكرمة، عندما سافر للعمل هناك كأستاذ للشريعة؟

هذا هو السؤال الذي وجهه المحاور للشيخ ليرجع به وبذاكرته الرائعة إلى أعوام كثيرة مضت حين كان الشيخ في مكة المكرمة كأستاذ للشريعة ولنستمع من الشيخ نفسه عن هذه الأيام الرائعة في حياة الشيخ الشعراوي.

" بذاكرته القوية، يعبر الشيخ السنين الطوال. عائدا إلى الوراء.. إلى عام ١٩٥٠ .. ويتذكر، ويروى عن الليلة الأولى، وما بعدها.. يقول: سافرت للعمل في أحب بلاد الله إلى قلوب عباده.. مكة المكرمة.. سافرت بالباخرة، وكانت معي أمي.. كنت ضمن بعثة الأزهر الشريف.. وكان ذلك سنة ١٩٥٠ .. وأتذكر أنني نزلت ومعي زملائي في البعثة في بيت كان مخصصاً لاستقبال المبعوثين بصفة مؤقتة إلى أن يتم توفير السكن لهم. وهذا البيت كانوا يسمونه "بيت برنجى" وهو اسم قبيلة من أفريقيا.

كان البيت مفروشاً بالحصى وسعف النخيل، وكانت كل البيوت هناك بهذا الشكل وتلك الأيام.. كلها مفروشة بالحصى وفوق الحصى سعف النخيل.. حتى الحرم الشريف كان مفروشاً هو الآخر بالحصى ومغطى بسعف النخيل.

وأحسست بعدم الراحة والضيق، ولم أستطع الجلوس. ولاحظ زميلى الشيخ أبو طالب، أطال الله في عمره، أنني ضائق وغير مستريح، فطلب منى أن أتحامل على نفسي وأنام حتى يطلع النهار ونتدبر الأمور.

فقلت له: إنني لا أنام وأنا غير مستريح. وتأثر الشيخ أبو طالب بكلماتي

وخرج ليبحث لنا عن مكان مناسب.

وعاد يقول: لقد وجدت مكاناً مناسباً وسوف تكون مستريحاً فيه.. إنه الفندق الذي بناه طلعت حرب في "جياد"... واسمه فندق مصر.. وأخذنى إلى الفندق.. ووجدت الفندق مريحاً.. فانتقلنا إليه.. وتذكرنا أننا لم نأكل، وأنا في حاجة إلى طعام.. وخرجنا نبحث عن محل نشترى منه الطعام فوجدنا كل المحلات مغلقة.. كان الوقت متأخراً، والمحلات تغلق أبوابها مبكراً.. وتجولنا في الشوارع إلى أن وجدنا رجلاً يقف على ناصية ويضع طعاماً اسمه "المطبق" وهو عبارة عن "عجة بالبيض". وكان هذا أول طعام نأكله في مكة المكرمة.

وفي صباح اليوم التالي ذهبنا إلى "إدارة المعارف" ولم تكن وزارة المعارف قد أنشئت بعد، وأعطونا ورقة بصرف مخصصاتنا، وكانت عبارة عن مرتب ثلاثة شهور مقدما وثلاثة شهور أخرى لتأثيث السكن.

وبعد أسابيع أمضيتها في الفندق، انتقلت إلى بيت قريب من الحرم الشريف.

كان البيت اسمه بيت الشاذلي..، وكان هو البيت الوحيد في الشارع الذي له "بلكونة". ولذلك كانوا يقولون لمن يسأل عنى أنه يسكن في شارع كذا وفي البيت "ابو بلكونة"!

وقد أمضيت في هذا البيت أربع سنوات ثم انتقلت إلى بيت آخر.

وقال الشيخ: كانت السعودية في ذلك الوقت لا تتعامل بالعملة الورقية. وإنما بالفضة والذهب، وليس بالفلوس الورق.

وكان كل مبعوث يأتي يصرف له مرتب ثلاثة شهور.. والمرتب ثلاثة

أضعاف المرتب الذي يحصل عليه في مصر.. ويضربون حاصل الجمع في ١٤ ريالاً.. ويضيفون إلى جانب ذلك مرتب ثلاثة شهور أخرى هي أجرة السكن مقدماً.

كل هذا المبلغ، يحصل عليه المبعوث دفعة واحدة عند حضوره.

وعندما ذهبت لصرف هذا المبلغ من الخزينة.. فوجئت بأن المبلغ عبارة عن فلوس فضة، وأنه موضوع في "شيكارة"، والشيكارة كبيرة وثقيلة!... ووجدت عند الخزينة صديق مصري اسمه الشافعي كان يعمل بالسعودية وكان يعرف كل شيء هناك. ولاحظ هذا الصديق دهشتي واستغرابي عندما سمعت موظف الخزينة يقول لى وهو يشير إلى "شيكارة الفلوس":

- هذا هو المبلغ.. شوف لك "تكرورى".

فقلت متسائلاً: تكرورى؟... يعنى إيه تكرورى.

ورد صديقي المصري موضحاً:

- تكرورى.. يعنى شيال.. يعنى تروح تشوف شيال علشان يشيل لك شيكارة الفلوس!

وتطوع الصديق المصري وخرج ليأتي بالتكرورى أي الشيال من الشارع... وعاد ومعه التكرورى وفي يده "قفة"!

وسألت صديقي المصري: والقفة دى لازمتها إيه؟

فقال: علشان يفرغ فيها شيكارة الفلوس. ويحملها ليوصلها لك إلى المكان الذي ستذهب إليه.. وهذا هو الشيء الذي يحدث عادة.

وهذا ما حدث بالفعل.

ويمضى الشيخ في ذكرياته يقول:

كان عملي في مكة المكرمة فاتحة خير.. ورددت قول الله تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم).. فالذين رشحوني للعمل في السعودية كان هدفهم التخلص منى وإبعادي عن الأزهر، وكنت ضائقاً في أول الأمر، ولكنى رضيت وقبلت، وشاء الله أن يكون خيراً لي.

لقد بدأت في تسديد ديوني.

وفي اليوم الذي انتهيت فيه من سداد ديوني، اعتبرت هذا اليوم عيداً.. ولازلت أذكر أن هذا اليوم كان يوافق يوم ١٣ من شهر رجب.

وقلت لزملائى وأصدقائي: اليوم سقط آخر قرش من ديونى والحمد لله.

فقالوا في دهشة: وكيف حسبتها؟

قلت: إنني أحسب مرتبي باليوم لكى أعرف متى أخلص من ديونى.. واليوم أكون قد خلصت من ديونى والحمد لله... ولذلك فإننى أدعوكم لكى نتعشى معا الليلة.. وفعلاً تعشينا معاً.. ثم ذهبنا إلى الحرم الشريف وبقينا إلى صلاة الفجر..

وقال الشيخ: لقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يجعل الفترة التي أمضيتها في مكة المكرمة "غسول" لي مما نالني في مصر على يد بعض قيادات حزب الوفد الذين حالوا بيني وبين النحاس باشا ليسدوا أمامي الطريق رغم دوري السياسي معهم.

وكذلك ما نالنى على يد بعض كبار المشايخ من الأزهريين الطامعين في

المناصب الذين تآمروا ضدي لإبعادي عن الأزهر وعن الشيخ حمروش شيخ الأزهر، والتخلص مني بوضع اسمي دون علمي ودون استشارتي ضمن قائمة المبعوثين للعمل بكلية الشريعة في مكة المكرمة.. لقد جاءني الخير كله.. جاءت دنياي في حضن ديني.. وجاء ديني في حضن دنياي.

وقال الشيخ: ويعلم الله إنني كنت خادماً لزملائي وأصدقائي في البعثة. وكان بيتي مفتوحاً لهم. وكنت أحثهم دائماً على الاهتمام بمظهرهم. وكنت أغسل لهم "شيلان" العمائم بيدي. والذين كانوا يصحبون معهم زوجاتهم ولا يهتمون بمظهرهم كنت "أزعل منهم" وكنت أطالب زوجاتهم بأن يهتممن بهم وبنظافة مظهرهم. وكن يسمعن لما أقوله لهن، ويأخذن الأمر ببساطة ويتقبلن كلامي.

وقال الشيخ: وقد شاء الله أن يؤلف بيني وبين علماء السعودية، وقد كنت حريصاً على أن أحترم اجتهادهم. ويعلم الله أني فسرت الشدة في مواقفهم من كثير من الأشياء بأنها من باب "سد الذرائع" أمام الخروج عن الأحكام. "تلك حدود الله فلا تعتدوها" وجزاهم الله خيراً.

وشيء آخر، وهو أن أبناءهم الذين كانوا يتعلمون عندي، كانوا ينقلون لآبائهم صورة مما يسمعونه مني وما أقوله لهم.. كنت أعلمهم بإخلاص.. وكنت أقوم بتدريس التوحيد.. تدريس كتاب "الطحاوية" وهي تعتبر "عمدة" ما كتب في هذه المادة عندهم.

وهذه جعلت ما بيننا شيئاً لا خلاف عليه.

وقد أديت ما يتطلبه ديني في أن أرد لهم الجميل في أبنائهم وأولادهم الذين أصبحوا من كبار رجال الدولة.

ويمضى الشيخ في ذكرياته.. يقول:

لقد وفرت مرتبي كاملاً في السنة الأولى التي قضيتها في مكة، واكتفيت ببدل السكن الذي أخذته عندما وصلت إلى هناك.

كان بدل السكن كافياً لتغطية مصروفاتي.

وفي نهاية السنة الدراسية عدت لأقضى الإجازة في مصر.

عدت ومعى مرتب أربعة شهور هي مدة الإجازة، بالإضافة إلى مرتبي عن السنة التي أمضيتها هناك.. ولما وصلت إلى بلدنا دقادوس ذهبت إلى صديقي محمد حسين الذي كنت مدينا له، وشكرته كثيراً، وأعطيت ما بقى معي من فلوس لعيالي ليضع كل واحد منهم ما يخصه في صندوق التوفير.

وفي السنة التالية توفر لي بعض المال. وعند عودتي في الإجازة سمعت بان صديقي محمد حسين صاحب المطعم الذي كان يمدنى بالمال أيام الشدة قد تعرض لظروف صعبة وجاءه إنذار بإخلاء مكان المطعم، ولم يجد أمامه سوى أن يفتتح محلا تجارياً. فذهبت إليه وقدمت له كل ما كان قد توفر لي من مال في هذه السنة، وقلت له: لعل الله ادخر لي هذا المال الذي أتيت به من السعودية لكي تعمل به.. وفي السنة الثالثة توفر لي مبلغ ١٥٠٠ جنيه.

وفي حديث بينى وبين والدي قال لي والدي:

يا ابني أنا نفسي يبقى لك بيت كويس.. نفسي أبنى لك بيت فخم جداً ويكون على أحدث طراز.

فقلت له: إن كل ما أملكه في يدى هو ١٥٠٠ جنيه.

فقال: هات المبلغ ده.. ونبدأ نشترى الأرض.

قلت: وهل هذا المبلغ يكفي لبناء بيت!

قال: أنا سألت المقاول فقال لي إنه يكفي لبناء بيت فخم، وعلى أحدث طراز.

قلت وأنا في دهشة: بيت فخم! وعلى أحدث طراز؟!

قال: أيوه.

وأعطيته المبلغ.. واشترى لي أربعة قراريط بجوار "الجبانة".

وفي اليوم التالي أحضر والدي بعض العمال وأخذوا "يفحتوا" في الأرض ويقومون ببناء "سور البيت" قبل بناء البيت نفسه!.

واندهشت أكثر عندما وجدتهم يقومون بعمل ثلاثة أبواب للسور قبل أن يوجد البيت أصلاً.

سألت والدي: كيف تبنى سور البيت قبل أن تبنى البيت؟ وكيف تعمل ثلاثة أبواب للسور ونحن لم نبن البيت بعد؟

فقال: بعد ثلاثة أسابيع سوف ترى.

وبعد الثلاثة أسابيع كان قد انتهى من وضع الأساس وتوقف، ثم قال لي:

خلاص... الفلوس خلصت لغاية كدة!

فجلست على الرمل وأخذت "أطبطب" بيدى على "أساس البيت" الذي لم يكن قد ارتفع عن سطح الأرض سوى مسافة قليلة، وقلت ضاحكاً:

هل هذا هو البيت الفخم الذي على أحدث طراز والذي قال لك المقاول إنه سيتكلف ١٥٠٠ جنيه؟!

فضحك والدى طويلاً وقال:

أسمع يا ولد.. المعمار بداية.. هل سمعت عن واحد وضع أساساً لبناء بيت ثم توقف ولم يكمله؟ أبداً.. لم يحدث.. المهم هى البداية، ونحن بدأنا ووضعنا الأساس وعملنا السور لحفظ المكان.. وشوية شوية نبنى ويرتفع البناء.

قلت: ولكن الفلوس خلصت.

قال: أنا عندى "عجل" مستغنى عنه.. وعندى "جاموستين"..

سأبيع العجل والجاموستين، وبعدها يفرجها علينا ربنا.

وفعلاً باع العجل والجاموستين، وأكمل بناء الأساس.. وانتهت الإجازة.. وأخذت استعد للسفر عائداً إلى مكة المكرمة.

ويضحك الشيخ من قلبه ويقول:

لكنني لا أنسى حكاية صديقي خنفس وما جرى منه في هذه الإجازة.. وصديقي خنفس كان أحسن خياط في بلدنا دقادوس، وأفضل من يعمل القفطان والجبة والطاقية البيضاء.

وكان يحلو له في لحظة العتاب أن يقول لى:

بكرة أموت وتدور على واحد يعمل لك قفطان، ولا جبة، ولا طاقية، زى شغلى أنا.. وموش حتلاقى!

والذي حدث هو أنني عندما حضرت في الإجازة، أتيت معي بـ "حتتين قماش" من السعودية.. قماش من الصوف الوبر، لأعمل "عباءتين"... واحدة لي وواحدة لوالدي.. وذهبت لصديقي الأسطى خنفس وأعيطته

تبركاً بها فقط.. وها أنذا أردها إليك ".

فضحكا سوياً.

**أنا تحية كاريوكا ألا تعرفني**

ويضيف فضيلة الدكتور ناجح موقفا آخر فيقول:

حكي لي د.محمود جامع أنه كان مع الشعراوي في الحرم ورأته تحية كاريوكا.. وكانت قد اعتزلت الرقص ولبست الحجاب.. وكانت هيئتها في منتهى التدين.

فأخذت تنادي علي الشيخ الشعراوي وهو لا يسمعها من الزحام حتى جاءته قائلة له:

يا شيخ شعراوي بح صوتي وأنا أنادي عليك.

فقال لها: معذرة.. والله لم أسمع.

وكان يكلمها وهو ينظر إلي الأرض.. فقالت له في جرأة: انظر إليَّ حتى تعرفني.

فلما نظر إليها قال لها: معذرة.. أنا لم أعرفك.

فقالت عاتبة عليه: "أنا تحية كاريوكا.. ألا تعرفني؟"

فقال لها: معذرة.. لو عرفتك لأتيتك ولو رقصا.

فأنهي بهذه الطرفة هذا الموقف وتخلص به من عتابها وحدة لسانها.

*****

# الفهرس